

الدكتور محمد عباس

الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور



للنشر والتوزيع

الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور



عنوان الكتاب:

www.شبكة الألوكة.إهداء من الموسحات والأزجال الأندلسية

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

وأثرها في شعر التروبادور

تأليف:

الدكتور محمد عباسة

Pr Mohammed Abbassa

الإيداع القانوني: 480 - 2012

ردمك: 7 - 3377 - 0 - 9947 - 978

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

www.facebook.com/abbassa3

abbassa(@)mail.com

الناشر:

دار أم الكتاب للنشر والتوزيع

57 - شارع محمد خميستي بوقيراط

مستغانم (الجزائر)

هاتف: 56 - 92 - 23 - 75 / 07

الطبعة الأولى

1433 هـ - 2012 م

إهداء

إلى ذكرى أبي العزيز الذي اختاره الله إلى جواره،
الظاهر بن ميلود عباسة،
رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

محمد

يا أهل أندلس! لله دركم
ماءً وظلٌّ وأنهارٌ وأشجارٌ
ما جنة الخلد إلا في دياركم
ولو تخيرتُ هذا كنتُ أختارُ
لا تختشوا بعدَ ذا أن تدخلوا سقراً
فليس تُدخلُ بعدَ الجنةِ النارُ

ابن خفاجة

مقدمة:

كانت بلاد الأندلس في القرون الوسطى من أرقى البلدان العربية الإسلامية، وقد تميزت بخصوصياتها الثقافية والاجتماعية، كما كانت أيضا حلقة اتصال بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، ذلك مما أدى إلى انتقال معظم معالم ثقافة العرب من أدب وفلسفة وعلوم إلى أوروبا.

مرت حضارة بلاد الأندلس بأطوار متعاقبة تخللتها فترات من الازدهار وأخرى من الانحدار، سجل لنا التاريخ أحداثها السياسية والاجتماعية والثقافية، من الفتح إلى النهاية. ونحن من كل هذا، يهمنا الجانب الأدبي، وبالخصوص الأنواع الشعرية المستحدثة.

فبعد الفتح الإسلامي، ظل الأدب الأندلسي، صدى لأدب المشرق حتى عصر الإمارة. وفي عصر الخلافة الأموية بالأندلس، كان لهذا الأدب أن يستجيب لدواع بيئية واجتماعية تميزه من غيره وتضفي عليه طابع المحلية. فظهرت الموشحات والأزجال. هذا اللون من الشعر الذي تحرر من الأعراب الممرعية والقوافي الرتيبية، وُلع به أهل المغرب قبل أن يبهر أهل المشرق. ولا تزال هذه الأنغام تذكرنا بالفردوس المفقود.

قام هذا البحث على دراسة الموشحات والأزجال الأندلسية باعتبارهما من الفنون التي استحدثتها الأندلسيون رغبة منهم في التجديد وملاءمة حياتهم الاجتماعية في ذلك العهد.

لقد انضردت الموشحات بأشكالها المتعددة وأوزانها المتنوعة

ولغتها العذبة، ولم يقتصر نظمها على عصر أو مكان، بل لا يزال الشعراء إلى اليوم ينسجون على منوالها ويتغنّى بها المطربون في المغرب والمشرق. وقد أخذت أشكالا مختلفة تختلف بها حسب المناطق التي تقترن بها.

أما الأزجال التي ظهرت هي أيضا لأول مرة في بلاد الأندلس، فقد جاءت تقليدا للموشحات، ولم تختلف عنها إلا في اللغة وأحيانا في الشكل. وما زال الزجالة إلى يومنا هذا ينظمونها ويتغنّى بها أهل الفن في المغرب والمشرق، وقد مالت إلى المدائح الدينية منذ سقوط الأندلس.

وينبغي أن نشير إلى أن الشعر الأوربي عامة والفرنسي خاصة، قد تأثر في القرون الوسطى في مضامينه وأشكاله بالأدب العربي من خلال الشعر الأندلسي. ويعد شعراء التروبادور في جنوب فرنسا أول من نظم القصائد على منوال الموشحات والأزجال، وقد تطرّق الدارسون إلى هذا الموضوع منذ نشأة الأدب المقارن في فرنسا.

وبعد، فإني لأرجو أن أكون قد قدمت من خلال هذا البحث خدمة لتراثنا المجيد. والله يهدينا جميعا إلى سواء السبيل.

د. محمد عباسة

جامعة مستغانم

الجزائر

1 - الشعر في عصر الولاة:

لا يختلف الشعر الأندلسي عن الشعر العربي إلا في مواضع التجديد ونحوها، إذ هو من ديوان العرب. ولما دخل العرب الأندلس لم يجدوا فيها عربا بل أعاجم. وكان أغلب الداخلين آنذاك من الجند المجاهدين في سبيل الإسلام. ولذا تعذر وجود ثقافة متميزة في تلك الفترة. وليس معنى ذلك أن الثقافة العربية كانت معدومة في بداية الفتح، فقد كان من بين المجاهدين العرب المسلمين من يقرض الشعر.

ولما استتب الأمر في الأندلس، واختلط العرب بالسكان الأصليين، بدأ المسلمون بإنشاء المساجد والجوامع الإسلامية، وكان القرآن الكريم يمثل المصدر الأساس للثقافة العربية الإسلامية في الأندلس. لقد انتشرت اللغة العربية بسرعة فائقة بين مختلف الأجناس، فظهرت الثقافة الأندلسية متأثرة بالعادات والتقاليد المختلفة التي كان يحملها العرب الوافدون من المشرق والبربر الوافدون من شمال أفريقيا الذين كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة في الجيش الإسلامي.

فالشعر إذن، ظهر في الأندلس في الوقت الذي وصل فيه العرب إلى هذا البلد، غير أننا لا نملك إلا النزر منه، والسبب في ذلك أن تلك الفترة سادها الاضطراب والحروب، فلم يكن لدى الشعراء وقت لتدوين أشعارهم.

ولما تضايفت الهجرة من المشرق إلى المغرب، وعبر العرب مضيق جبل طارق، عبرت معهم أمهات الكتب العربية، ومن ضمنها

دواوين الأشعار التي تمثل المصادر الأساسية لبذور الثقافة الأندلسية. للإشارة، إن العرب مكثوا فترة طويلة في شمال أفريقيا، وكان الأهالي من البربر في تلك الفترة قد تعلموا اللغة العربية قراءة وكتابة. وفي بلاد الأندلس أصبح البربر مشاركا مهماً في إحياء الثقافة العربية الإسلامية نظراً لتعلقهم بالدين الإسلامي الحنيف واندماجهم السريع في المجتمع العربي الإسلامي.

لقد انشغل العرب في عصر الولاة بأمور الفتح واتخاذ التدابير ضد الاضطرابات والفتن من أجل الاستقرار المادي والمعنوي، ومع ذلك لم تخلُ هذه الفترة من الشعر ولو أنه كان ضئيلاً، غير أن أصحابه نشأوا في المشرق، فهو يعد شعراً مشرقياً من حيث خصائصه وموضوعاته. ولعل الشاعر الوحيد الذي لم يكن مشرقياً هو طارق بن زياد ومما روي له، قوله (1):

ركبنا سفيناً بالمجاز مقيراً
عسى أن يكون الله منا قد اشترى
نفوساً وأموالاً وأهلاً بجنة
إذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسراً
ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا
إذا نحن أدركنا الذي كان أجدرأ

غير أن هذا الشعر المنسوب إلى طارق مشكوك فيه كما شكّ الباحثون أيضاً في خطبته لأن المصادر الأندلسية الأولى جاءت خالية مما نسب إلى طارق، وليس معنى ذلك أن طارقاً لم

1 - المقري: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت 1995، 255/1.

يكتب بالعربية. فمن المرجح أنه كان على اتصال وثيق بالعرب قبل فتح الأندلس، ولذا اختاره موسى بن نصير مولى له، ولا يستبعد أن اللغة العربية كانت موجودة في أفريقيا الشمالية قبل الفتح الإسلامي، وعلى الخصوص في المناطق الساحلية، وهذا ما أغضبه المؤرخون العرب القدامى.

وكان من بين الوافدين العرب في فترة الولاة الشاعر أبو الأجر جعونة، وهو من قدماء شعراء الأندلس، قيل إنه كان في مرتبة جرير والفرزدق، نظم الشعر على مذهب العرب الأوائل لا على طريقة الشعراء المحدثين⁽²⁾. اشتهر بهجاء الصمّيل بن حاتم رئيس القيسية، ومدحه بعد أن عفا عنه⁽³⁾. وقد ضاع شعره ولم يبق منه إلا القليل، ومنه قوله⁽⁴⁾:

ولقد أراني من هواي بمنزل

عال ورأسي ذو غدير أقرع

والعيش أغيد ساقط أفنانه

والماء أطيبه لنا والمرتع

ومن الشعراء أيضا، أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي، شاعر فارس من أشراف العرب، ولي الأندلس بعد مقتل أميرها عبد الملك بن قطن، وعمل على إطفاء نار الفتنة، وزرع المحبة بين الناس على مختلف أجناسهم، بحيث أنقذ حياة ألف بربري كان

2 - أحمد بن يحيى الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة 1967، ص 261.

3 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة 1964، 1/131.

4 - الضبي: المصدر السابق، ص 261 - 262.

ثعلبة بن سلامة قد أسرهم وأبرزهم إلى الناس ليقتلهم⁽⁵⁾. قال

www.alukah.net

من شعره⁽⁶⁾: داء من شبكة الالوكة

فليت ابن جَوَّاسٍ يخبِّرُ أنني
سعتُ به سعيَ امرئٍ غيرِ غافلٍ
قتلتُ به تسعينَ يحسبُ أنهم
جذوعُ نخيلٍ صرَّعتُ بالمسائلِ
ولو كانت الموتُ تُباعُ اشتريتهُ
بكفي وما استثنيتُ منها أناملي

وقد عاتب أبو الخطَّار المروانيين على تشجيعهم للنزعة
القبلية بين الأندلسيين، ومن شعره أيضاً قصيدة يقول فيها⁽⁷⁾:

أفادت بنو مروان قيساً دماءنا
وفي الله إن لم يعدلوا حكم عدلٍ
كأنكم لم تشهدوا مرج راھطٍ
ولم تعلموا من كان ثم له الفضلُ
وقيناكم حرَّ القنا بنفوسنا
وليس لكم خيل سوانا ولا رجلُ
فلما رأيتم واقد الحرب قد خبا
وطاب لكم فيها المشاربُ والأكلُ
تغافلتُم عنا كأن لم تكن لكم
صديقاً وأنتم ما علمتُ لها فعلُ

ولم تقتصر هذه الفترة على هؤلاء الشعراء الذين سبق

5 - المصدر نفسه، ص 276 وما بعدها.

6 - نفسه.

7 - المصدر نفسه، ص 277.

ذکرهم، وإنما كان في ذلك الوقت، شعراء آخرون ضاعت أشعارهم كما ضاعت أسماؤهم، بسبب الحروب المتواصلة والفتن وعدم التدوين وضياع المصادر. أما هذا الشعر، فهو يعد امتداداً للشعر المشرقي من حيث الأشكال والموضوعات وليست له شخصية أندلسية يستقل بها.

2 - الشعر في عصر الإمارة:

تأسست الإمارة بالأندلس سنة (138 هـ - 755 م) على يد عبد الرحمن الداخل الذي فرّ من المشرق بعد سقوط دولة بني أمية في دمشق على يد العباسيين. وصل الأندلس في ظروف تسودها العصبية القبلية والفتن والمنازعات الخارجية، فاستطاع أن يقضي على الأرستقراطية بتقريبه المسلمين على مختلف أصولهم. وكان جامع قرطبة الذي أسسه عبد الرحمن بمثابة الانطلاقة الأولى للثقافة الأندلسية المحلية. وفي عصره لجأ أكثر العلماء الأمويين إلى الأندلس خوفاً من بطش العباسيين.

وفي هذه الفترة ظهر الجيل الأول من الأدباء الأندلسيين ونبغ من بينهم كذلك النساء الشواعر، كما كان الأمراء الأندلسيون أيضاً يتظّمون الشعر، ومن أمثلة ذلك ما يروى للأمير عبد الرحمن الداخل في نخلة رأها في حديقة قصره⁽⁸⁾:

يا نخلُ أنت غريبةٌ مثلي

في الغرب نائية عن الأصلِ

فابكي وهل تبكي مُكبَّسةً

عجماء لم تطبع على خبلِ

8 - ابن الأبار: الحلة السيرة، القاهرة 1963، 1/37.

لو أنها تبكي إذا لبكت
إهداء من شبكة الماء الفُرات ومنبت النخل

لكنها ذهلت وأذهلني
بُغْضِي بني العباس عن أهلي

وقوله أيضا يتشوق إلى معاهده بالشام⁽⁹⁾:

أيها الراكب الميمم أرضي
أقر من بعضي السلام لبعض
إن جسمي كما علمت بأرضي
وفؤادي ومالكيه بأرض
قُدِّرَ البينُ بيننا فافترقنا
وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا
فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وعاش في عهد الأمير عبد الرحمن الأول الشاعر أبو المخشى
التميمي، وهو من فحول الشعراء المتقدمين الذين قدموا إلى
الأندلس من بلاد المشرق. اشتهر بالمدح والهجاء ومن شعره قوله
في الليل⁽¹⁰⁾:

وهم ضافني في جوف يم
كلا موجيها عندي كبير
فبتنا والقابوب معلقات
وأجنحة الرياح بنا تطير

9 - المصدر نفسه، ص 36.

10 - الضبي: بغية الملتمس، ص 528.

خضعت أم بناتي للعدا

إذ قضى الله بأمر فمضنا

ورأت أعمى ضريراً إنما

مشيه في الأرض لمسّ بالعصا

فبكت وجداً وقالت قولة

وهي حرى بلغت مني المدا

ففؤادي قرح من قولها

ما من الأدواء داء كالعما

وإذا نال العمى ذا بصر

كان حياً مثل ميت قد نعا

وكان الناعم المسرور لم يك

مسروراً إذا لاقى الردا

عانى بالقرب وهنا طرب

بين لج في الحمما

ومن خلال القصائد التي وصلت إلينا يتبين لنا أن أبا المخشى قد وظّف في شعره الصور البدوية القديمة التي ورثها من الشعر المشرقي، كما كان بارعا في تصوير محنته بعد فقد بصره.

ومن الأمراء الذين نظّموا الشعر، الحكم بن هشام حفيد عبد الرحمن الداخل، الذي يلقب بالربضي لقضائه على ثورة الربض، وكان شاعرا وفارسا. قال من قصيدة بعد أن أحمد ثورة أهل الربض⁽¹¹⁾:

11 - مجهول: أخبار مجموعة، مدريد 1867، ص 132 - 133.

رأيتُ صدوع الأرض بالسيف راقعا
إهداء من شبكة وقدماً لأمت الشعب من كنت يافعا

فسائلُ ثغوري هل بها اليوم ثغرة
أبادرها مستنضي السيف دارعا
وشافهُ مع الأرض الفضاء جماجما
كأقحاف شريان الهبيد لوامعا
تُبئِّك أني لم أكن في قراعهم
بوانٍ وقدماً كنت بالسيف قارعا
وأني إذ حادوا جزاعاً من الردى
فلم أكُ ذا حيد من الموت جازعا
حميتُ ذماري فانتهبت ذمارهم
ومن لا يحامي ظل خزيان ضارعا
وقال في الغزل⁽¹²⁾:

قُضِبُ من البان ماست فوق كُثبان
ولين عني وقد أزمعن هجراني
ناشدتهنَّ بحقي فاعتزمنَ على ال
عصيان لما خلا منهنَّ عصياني
ملكنتني ملكاً ذلت عزائمهُ
في الحبِّ ذلُّ أسيرٍ موثق عاني
من لي بمغتصبات الروح من بدني
يُغصبني في الهوى عزي وسلطاني

ومن شعراء تلك الفترة يحيى الغزال الذي عاش في عهد
الحكم الربضي وعبد الرحمن الثاني (الأوسط). أرسله عبد

12 - المصدر نفسه، ص 134.

الرحمن الثاني إلى ملك الروم سفيرا لدولة الأندلس. له شعر كثير غير أنه لم يصل إلينا كله. اشتهر بالسفر وركوب البحر، وفي ذلك قوله⁽¹³⁾:

قال لي يحيى وصرنا بين موج كالجبال
وتولتنا عُصُوف من جنوب وشمال
شقت القلَعين وأنبتتُ عرى تلك الحبال
وتمطى ملك الموتِ إلينا عن حبال
لم يكن للقوم فينا يا رفيقي رأس مال

ومنهم أيضا عبد الله بن عبد العزيز القرشي المعروف بالحجر، وهو من أولاد الحكم الربضي كان أديبا وشاعرا، ومن شعره قوله⁽¹⁴⁾:

اجعل لنا منك حظاً أيها القمرُ
فإنما حظنا من وجهك النظرُ
رآك ناس فقالوا إن ذا قمرُ
فقلت كفوا فعندي فيهما خبرُ
البدرُ ليلة نصف الشهر بهجته
إلى الصباح وهذا دهره قمرُ
والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت
إلا وجاءت إليك الشمسُ تعتذرُ

وكان المطرف بن عبد الرحمن الثاني (الأوسط) شاعرا أيضا، ومن شعره قوله في المجون⁽¹⁵⁾:

13 - الضبي: بغية الملتمس، ص 500.

14 - المصدر نفسه، ص 347.

15 - المقرئ: نضح الطيب، 119/5.

أفنتُ عمري في الشرِّ ب، والوجوه الملاح
ولم أضَيِّعُ أصيلاً ولا اطلاعَ صباح
أحيي الليالي سُهْداً في نشوةٍ ومراح
ولستُ أسمعُ ماذا يقول داعي الفلاح

وكان الأمير عبد الرحمن الثاني شاعرا أيضا، ومن شعره ما
كتبه لنديمه عبد الله بن الشمر⁽¹⁶⁾:

ما تراه في اصطباح وعقود القطرِ تُنثرُ
ونسيمُ الروضِ يختا ل على مسكٍ وعنبرِ
كلما حاول سَبَقاً فهو في الريحانِ يعثرُ
لا تكنُ مهمالةً واسُ بقُ فما في البطاءِ تُعذرُ

وكان الأمير عبد الله (ت 300 هـ - 913 م) - آخر الأمراء -
شاعرا أيضا، وكان أديبا بليغا، بصيرا بالغة والغريب وأيام
العرب. ومن شعره في الغزل قوله من قصيدة⁽¹⁷⁾:

ويحي على شادنٍ كحيلٍ في مثله يخلعُ العذارُ
كأنما وجنتاه وردٌ خالطه النورُ والبهارُ
قضيبُ بانٍ إذا تثنى يُدير طرفاً به احورارُ
وقف عليه صفاءُ ودَى ما اختلف الليلُ والنهارُ

وقال في الزهد⁽¹⁸⁾:

يا مَنْ يراوغهُ الأجلُ حتى ما يلهيكُ الأملُ
حتى ما لا تخشى الردى وكأنه بك قد نزلُ

16 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 50/1 - 51.

17 - ابن الأبار: الحلة السيرة، 121/1.

18 - ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ليدن
1948، 155/2.

أَغْلَتَ عَنْ طَلَبِ النِّجَاةِ وَلَا نِجَاةَ لِمَنْ غَفَلَ
هِيَهَاتَ يَشْغَلُكَ الْمُنَى وَلَمَّا يَدُومُ لَكَ الشَّغْلُ
فَكَأَنَّ يَوْمَكَ لَمْ يَكُنْ وَكَأَنَّ نَعِيكَ قَدْ نَزَلَ

وفي عهد الأمير عبد الله ظهر من جديد في الأندلس الشعر
المناصر للعنصرية بين المستعربة والعرب، وكان من بين شعراء
العرب في هذا المجال الشاعر الأسدي الذي ردّ على العبلي شاعر
المولدين، بقوله⁽¹⁹⁾:

منازلنا معمورة لا بلاقعُ
وقلعتنا حصنٌ من الضيم مانعُ
وفيها لنا عزٌّ وتدبيرُ نصرةٍ
ومنها عليكم تستتبُّ الوقائعُ
ألا فادنوا منا قريبا بوقعةٍ
تشيبُ لها ولدانكم والمراضعُ

ومن أشهر الشعراء في هذه الفترة سعيد بن جودي الذي
يمثل صورة الشاعر الفروسي المثالي. كان فارسا شجاعا ومُحبا
ذليلا، تُعد له عشر خصال تفرد بها في زمانه لم يدفع عنها، وهي
الجود والشجاعة والفروسية والجمال والشعر والخطابة والشدة
والطعن والضرب والرماية. عمل على مناهضة عمر بن حفصون
المرتد زعيم المعارضة وهو من المستعربة. ولما مات سوار أحد
أمراء العرب تولى من بعده سعيد بن جودي الإمارة في البيرة
بالأندلس، وُلِّبَ بأمير العرب، ثم قُتِلَ غيلةً وبتدبير من قبل

19 - ابن حيان القرطبي: المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، طبعة الأب ملشور
انطونيا، باريس 1937، 62/3.

أصحابه⁽²⁰⁾، ومن شعره في الفروسية قوله⁽²¹⁾:

أبسطُ حاشاها تتهجأع
والسيفُ إن قصرهُ صانعُ
طولهُ يومَ الوغى باعي
وما كميتي لي بمستقصرِ
إذا دعاني للقاءِ داع
هذا الذي أسعى له جاهداً
كلُّ امرئٍ في شأنه ساع

كان سعيد بن جودي فارساً متكاملًا لاتسامه بالحب والفروسية معاً، قبل أي شاعر تروبادوري، وهو أول من قال الشعر في "الحب البعيد" أو "الحبيبة المجهولة" كما يصطلح عليه عند الغربيين. أسره عمر بن حفصون قبل أن يتولّى رئاسة العرب في البيرة، وفي أسره قال من قصيدة⁽²²⁾:

خليلي صبراً راحةَ الحرِّ في الصبرِ
ولا شيءَ مثلُ الصبرِ في الكربِ للحرِّ
فكم من أسيرٍ كان في القيدِ مؤثماً
فأطلقه الرحمنُ من حلقِ الأسرِ
لئن كنتُ مأخوذاً أسيراً وكنتما
فليس على حربٍ ولكن على عذرِ
ولو كنتُ أخشى بعضَ ما قد أصابني

20 - ابن الأبار: الحلة السيرة، 155/1 وما بعدها.

21 - ابن حيان: المقتبس، 124/3.

22 - ابن الأبار: المصدر السابق، 159/1.

وفارسها المقدامُ في ساعةِ الذعرِ

وله أبيات من الشعر يعتقد أنها كانت السبب في قتله. رثاه الأسدي شاعر العرب في ذلك الوقت، كما رثاه مقدم بن معافى القبري⁽²³⁾. وكان مقدم بن معافى معروفا في أيام عبد الرحمن الثالث (الناصر)، وله شعر مدح به سعيد بن المنذر⁽²⁴⁾. وفي أيام الأمير عبد الله، اخترع مقدم بن معافى الموشحات الأندلسية، غير أنه لم يصل إلينا شيء من موشحاته.

وفي عصر الإمارة برزت شخصية المرأة الأندلسية، بحيث ظهرت النساء الشواعر، ومن بينهن الشاعرة حسانة التميمية بنت أبي المخشى التميمي الألبيري، وقد مرّ ذكره. تأدبت على يد أبيها، ولما مات لجأت إلى الحكم بن هشام أمير الأندلس، فكتبت إليه تطلب عطفه، ومما كتبت قولها⁽²⁵⁾:

إني إليك أبا العاصي موجعة
أبا المخشى سقته الواكف الديم
قد كنت أرتع في نعماه عاكفة
فاليوم أوي إلى نعماك يا حكم
أنت الإمام الذي أنقاد الأنام له
وملكته مقاليد النهى الأمم
لا شيء أخشى إذا ما كنت لي

23 - المصدر نفسه، ص 156.

24 - الضبي: بغية الملتمس، ص 475.

25 - المقري: نفع الطيب، 305/5.

أوي إليه ولا يعروني العدم

www.alukah.net لا زلت بالعزة القعساء مرتدياً

حتى تذلل إليك العرب والعجم

فاستحسن الحكم شعرها وأمر لها بإجراء راتب، ولما مات الحكم، قصر جابر بن لييد - عامل البيرة - في حقها، فبعثت بقصيدة أخرى إلى الأمير الجديد عبد الرحمن الثاني⁽²⁶⁾. فرق لها عبد الرحمن وأمر لها بجائزة، كما أقرها على أملاكها.

وبعد ذلك، نجد الشعر في عهد الإمارة يتسم بالتجديد في الموضوعات والميل إلى العاطفة. وفي أواخر عهد الإمارة، ابتعد الشعراء عن التقليد فبرزت شخصيتهم في شعرهم حتى اخترعوا الموشحات بفضل انتشار الشعر والغناء في المجتمع الأندلسي.

3 - الشعر في عصر الخلافة:

تبدأ الخلافة في الأندلس باتخاذ عبد الرحمن الثالث لقب الخليفة سنة (316 هـ - 929 م)، ولأول مرة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية، يظهر ثلاثة خلفاء مستقلين في آن واحد (الخليفة العباسي في بغداد، والخليفة المعز لدين الله الفاطمي في القاهرة، والخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر في الأندلس). وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ظهرت الوطنية الأندلسية، كما عمل على توحيد جموع الأندلسيين والقضاء على الفتن الداخلية والمناوشات الخارجية.

وفي عهده أيضاً، شهدت الأندلس نوعاً من الرفاهية والازدهار في شتى الميادين حتى سمي هذا العصر بالعصر الذهبي للأندلس.

26 - المصدر نفسه، ص 306.

ومن أعماله الخالدة بناؤه لقصر الزهراء وجامعها وغيرها من

الجوامع والمدارس التي شيدها في بلاده. www.alukah.net

وكان ابنه الحكم الثاني من بعده قد جمع الكتب النادرة من كافة أنحاء البلاد العربية وأنفق عليها مبالغ طائلة حتى كَوّن مكتبته الشهيرة التي كانت تُعد من أكبر مكتبات البلاد في ذلك الوقت⁽²⁷⁾. وكان الحكم قد بعث إلى أبي الفرج الأصفهاني بألف دينار ليرسل إليه بنسخة من كتابه "الأغاني" قبل أن يظهر في المشرق⁽²⁸⁾. تأدب الحكم على يد أبي علي القالي الذي قدّم الأندلس من المشرق في عهد الناصر، ومعه مجموعة ضخمة من أمهات الكتب العربية أغلبها من الدواوين لفحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين.

وفي هذه الفترة، ظهرت الكتب النثرية القيّمة، ولعل أشهرها كتاب "الحدائق" لأبي عمر بن فرج الجيّاني المتوفى سنة (366 هـ - 976 م)، وهو شاعر وفيلسوف ألف كتابه المذكور للحكم الثاني، يعارض فيه كتاب "الزهرة" لابن داود الأصفهاني الظاهري الذي يُعد أول محاولة للحب الأفلاطوني. ومن شعر ابن فرج الجيّاني في الحب العفيف قوله⁽²⁹⁾:

وظائعة الوصال عدوتُ عنها

وما الشيطان فيها بالمطاع

بدتُ في الليل سافرةً فباتت

دياجي الليل سافرةً القناع

27 - الضبي: بغية الملتمس، ص 18.

28 - المقرئ: نوح الطيب، 370/1.

29 - الضبي: المصدر السابق، ص 152 - 153.

وما من لحظة إلا وفيها

إهداء من شبكة إلى فتن القلوب لها دواع

فملكت النهى جمحات شوقي

لأجري في العفاف على طباعي

وبت بها مبيت السقب يظماً

فيمنعه الكعام من الرضاع

كذاك الرّوض ما فيه لمثلي

سوى نظر وشمٍ من متاع

ولست من السوائم مهملاتٍ

فاتخذُ الرياض من المراعي

جاء من بعده ابن حزم القرطبي، واشتهر بكتابه "طوق الحمامة في الألفة والألاف". ولابن حزم شعر كثير في شتى الأغراض، وكتب أخرى في الأدب والفقه والفلسفة وغيرها.

وكان في عهد عبد الرحمن الناصر أيضاً، ابن عبد ربه صاحب كتاب "العقد" المتوفى سنة (328 هـ - 931 م)، وله شعر كثير ولم يصل إلينا من ديوانه إلا القليل. ومن زهديات ابن عبد ربه قوله في أواخر أيامه⁽³⁰⁾:

بليت وأبليتني الليالي وكرها

كلاني لما بي عاذلي كفاني

طويتُ زمانِي برهة وطواني

وصرفان للأيام معتمران

وما لي لا أبلي لسبعين حجة

وعشر أتت من بعدها سنتان

30 - المصدر نفسه، ص 150 - 151.

فلا تسألاني عن تباريح علتني

إهداء من شبكة الألوكة ودونكما مني الذي ترياني

وإني بحمد الله راج لفضله

ولي من ضمان الله خير ضمان

ولست أبالي من تباريح علتني

إذا كان عقلي باقياً ولساني

هُما ما هُما في كلِّ حالٍ تُلمَّ بي

فذا صارمي فيها وذاك سناني

وقيل إنه كان من أوائل الوشاحين، غير أن موشحاته لم

تصل إلينا، إن لم يكن المؤرخون قد خلطوا بينه وبين ابن عمه.

ومن شعراء عبد الرحمن الثالث أيضاً، عبد الرحمن بن عثمان

الأصم، شاعر من شعراء بني أمية، ومن شعره قوله⁽³¹⁾:

أرى المهرجان قد استبشرا

غداة بكى المزن واستعبرا

وسرّبلت الأرض أفواهاها

وجلّت السندس الأخضرأ

وهزّ الرياح صنابيرها

فضوّعت المسك والعنبرا

تهادي به الناس الطافهم

وساما المقل به المكثرا

ولو كنت أهدي إلى موئلي

عقائل ما دبّ فوق الثرا

وقارنت أيسر آلائه

31 - المصدر نفسه، ص 368.

بها لاحترقت له الأكثرا

www.alukah.net بعثت بشكر حكي سكرًا

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

وإن خالف المنظرُ المخبرًا

بشين كسين بلا عجمة

وكاف ككاف وراء كرا

وكان الشاعر إسماعيل بن بدر الكاتب يستهل قصيدته بمقدمة شاذة قبل أن يتطرق إلى مدح عبد الرحمن الثالث⁽³²⁾. أما عبيد الله بن يحيى الوزير، فكان من أوفر الشعراء أدبا، ومن شعره في الورد قوله⁽³³⁾:

تخلت من الورد الأنيق حدائقه

وبان حميد الأنس والعهد رائقه

أقام كرجع الطرف لم يشف غلة

ولم يرو مشتاق الجوانح شائقه

فما كان إلا الطيف زار مسلماً

فسرُّ ملاقية سيء مفارقه

على الورد من ألف التصابي تحية

وإن صدمت ألف التصابي علائقه

ويهنئ الخدود الناضرات انفرادها

برود الحياء المستجد شقائقه

ومن ذلك أمثلة كثيرة من القصائد التي اتخذت من الطبيعة موضوعاً مستقلاً، وطرقت الوصف بأروع المعاني والصور. ومن أولئك الشعراء سعيد بن فرج، وهو أخو أحمد بن فرج الجياني

32 - مجهول: أخبار مجموعة، ص 164.

33 - الضبي: بغية الملتمس، ص 355.

صاحب "الحدائق". اشتهر بوصف الطبيعة، ومن شعره قوله (34):

www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة
للروض حسن فقفا عليه

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

واشرف عنان الهوى إليه
أما ترى نرجساً نضيراً
يومي إلينا بمقلتيه
نشرتُ حبي على رفاه
وصُفرتي فوق وجنتيه
فهو أنا تارة وألفي
أخرى وفاقاً بحالتيه

ومن بين الشعراء الذين تغنوا بالورد في هذه الفترة جهور
بن أبي عبده أبو الحزم الوزير، وقد جاء بمعان وصور جديدة لم
تُطرق من قبل في الشعر الأندلسي، ومن ذلك قوله (35):

الوردُ أحسنُ ما رأت عين وأزكي
ما سقى ماء السحابِ الجائِدُ
خضعتُ نواوير الرياض لحسنه
فتدللت تنقاد وهي شوارِدُ
وإذا تبدى الورد في أغصانه
ذلوا فذا مَيّتٌ وهذا حاسدُ
وإذا أتى وفد الربيع مبشراً
بطلوع صفحته فنعم الوافِدُ
ليس المبشّر كالمبشّر باسمه
خبر عليه من النبوة شاهدُ

34 - المصدر نفسه، ص 306.

35 - المصدر نفسه، ص 261.

وعاش في عهد الحكم الثاني الشاعر يوسف بن هارون الرمادي، وهو شاعر مشهور تطورت على يده الموشحات غير أنه لم يصل إلينا شيء منها. ولما أمر الحكم الثاني بإراقة الخمر في سائر الجهات بالبلاد، ردّ الشاعر الرمادي على موقف الخليفة في قصيدة مشهورة، ملؤها الأسلوب الجميل والمعاني المستحدثة، يقول منها⁽³⁶⁾:

بَحَطَبَ الشارِبِينَ يَضِيقُ صَدْرِي
وَتُرْمَضُنِي بِلَيْتِهِمْ لَعَمْرِي
وَهَلْ هُمْ غَيْرُ عَشَّاقٍ أَصَابُوا
بِفَقْدِ حَبَائِبٍ وَمُنُوا بِهَجْرٍ
أَعَشَّاقَ الْمُدَامَةِ إِنْ جَزَعْتُمْ
لُفِرَقْتَهَا فَلَيْسَ مَكَانَ صَبْرٍ
سَعَى طَلَابُكُمْ حَتَّى أَرِيقْتَ
دَمَاءٌ فَوْقَ وَجْهِ الْأَرْضِ تَجْرِي
تَضَوُّعَ عَرَفْهَا شَرْقًا وَغَرْبًا
وَطَبَّقَ أَفْقَ قُرْطِبَةَ بَعْضِرٍ
فَقَلَّ لِلْمُسْفَحِينَ لَهَا بَسْفَحٍ
وَمَا سَكَنْتَهُ مِنْ ظَرْفٍ بِكُسْرٍ
وَلِلْأَبْوَابِ إِحْرَاقًا إِلَى أَنْ
تَرَكْتُمْ أَهْلَهَا سَكَّانَ قَضِرٍ

36 - الحميدي: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، بيروت 1983، 43/1.

أما الشاعر المنذر بن سعيد البلوطي، فكان أديبا بليغا، كلفه الحكم الثاني باستقبال سفراء الإفرنج في قصره، فكان يلقي الخطب والقصائد الشعرية في مراسيم استقبال السفراء الأجانب والاحتفالات التي كان يحضرها هؤلاء النصارى الأجانب.

واشتهر في هذه الفترة كذلك ابن هانئ الأندلسي الذي كانت له منزلة كبيرة بالأندلس حتى غادرها مضطرا إلى عدوة أفريقية، ومات في ظروف غامضة، وله شعر مجموع. كان يُلقب بـممتنبي المغرب، وقد خصَّ جلَّ شعره لمدح السلاطين والرتاء ووصف السيوف.

وفي عهد المنصور بن أبي عامر ظهر الشاعر ابن درّاج القسطلي وهو من مشاهير الشعراء في وقته. وفي تلك الفترة أيضا وقد صاعد البغدادي من ديار الموصل. لقد صنّف عدة كتب في اللغة والنحو، وله شعر كثير في مدح بني عامر، ومنه قوله في المطرف⁽³⁷⁾:

إليك حدوتُ ناجيةُ الركاب
محملةُ أماني كالهضاب
وبعتُ ملوكَ أهل الشرق طراً
بواحدِها وسيدها اللباب

انتشر الشعر في عصر الخلافة وخرج من البلاط إلى العامة، بل وحتى الخلفاء أنفسهم كانوا يقرضون الشعر، ومنهم الخليفة عبد الرحمن الثالث الذي يقول من قصيدة له⁽³⁸⁾:

37 - الضبي: بغية الملتمس، ص 320.

38 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 1/184.

ما كلُّ شيءٍ فقدتُ إلا عَوْضني اللهُ عنه شَيْئاً
إني إذا ما منعتُ خَيْرِي وَجَّهتُ تَباعدَ الخَيْرُ من يَدَيَا
من كان لي نعمةٌ عليه فإنَّها نعمةٌ عليّ

وكان سليمان بن الحكم المستعين الملقب بالظافر أيضا شاعرا وله قصيدة طويلة عارض بها الأبيات التي تُنسب إلى هارون الرشيد في "الأنسات الثلاث"⁽³⁹⁾. وكان عبد الرحمن الرابع الملقب بالمستظهر شاعرا كذلك وقد نظم الشعر في ابنة عمّه، أم الحكم بنت المستعين⁽⁴⁰⁾:

حمامةٌ بيت العبشميين رفرفت
فطرتُ إليها من سراتهم صفراً
تقلُّ الثرايا أن تكون لها يداً
ويرجو الصباح أن يكون لها نحراً
وإني لَطَعَانٌ إذا الخيل أقبلتُ
جوانبها حتى ترى جونها شقراً
ومكرمٌ ضيفي حين ينزلُ ساحتِي
وجاعلٌ وفري عند سائله وقراً

بلغ الشعر الأندلسي في فترة الخلافة مرحلة متميزة من مراحل تطوره، لقد ظهر الاتجاه المحافظ في صورة جديدة ابتعد بها عن التقليد الحرفي للمشاركة. وفي الفترة نفسها ظهر الاتجاه المستحدث الذي انفرد به الأندلسيون دون غيرهم. هذه العوامل مجتمعة أدت إلى ظهور اتجاه متحرر على يد مقدم الرمادي وغيرهما من الأندلسيين، إلا أنه لم يصل إلينا شيء من إنتاجهم

39 - الضبي: بغية الملتبس، ص 25.

40 - المصدر نفسه، ص 31 - 32.

يتميز الشعر الأندلسي بالرقّة وجمال الأسلوب ويغلب عليه الخيال والطيّف، يرتكز على الوصف وعدوبة الألفاظ أكثر مما يرتكز على المعاني، لأن أصحابه ابتعدوا عن التيارات الفلسفية والعمق في المعاني، ولأنهم أيضا كانوا يتغنّون به، فأكثره صالح للغناء. وكان الشاعر الأندلسي ميالاً للأوزان الخفيفة التي تتلاءم والألحان الموسيقية السائدة وقتذاك.

وفي مقدمة الأغراض التي عالجها الشعر الأندلسي الغزل والنسيب، وذلك نظرا للترف الذي كان سائدا في المجتمع، وكثرة الجوّاري والغلمان الذين ينحدرون من مختلف الأجناس، بالإضافة إلى الطبيعة الأندلسية الخلابة. وغالبا ما تُنظّم قصيدة الغزل في مجالس اللهُو والمرح في ليالي الأُنس التي لا تخلو من الموسيقى والغناء. هذه من أهم العوامل التي أدّت إلى انتشار شعر الغزل والنسيب وتطوّره في تلك الفترة.

أما الوصف فقد أمعن فيه الأندلسيون كثيرا، فهم يشبّهون الشيء الصغير بالكبير، ولا يتركون شيئا إلا ووصفوه. لقد دقق الأندلسيون في الأوصاف وتفننوا فيها حتى فاقوا المشاركة في هذا الميدان. وكانت الطبيعة الأندلسية الفاتنة العامل الرئيس الذي أوّلع الشعراء بهذه الأوصاف، فكان الشاعر إذا تغزّل يصف المرأة بأوصاف الطبيعة، فالمرأة عندهم صورة من محاسن الطبيعة.

وتغنّى الأندلسيون أيضا بالخمرة ووصفوا مجالس الشرب لأن العنب كان متوفرا بكثرة في هذا البلد الجميل. وطرق

الأندلسيون أيضا باب المدح، صدروه بوصف الطبيعة والغزل ووصف الخمرة، وأغلب مديحهم وجهود إلى الأمراء. أما الهجاء فهو ضعيف بالنسبة إلى الأغراض الأخرى، ويكاد ينعدم في أيام الخلافة، وقد يكون شيء منه في الرد على النصارى المتعصبين والمستهترين بالدين الإسلامي وحلفائهم من المولدين المرتدين الذين كانوا يناوئون المسلمين في بلاد الأندلس.

واشتهر الأندلسيون أيضا بالحماسة وتصوير الملاحم البطولية، ولعل أشهر شعراء الفروسية هو سعيد بن جودي وجاءت بعده كوكبة من الشعراء الفرسان في الأندلس. أما الفخر فهو أقل بكثير من الأغراض الأخرى، ولم يظهر إلا في الأيام الأولى من عصر الإمارة بسبب النزعة العنصرية. وتلاشت هذه العصبية بعد تأسيس الخلافة نظرا لكثرة المولدين وكون جلّ الأمراء ينحدرون من أمهات أعجميات.

كما نظم الأندلسيون شعر الرثاء، وبعد نهاية دولة بني أمية وسقوط الأقاليم الأندلسية في يد النصارى مال الأندلسيون إلى رثاء الدول والممالك البائدة، وبرزوا في هذا الغرض نتيجة إخلاصهم لوطنهم وتعلقهم بأرض الأندلس. كما ظهر أيام احتضار الأندلس لون جديد من الشعر هو الشكوى والاستعطاف والاستنجاد. وهذه الأنواع تكاد تتصل بالرثاء لما فيها من بكاء على الماضي المجيد وتألم من واقع البلاد لما نالها من نكبات.

5 - التجديد في الشعر الأندلسي:

كان الشعر في عصر الولاة يتسم بالتقليد، وكان في أغلبه مقطوعات شعرية نظمها أصحابها على منوال القصائد المشرقية. ومن الطبيعي أن يكون الشعر كذلك، لأن أصحابه في تلك

وفي عهد الإمارة، كان الشعر يتأرجح بين التقليد والتجديد. ومن أبرز مظاهر التجديد في تلك الفترة، شعر الأراجيز التاريخية التي سجلت أحداث المجتمع الأندلسي في ذلك العصر، ومنها أرجوزة يحيى بن الحكم البكري التي تروي تاريخ الأندلس منذ دخول طارق بن زياد حتى عهد عبد الرحمن بن الحكم.

وفي عهد الخلافة الأموية بالأندلس، ظهر المجددون في الشعر والنثر، وذلك بفضل النزعة الأندلسية التي طغت على المجتمع في عهد عبد الرحمن الناصر، ورعاية الخلفاء والوزراء للأدباء. ومن أبرز المجددين في تلك الفترة ابن هاني الأندلسي. ويُعد ابن زيدون من الشعراء البارزين في الحب والطبيعة الذين عاشوا بعد انهيار الخلافة. وأما ابن خُفاجة الذي ظهر في عصر الطوائف، فهو ممن أبدعوا في وصف الطبيعة وتصويرها.

لقد أبدع الأندلسيون في جوانب شتى من الشعر الأندلسي كالأراجيز والزهريات ورتاء المدن والاستعطاف وغيرها. كما تفننوا في استعمال الألفاظ وجمال الأسلوب كاشتقاقهم لكثير من الكلمات واقتراضهم لأخرى، بل ذهبوا إلى اختراع ألفاظ جديدة معربة تتناسب وحياتهم الغنائية. كما اجتهدوا في اختيار الحروف والكلمات التي تؤدي إلى الانسجام الموسيقي، وهذه الظاهرة لم يسبقهم أحد إليها من قبل.

ولئن كان الأندلسيون في بداية عهدهم يقلدون إخوانهم المشاركة في شتى مجالات الأدب، إلا أنهم كانت لديهم الرغبة الشديدة في منافسة شعراء المشرق ومعارضتهم والخروج حتى

بعد أن تمكّن الأمويون من القضاء على الفروق الاجتماعية التي كانت سائدة بين العرب وغيرهم من المسلمين في الأندلس، ازداد عدد المولّدين في عصر الخلافة وأصبح الأندلسيون جميعهم يتعصبون لبلادهم. وكل هذا أدى إلى شيء من التطوّر في الشعر الأندلسي بحيث وظّف الشعراء في عهد الناصر الألفاظ العامية في قصائدهم كما ابتكروا الأوزان الموسيقية فانتشر الغناء في ربوع الأندلس، وكان من الطبيعي أن يتطوّر معه الشعر، فظهر لون جديد اسمه فن التوشيح.

نظّم الشعراء الموشح على نظام المقطوعات الشعرية بصفة محكمة، وابتكر الوشّاح أوزانا جديدة كما أدخل ألفاظا عامية وعجمية على القسم الأخير من الموشحة. وفي أواخر عصر الخلافة استحدث الشعراء الأندلسيون فناً آخر هو الزجل الذي نظّموه على متوال الموشحات، لكن بلغة مجردة من الإعراب. وكل ذلك ظهر نتيجة اختلاط الأندلسيين وتسامحهم فيما بينهم، الأمر الذي أفضى إلى هذا التنوع الثقافي.

1 - تعدد القافية في الشعر العربي:

يتفق أدباء العرب والمؤرخون على أن الشعر العربي هو أول نظم عرف القافية في التاريخ، وكان أول ما وصل إلينا من الشعر المقفى القصائد الموحدة القافية المثبتة في نهاية الأعجاز. وقد سار على هذا النمط الشعراء في المشرق والمغرب، إذ جاءت أغلب أشعارهم على رتبة القافية ووحدة الوزن. ورغم إصرار الشعراء المحافظين على التقليد بهذا التقليد، فإن شعرهم لم يخل من بعض الاستثناءات خرجت به عن المألوف.

لقد مر الشعر العربي منذ العصر الجاهلي بحالات تطور ارتكزت أساسا على البناء الداخلي للقصيدة. فظهرت قصائد شعرية بُنيت أقسمتها من صدور وأعجاز على قافية واحدة وأخرى على أكثر من قافية، ولم يعط القدامى اصطلاحا أو تفسيرا لهذا النوع من الشعر واعتبروه تعبيراً عابرا. ومن ذلك أمثلة كثيرة وردت في الشعر القديم، منها ما جاءت أقسمته على قافية واحدة كقول دويد بن نهد القضاعي الذي عمّر طويلا وأدرك الإسلام:

اليوم يبني لدويد بيته
لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحدا كفيته
يا ربّ نهب صالح حويته
وربّ عبل خشن لويته

وقد عدّ ابن قتيبة مثل هذه المقطوعات الشعرية، من قول

الشعراء الأوائل⁽¹⁾، بمعنى أن هذا النوع من الشعر قد سبق القصيدة المشطّرة التي تأتي قافيتها على الأعجاز فقط. غير أن الشعر يبدأ بالبحث عن القافية وأن القصائد التي صدورها مرسلّة لا تُعد تنوعاً في القافية بل مرحلة أولى لم تدركها القافية. لذا نرى أن القصائد الموحّدة القافية والتي صدورها مرسلّة ظهرت عند العرب مباشرة بعد الشعر الذي لم يعرف القافية. وأما القصائد المصرّعة أو التي بنيت على أقسمة فردية موحّدة القافية فهي تالية لهما.

ولعل ما يؤكّد ذلك ما أورده ابن رشيق (ت 456 هـ - 1064 م) عن امرئ القيس الذي كان يصرّع أكثر من بيت في قصيدته، وقد عدّ صاحب "العمدة" هذا النوع من التصريح تكلفاً، والأبيات التي نظّمها امرؤ القيس على هذا المنوال هي⁽²⁾:

تروح من الحيّ أم تبتكرُ
وماذا عليك بأن تنتظرُ
أمرخُ خيامهم أم عَشْرُ
أم القلب في إثرهم متحدِرُ
وشاقتك بين الخليط الشطُرُ
وفيمن أقام من الحي هرُ

هذه المقطوعة المصرّعة مهّدت الطريق إلى ظهور نوع آخر من الشعر يسمّى الرجز، وقد سميّ كذلك لتصريح جميع

1 - ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر 1966، ص 104.

2 - ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، الطبعة الرابعة، بيروت 1972، 1/174.

أبياته⁽³⁾، ويكون رسم قافيته على شكل (أ أ أ)، وقد يكون أيضا على هذا الشكل (أ ب، أ ب) كقول نساء المدينة المنورة حين استقبلن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بعد هجرته من مكة المكرمة:

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا الله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع

ثم تطور الشعر المرجز إلى المزدوجات والقصائد المقطعية. وقد وردت مقطعات كثيرة في الشعر الجاهلي نظمها أصحابها على أكثر من قافية، فمن ذلك ما قالته الخنساء، وهي مقطوعة على شكل (أ أ ب، ج ج ج ب)⁽⁴⁾:

حامي الحقيقة	محمود الخليفة
مهدي الطريقة	نفاع وضار
جواب قاصية	جزار ناصية
عقاد أويبة	للخيل جرار

هذه المحاولات التي انحصرت في نطاق البيت الواحد تسمى عند البلاغيين العرب التسهيم، وقد جاءت أشطر الأبيات المسهّمة مسجّعة اختلفت قوافيها الداخلية عن قوافي الأعجاز. وقد تأتي بعض القصائد على هذا المنوال إلا أن قوافيها تكون على طراز واحد، ومنها أرجوزة الشاعر سلم الخاسر (ت 180 هـ - 796 م) في مدح موسى الهادي، وقد نظمها على جزء واحد رغبة في

3 - المصدر نفسه، ص 183.

4 - شهاب الدين الحلبي: حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد، بغداد 1980، ص 208.

موسى المطر، غيث بكر
ثم انهمر، ألوى المرر
كم اعتسر، ثم ايتسر
وكم قدر، ثم غصر
عدل السير، باقي الأثر
خير البشر، فرع مضر
بدر بدر، والمفتخر
لمن غير

ولم يول العرب القدامى اهتماما لكثير من المحاولات الخارجة عن المألوف واعتبروها حالات عابرة في الشعر العربي إلى أن ظهرت الأراجيز المزدوجة في العصر الأموي، وهو نظم لا يختلف عن القصيدة إلا من حيث القافية، وهذا يتمثل في المرحلة الأخيرة من تطور الرجز، إذ يكون لكل جزأين منه قافية معينة. وقد نظمه الأندلسيون أيضا، ومن ذلك الأرجوزة التاريخية التي كتبها ابن عبد ربه صاحب "العقد" في مغازي عبد الرحمن الناصر، يقول في أولها(6):

سبحان من لم تحوه أقطار
ولم تكن تدركه الأبصار
ومن عنت لوجهه الوجوه
فماله نداء ولا شبيهه
سبحانه من خالق قدير
وعالم بخلقهِ بصير
وأول ليس له ابتداء
وأخر ليس له انتهاء

5 - ابن رشيق: العمدة، 185/1.

6 - ابن عبد ربه: الديوان، مؤسسة الرسالة، بيروت 1979، ص 181.

أَوْسَعَنَا إِحْسَانَهُ وَفَضْلَهُ

إِهْدَاءٍ مِنْ شَبْحَةِ الْإِلَهِ وَعَزَّ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِثْلَهُ

وَجَلَّ أَنْ تُدْرِكَهُ الْعَيْونُ

أَوْ يَحْوِيَاهُ الْوَهْمُ وَالظَّنُونُ

لَكِنَّهُ يَدْرِكُ بِالْقَرِيحِ

وَالْعَقْلِ وَالْأُبْنِيَةِ الصَّحِيحِ

نلاحظ من خلال هذه القصيدة أن المزدوجة تفتقر إلى الإيقاع الداخلي والصور الجمالية بل هي تعتمد على الوقائع التاريخية أو تكون تعليمية موجّهة للحفاظ والتعلم، وتكون قافيتها (أ، ب، ج، د، هـ، ج). وقد ظهر هذا النوع من الشعر في الأدب الفارسي باسم الدوبيت أي الشعر المزدوج الأبيات، وهي القصيدة التي لكل بيتين منها قافية واحدة. إلا أن الشعر المزدوج الأقسمة كان قد ظهر عند العرب قبل الشعر المزدوج الأبيات، وأن هذا الأخير يُعد تطوراً له. كما أن هذا النوع من الشعر المزدوج عُرف عند الشعراء العرب قبل أن يظهر الدوبيت الفارسي.

كانت هذه المحاولات التي خرجت عن المؤلف أولى بوادر التجديد في الشعر العربي، كما كانت حافزاً مكنّ الشعراء من بلوغ شعر المقطوعات وتفننوا في نظمهم. وهناك أنواع أخرى من الشعر المتعدد القوافي في ديوان العرب يجدر بنا الإشارة إليها.

2 - الأراجيز والمسمطات:

ظهرت الأراجيز المقطعية عند العرب نتيجة تطور الأرجوزة المزدوجة الأقسمة، فأصبحت الأرجوزة مثلثة أو مربعة أو خمسة. وهذا النوع من الشعر ضرب من الشعر المقطعي، لأن القصيدة تتكون من عدة مقطوعات تختلف كل منها بقافيتها عن

لكن سلمت اليوم من غدري
ومن تناهيه ومن جورهِ
فلا تلم من حار في أمرهِ
وقال من فرط صباباته
آه من العشق وحالاتهِ
أحرق قلبي بحراراتهِ
كن عاذر العشاق في حالهم
ولا تكن عوناً على عدلهم
إياك أن تشتد في حبهم
مجرعاً من حر لوعاته
آه من العشق وحالاتهِ
أحرق قلبي بحراراتهِ

ثم بعد ذلك أضيف قسيم رابع فأصبحت الأرجوزة مربعة.
ويكون رسم قافية الأرجوزة المربعة: (أ أ أ، ب ب ب، س س س
س س س)، فمن ذلك ما رواه الزجاجي عن أحد الشعراء قوله⁽⁸⁾:

سقى طللاً بحزوي	هزيمُ الودق أحوي
عهدنا فيه أروى	زماناً ثم أقوى
وأروى لا كنودُ	ولا فيها صدودُ
لها طرف صيودُ	ومبتسم برودُ
لئن شط المزارُ	بها ونأت ديارُ

7 - انظر القصيدة في ديوان ألف ليلة وليلة، بغداد 1980، ص 323.

8 - ابن رشيق: العمدة، 181/1.

فقلبي مُسْتَطَارٌ وليس له قرارٌ

اهد سـتدنيها ذمـلؤل جـلفعة ذلؤل

إذا عرضت هـجول تقصّر ما يطول

وهناك نوع آخر يسمّى الخمس وهو "أن يؤتى بخمسة أقسمة على قافية ثم بخمسة أخرى في وزنها على قافية غيرها كذلك"⁽⁹⁾، وهي الأرجوزة التي رسمها (5 أ، 5 ب، 5 س). وهذا النوع من الشعر في علمنا، لم يستعمل كثيرا في الشعر العربي على خلاف الأراجيز المربعة التي أكثر منها القدامى.

أما المسمطات فهي تنقسم إلى عدة أنواع منها الثلاثيات (أ أ ب، ج ج ب، س س ب)، وكذلك الرباعيات (أ أ ب، ج ج ب، س س ب)، وأكثرها الخماسيات (أ أ أ ب، ج ج ج ب، س س س ب). وأما القافية التي تتكرر في التسميط والتي رمزنا لها بحرف الباء فهي "تسمّى عمود القصيدة"⁽¹⁰⁾ عند علماء البلاغة، وهي تماثل القفل في الموشحات والأزجال.

يرى صفي الدين الحلي "أن التسميط هو أن يصير الشاعر كل بيت أو بيتين أربعة أقسام، ثلاثة منها على نسج واحد مع مراعاة القافية". فيكون شكل القصيدة هكذا: (أ أ ب، ج ج ب، س س ب). ومن أمثلة تقسيم البيت الواحد إلى أربعة أقسام قول الشاعر⁽¹¹⁾:

فالحق في أفق والشرك في نفق

9 - المصدر نفسه، ص 180.

10 - نفسه.

11 - صفي الدين الحلي: شرح الكافية البديعية، تحقيق د. نسيب نشاوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص 196.

والكفرُ في فرقٍ والدينُ في حَرَمٍ

ومن أمثلة تقسيم البيتين إلى أربعة أقسام حسب تصور البلاغيين، قول أبي البقاء الرندي (ت 684 هـ - 1285 م) من قصيدة له يسميها "مربعة"⁽¹²⁾:

كم دُعينا لغيركم فأبينا
وضحكتمُ تدللاً فبكينَا
يا قُساةَ القُلُوبِ رفقاً علينا
ما خُلِقنا بينَ الأنامِ حديدا
يا قُدودَ العُصونِ عندَ التثني
ما لكم في عذابنا بالتجني
قد قنعنا حتى نسينَا التمني
وخضعنا حتى بسطنا الخُدودَا
كم شكونا إليكمُ لو رحمتُمُ
وعلمتم من حالنا ما علمتمُ
كلَّ يومٍ نزيدُ حُباً وأنتمُ
لا تزيدون فيه إلا صُدودَا
أه من ضيعةِ القُلُوبِ لديكمُ
حسبنا أن نضرَ منكمُ إليكمُ
ما لنا في الهوى اختيارُ عليكمُ
غايةُ الصبِّ أن يموتَ شهيدا
يا عُقوداً قد نظمتِ وسلوكَا
ما وجدنا إلى سواها سلوكَا

12 - د. محمد رضوان الداية: أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت 1976، ص 130.

أما ابن رشيق فهو يرى أن المسمط هو "أن يبتدئ الشاعر بيت مصرع ثم يأتي بأربعة أقسمة على غير قافيته، ثم يعيد قسيما واحدا من جنس ما ابتداء به وهكذا إلى آخر القصيدة"⁽¹³⁾. فيكون شكل القصيدة (أ أ ب ب ب أ، ج ج ج ج أ) وهو بذلك لا يختلف عن الكثير من الأزجال التي وردت في ديوان أبي بكر بن قزمان الأندلسي (ت 554 هـ - 1160 م)، إذ يكون المطلع فيها من قسيمين والأفضال من قسيم واحد على القافية نفسها. وقد استشهد ابن رشيق بمسمطة تنسب إلى امرئ القيس أولها⁽¹⁴⁾:

توهمتُ من هند معالمِ أطلالِ
عفاهُنَّ طُولُ الدهرِ في الزمنِ الخالي
مراعٍ من هندِ خلتِ ومصايفُ
يصيحُ بمغناها صدىً وعوازفُ
وغيرها هُوجُ الرياحِ العواصفُ
وكلُّ مُسِفٍ ثم آخرِ رادفُ
بأسحم من نوءِ السماكين هَطَّالِ

وهكذا يأتي بأربعة أقسمة على أي قافية شاء، ثم يكرر قسيما على قافية اللام، وقد يكون المسمط بأقل من أربعة أقسمة حسب ابن رشيق، ويكون رسم قافيته (أ أ ب، ج ج ج ب، س س س ب). وقد يستهل الشاعر مسمطته المبنية على أقسمة مفردة ببيت

13 - ابن رشيق: العمدة، 178/1.

14 - المصدر نفسه، ص 179.

مصراع أو بيتين مصرعين، كالمقامة الحادية عشرة⁽¹⁵⁾ لأبي القاسم الحريري (ت 516 هـ - 1122 م) والتي رسم قافيتها (ا ا ا ب ب ا س س س ا).

وقد يكون المطلع في بعض المسمطات بأكثر من بيتين كما يقول صاحب "العمدة": "وربما جاءوا بأوله أبياتا خمسة على شرطهم في الأقسمة وهو المتعارف أو أربعة ثم يأتون بعد ذلك بأربعة أقسمة"، ومن أمثلة ذلك قول خالد القنّاص⁽¹⁶⁾:

لقد نكرت عيني منازل جيران
كأسطار رقّ ناهج خلق فاني
توهمتها من بعد عشرين حجة
فما أستبين الدار إلا بعرفان
فقلت لها حييت يا دار جيرتي
أبينني لنا أنى تبدد إخواني
وأى بلاد بعد ربعك حالفوا
فإن فؤادي عند ظبية جيراني
وما نطقت واستعجمت حين كلمت
وما رجعت قولاً وما إن ترممت
وكان شفائي عندها لو تكلمت
إليّ ولو كانت أشارت وسلّمت
ولكنها ضانت عليّ بتبيان

استهل هذا الشاعر قصيدته بمطلع يتكون من أربعة أبيات موحدة القافية ثم جاء بخمسة أقسمة، القسم الخامس منها يحمل

15 - أبو القاسم الحريري: المقامات، موفم للنشر، الجزائر 1989، 152/1.

16 - ابن رشيق: العمدة، 179/1.

قافية أبيات المطلع نفسها وهو بمنزلة القفل في الموشحات.

أما الثلاثي المسمط في الشعر العربي فقد نشأ عن إضافة قسم واحد إلى المزدوجات تتردد قافيته بعد كل جزأين أو بيتين من القصيدة ويكون شكلها (أ ب، ج ج ب، س س ب). ولعل أكثر المسمطات شيوعاً عند الشعراء الخماسي المسمط الذي يسمونه خمسا، فمن أمثلة ذلك قول أبي عبد الله بن أبي الخصال، وهو شاعر أندلسي (ت 540 هـ - 1145 م)، عند قيامه بمراكش يتشوق إلى قرطبة⁽¹⁷⁾:

بَدَتْ لَهُم بِالْغُورِ وَالشَّمْلِ جَامِعٌ
بَرُوقٌ بِأَعْلَامِ الْعُذَيْبِ لَوَامِعٌ
فَبَاحَتْ بِأَسْرَارِ الضَّمِيرِ الْمَدَامِعُ
وَرَبِّ غَرَامٍ لَمْ تَنْلِهِ الْمَسَامِعُ
أَذَاعَ بِهَا مِنْ فَيْضِهَا التَّصْوِيبُ
أَلَّا فِي سَبِيلِ الشُّوقِ قَلْبٌ مَوْثَلٌ
بِرُكْبٍ إِذَا شَاءَ وَالْبَرُوقُ تَحْمَلُ
هُوَ الْمَوْتُ أَلَّا إِنِّي أَتَحْمَلُ
إِذَا قَلْتُ هَذَا مِنْهَلٍ عَزَّ مِنْهَلُ
وَرَايَةٌ بَرَقَ نَحْوَهَا الْقَلْبُ يَجْنِبُ

ولابن زيدون القرطبي (ت 463 هـ - 1070 م) أيضا مسمط

خماسي بهذا الشكل كان قد نظمه وهو في السجن يذكر مدينة قرطبة وأيام صباه فيها، يقول في أوله⁽¹⁸⁾:

17 - لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، الطبعة الأولى، القاهرة 1974، 396/2 - 397.

18 - ابن زيدون: الديوان، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت، 1979، ص 37.

تَشَقُّ مِنْ عَرَفِ الصَّبَا مَا تَشَقُّ
وَمَا زَالَ لَمَعَ الْبَرْقِ لَمَّا تَأَلَّقَا
يُهَيِّبُ بَدْمَعَ الْعَيْنِ حَتَّى تَدْفِقَا
وَهَلْ يَمْلِكُ الدَّمْعُ الْمَشُوقُ الْمُصَبَّأُ
خَلِيلِي إِنْ أَجْزَعُ فَقَدْ وَضَحَ الْعَذْرُ
وَإِنْ أَسْتَطَعُ صَبْرًا فَمِنْ شِيمَتِي الصَّبِيرُ
وَإِنْ يَكُ رِزْءًا مَا أَصَابَ بِهِ الدَّهْرُ
فَضِي يَوْمِنَا خَمْرٌ وَفِي عَدِهِ أَمْرُ
وَلَا عَجَبٌ إِنْ الْكَرِيمَ مُرْزَأُ

يظهر من خلال هذه الأبيات التي استهل بها قصيدته الطويلة أن ابن زيدون قد تأثر بأبي فراس الحمداني وامرئ القيس.

ولابن زيدون القرطبي قصيدة أخرى في هذا الشكل اعتقد محقق الديوان أنها موشح، بل هي مسمطة نظمها في ذكر مدينة قرطبة ومجالس الأنس، يقول في أولها⁽¹⁹⁾.

سَقَى الْعَيْثُ أَطْلَالَ الْأَحْبَةِ بِالْحَمَى
وَحَاكَّ عَلَيْهَا ثَوْبَ وَشَى مَنَمًا
وَأَطْلَعَ فِيهَا لِلْأَزَاهِيرِ أَنْجَمًا
فَكَمْ رَفَلَتْ فِيهَا الْخَرَائِدُ كَالدَّمَى
إِذِ الْعَيْشُ غَضٌّ وَالزَّمَانُ غُلَامٌ
أَهِيمٌ بِجِبَارٍ يَعِزُّ وَأَخْضَعُ
شَنَا الْمَسْكَ مِنْ أُرْدَانِهِ يَتَضَوِّعُ
إِذَا جِئَتْ أَشْكَوهُ الْجَوَى لَيْسَ يَسْمَعُ

19 - المصدر نفسه، ص 29.

وفي اعتقادنا أن الخمسات كانت أول المسمطات تظهر إلى الوجود ثم تلتها الرباعيات، أما الثلاثي المسمط فقد ظهر نتيجة تسميط المزدوجات. لقد كانت المسمطات في بداياتها مقطوعات منفردة ووجودها في الشعر الجاهلي يدل على أنها سبقت الأراجيز.

3 - القصائد الحوارية:

أما قصائد المحاورة كالمناظرة والمساجلة فهي أيضا من الشعر المقطعي إذا زاد عدد أبيات كل مقطوعة منها على اثنين، قد تكون موحدة القافية أو متعددة القوافي. وهي القصائد التي يتناوب على نظمها شاعران فأكثر وقد ظهر هذا النوع من النظم عند العرب منذ العصر الجاهلي كما طرقة الأندلسيون في مجالس الأُنس والنزهة. وقد يحدث هذا اللون من الشعر حضوريا في مجلس أو بالمكاتبة.

أما القصائد التي تنظم بالمكاتبة فلا يزيد عدد ناظميها على شاعرين اثنين في الغالب. وقد يتناوب على نظمها شاعران كما تحدث أيضا بين شاعر وشاعرة، وأكثر القصائد التي نظمها رجل وامرأة على هذا المنوال تدور حول الغزل وهمومه من هجر وعتاب وغيرها.

ومن شعراء المساجلات في بلاد الأندلس، ابن زيدون وولادة، وقد سجلت المصادر بعض النماذج من شعرهما، وكانت أغلبها في الشوق والعتاب. وكذلك المساجلات التي أوردتها المقري في

"النفح" والتي دارت بين أبي جعفر بن سعيد وحفصة الركونية

وبين نزهون وابن قزمان وغيرهم من شعراء الأندلس. www.ashj.org

هذه القصائد التي يتناوب على نظمها شاعران فأكثر تكون مقطوعاتها متساوية الأقسمة أو متفاوتة أحيانا، كما تكون لكل مقطوعة قواف ماثلة لقوافي المقطوعات الأخرى أو مختلفة، تأتي على وزن واحد أو تختلف أوزانها من مقطوعة إلى أخرى حسب رغبة الشعراء في النظم.

أما أهم الشعر المتعدد القوافي عند العرب فهو بلا شك، الموشحات والأزجال التي ظهرت لأول مرة في بلاد الأندلس. ولهذا النوع من النظم ألوان من القافية يصعب حصرها لكثرتها وتنوعها، ابتكرها الشعراء الأندلسيون لضرورات اجتماعية وثقافية. ولم تتحرر الموشحات والأزجال الأندلسية من نظام القافية التقليدي فحسب بل تحررت أيضا في بعضها من الأوزان التقليدية وإن لم تحد عنها كثيرا.

وعلى ضوء ما مرّ بنا، نستنتج أن الشعر المتعدد القافية ظهر عند العرب منذ العصر الجاهلي بظهور الشعر المزدوج الأقسمة، إلى أن ظهرت الموشحات والأزجال في الأندلس. وقد أطلقنا عليها مصطلح "الشعر المقطعي" (Poésie strophique) وهو الشعر الذي لا يعتمد على القافية الرتيبة بل هو متعدد القوافي.

1 - الموشح لغة واصطلاحاً:

اختلف الباحثون في سبب تسمية هذا اللون من الشعر بالمَوْشَح، ويبدو أنه استمد معناه من الوِشَاح، وقد جاء في "لسان العرب" لابن منظور أن: "الوِشَاح حلي النساء، كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، تتوشَّح المرأة به"⁽¹⁾. وجاء أيضاً في "القاموس المحيط" للفيروز آبادي أن الوِشَاح هو: "كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، وهو أديم عريض يرصَّع بالجواهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحتها"⁽²⁾.

فالوِشَاح عند اللغويين نوع من اللباس ترتديه المرأة للزينة. وتوشَّحت المرأة أي لبست، ومنه اشتق تَوْشَح الرجل بثوبه⁽³⁾.

أما البلاغيون القدامى وعلى رأسهم أبو هلال العسكري (ت 395 هـ - 1004 م)، فمعنى التوشيح عندهم هو أن يكون أول الكلام دالاً على آخره وصدوره يشهد بعجزه⁽⁴⁾، ولعل هذه التسمية البديعية أقرب إلى التسمية الأندلسية. ففي بعض الموشحات المديحية يبدأ الوِشَاح بالغزل وينتهي الموشحة بالغزل أيضاً، وفيها

1 - ابن منظور: لسان العرب، بيروت 1955، مادة "وشح".

2 - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مطبعة السعادة، الطبعة الثانية، القاهرة 1332 هـ، 1/255.

3 - ابن منظور: المصدر السابق.

4 - أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، (مختارات)، القاهرة (د.ت)، ص 190. انظر أيضاً، صفي الدين الحلي: شرح الكافية البديعية، ص 74.

وانظر كذلك، شهاب الدين الحلي: حسن التوسل إلى صناعة الترسل، ص 259.

جميعاً تنبئ قوافي المطلع بقوافي الأقفال وعدد أشطر البيت

الأول تنبئ بعدد أشطر الأبيات الأخرى. www.alukah.net

من خلال آراء القدامى، نستخلص أن الموشح في اللغة هو من الفعل وشح بمعنى لبس، وقد استعيرت هذه التسمية من الوشاح الذي تلبسه المرأة بين عاتقها وكشحتها لما فيه من رونق وزخرف وجمال. فالموشح إذن، سُمي بذلك لأن أقفاله وأبياته وخرجته كالوشاح للموشحة، بخلاف الشعر التقليدي الذي يأتي على طراز واحد، أي على رتبة القافية والأوزان الخليلية المرعية؛ لأن هذا الشعر الجديد يجمع عدة ألوان، كل لون مخالف لما قبله وما بعده، وهذا يتجلى في أقسامه من أقفال وأبيات وأجزاء هذه الأقسام وقوافيها المتنوعة.

يُعد ظهور الموشح في الأندلس من أهم ثمار التجديد الذي عرفه الشعر العربي، ولا يزال الغموض يحف بنشأة هذا الضرب من الشعر وأصالته وأول من ابتكره⁽⁵⁾. وقد عرفه القدامى في تعريفات عديدة تكاد تكون متقاربة المدلول لكن بعضها جاء متعارضاً أحياناً.

كان ابن سناء الملك (ت 608 هـ - 1211 م) قد تعرض لفضن التوشيح بالدراسة في كتابه "دار الطراز في عمل الموشحات" حاول فيه استخلاص قواعد هذا الفن فقال: "الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة

5 - كان ابن سعد الخير البلنسي (ت 571 هـ - 1175 م)، أول من ألف في توشيح أهل الأندلس، كتاباً سماه "نزهة الأنفس وروضة التأنس في توشيح أهل الأندلس"، لكن هذا الكتاب لم يصل إلينا.

أقفال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع، فالتام ما ابتدئ فيه

بالأقفال، والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات" (6). www.alukah.net

يبنى الموشح حسب رأي ابن سناء الملك على أوزان لا تنطبق على الشعر التقليدي، لكنه يذكر في موضع آخر أن الموشحات تنقسم إلى قسمين الأول ما جاء على أوزان أشعار العرب والثاني ما لا وزن له فيها⁽⁷⁾. ومعنى ذلك أن أوزان الموشح لم تخرج عن أوزان القصائد ما دام قسم منها قد جاء على أوزان العرب.

أما ابن بسام (ت 543 هـ - 1147 م) فلم نجد عنده فيما يتعلق بالموشح ما يُعرف لنا هذا الفن، ولو أنه ينبه إلى اختلاف بناء الموشح عن بناء القصيدة التقليدية. قال يتحدث عن صنعة التوشيح: "وهي أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب، تشقّ على سماعها مصونات الجيوب، بل القلوب" (8).

كل ما نستخلصه من هذا التعريف هو أن الموشحات بُنيت على أوزان معينة وأنها اتجهت أكثر ما اتجهت إلى الأغراض الغزلية، كما أنها أبهرت أهل الأندلس. لكن ابن بسام فضل أن يقول أوزانا بدلاً من أشعار لتمييزها عن أوزان القريض.

وتعرض ابن خلدون (ت 808 هـ - 1405 م) لتعريف الموشح في الفصل الذي خصّصه للموشحات والأزجال حيث قال: "وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهدبت مناحيه

6 - ابن سناء الملك: دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق د. جودت الركابي، الطبعة الثانية، دمشق 1977، ص 32.

7 - المصدر نفسه، ص 44.

8 - ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1979، 469/1.

وفنونه، وبلغ التعميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فناً منه سموه بالموشح، ينظّمونه أسماطاً أسماطاً وأغصانا أغصانا، يكثرّون منها ومن أعاريضها المختلفة، ويسمّون المتعدد منها بيتاً واحداً، ويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات، ويشتمل كل بيت على أغصان. عددها بحسب الأغراض والمذاهب، وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد⁽⁹⁾.

نستخلص من كلام ابن خلدون أن الموشحات أشكال متعددة تتكوّن من أجزاء وتبني على أعاريض مختلفة. أما قوله: "ينظّمونه أسماطاً أسماطاً، وأغصانا أغصانا"، فهذا غير دقيق حسب الصورة التي انتهى إليها الموشح عند الشعراء المتأخرين الذين يتحدث عنهم.

لم يستأثر هذا الفن باهتمام القدامى وحدهم، فقد أولاه الباحثون المحدثون اهتماماً بالغاً وتعرّضوا له بالدراسة، لكنهم اختلفوا فيما بينهم حول تعريف الموشح وتسمية أقسامه باختلاف المصادر التي اعتمدوا عليها. أما المستشرقون، فإنهم لم يضيفوا شيئاً نافعا على ما جاء عند العرب في تعريف الموشح، بل اهتموا بأشكاله اهتماماً مضطرباً.

التعاريف التي جاء بها الأدباء والباحثون متعددة لكن ليس معنى ذلك أن الموشح لون قائم بذاته لا علاقة له بالشعر العربي، بل هو ضرب من ضروب الشعر العربي لا يختلف عن القصيدة التقليدية إلا في تعدد قوافيه وتنوع أوزانه أحياناً، وفي الخرجة التي يخرج بها الموشح من الفصيح إلى العامي تارة وتارة أخرى

9 - ابن خلدون: المقدمة، طبعة كاترمير، باريس 1857، 391/3.

إلى العجمي كما يختلف عنها أيضا في تسمية أجزائه. ويختلف في بعض هذه الخصائص عن الأراجيز والمسمطات. ولم يتحدث شعراء أهل الأندلس هذا اللون من النظم إلا لحاجتهم إلى التجديد الذي اضطرتهم إليه ظروف اللهُو والغناء الجماعي. فالموشح الأندلسي يُعد بذلك ثورة على الطريقة التقليدية المقيدة التي تلتزم وحدة الأوزان ورتابة القوافي وليس تمرداً على الشعر العربي في جملته وتفصيله.

2 - أصل الموشح:

إن سلسلة المحاولات التي تخللت مسيرة الشعر العربي قبل الموشح لم تبلغ ما بلغه فن التوشيح حين ظهر في الأندلس، وكل ما يمكن قوله إنها خرجت خروجاً محتشماً عن نظام القافية الرتيبية. ومن المحاولات التي خرجت عن طريقة الشعر المألوفة في المشرق نذكر المسمطات والأراجيز المقطعية.

إن الموشح لا يُعد امتداداً لهذه المحاولات لأن المؤرخين لم يسيروا إلى المسمطات قبل وأثناء ظهور الموشح في الأندلس. والذين سلكوا طريقة المسمطات من الأندلسيين يُعدون على الأصابع، ولعل أولهم ابن زيدون وقد عاش بعد ظهور الموشح.

إن التسميط لم يخرج عن التقاليد الشعرية إلا فيما يخص القافية، أما الموشحات، فضلاً عن تنوعها للقوافي، فإنها نوعت أيضاً في الأوزان كما نوعت أحياناً في اللغة وتميّزت بأسلوب رقيق، أكثرها نظم للغناء. لذلك نعتقد أن المسمطات لم تكن هي الأساس في نشأة الموشح بل إن تاريخ نشأة الموشح سابق لشيوع التسميط في الأندلس.

وهناك فريق آخر من الباحثين العرب نسب موشحة "أيها

الساقى إليك المشتكى" إلى عبد الله بن المعتز العباسي

(ت 295 هـ - 907 م)، الذي عاصر مقدم بن معاذ القبري الأندلسي. ولو قارنا هذه الموشحة بنتاج الوشاحين الأولين لوجدناها قد سبقت عصرها بأكثر من قرنين لو صحت نسبتها إلى ابن المعتز. ولم يذكر أحد ممن ترجموا لابن المعتز، وخاصة الصوّلي (ت 335 هـ - 946 م) الذي صنع ديوانه، أنه كان ينظم الموشحات أو شيئا من هذا القبيل. وأول ما وصل إلينا من توشيح أهل المشرق هي موشحات ابن سناء الملك الذي يُعد أول وشاح مشرقي.

لقد وردت الموشحة المذكورة خطأ في ديوان عبد الله بن المعتز العباسي، فاستغلها بعض الباحثين المحدثين من المشاركة في دراستهم للجزم بمشرقية الموشحات لأغراض عصبية. لكن هذه الموشحة، كما لاحظ جلّ الباحثين، تنسب في العديد من المصادر العربية إلى أبي بكر بن زهر الأندلسي (ت 595 هـ - 1198 م)⁽¹⁰⁾، وإن اللغة التي جاءت بها هذه الموشحة ليست مألوفة عند ابن المعتز، بل هي على نسج الأندلسيين.

فالموشح إذن، أندلسي النشأة وهو نوع من أنواع الشعر العربي، وقد أجمع مؤرخو الأدب القدامى على أن فن التوشيح من

10 - انظر، ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 100. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 264/1. ابن دحية الكلبي: المطرب من أشعار أهل المغرب، دار القلم، بيروت 1955، ص 204. لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، تحقيق هلال ناجي، مطبعة المنار، تونس 1967، ص 202. صلاح الدين الصفدي: توشيح التوشيح، تحقيق البير حبيب مطلق، دار الثقافة، بيروت 1966، ص 126. شمس الدين النواجي: عقود اللآل في الموشحات والأزجال، تحقيق عبد اللطيف الشهابي، دار الرشيد، بغداد 1982، ص 32.

مخترعات الأندلسيين وأشادوا ببراعتهم في هذا اللون⁽¹¹⁾.

أما المستشرقون الأسبان فقد ذهبوا إلى أن الموشحات الأندلسية قد تأثرت في نشأتها بأغان أعجمية نُظِّمت باللهجات الأيبيرية القديمة. وحين نعود إلى تاريخ أهل الأندلس نرى أن ألسنتهم كانت متعددة بتعدد أصولهم. فإلى جانب العربية الفصحى لغة الدين والدولة والآداب الرفيعة كان الأندلسيون يتحدثون أحيانا بلهجات أخرى.

غير أن اللهجات الأندلسية غير العربية لم تأت بثمارها قبل الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية باستثناء اللغة اللاتينية التي أحاطت ببعض النصوص الدينية والتراتيل الإكليروسية، ولم تر هذه الكتب النور بل ظلت دفيئة رفوف الكنائس لا يعلم بها من غير الرهبان. ولم يصل إلينا ما يؤكد أن للسكان الأصليين قبل ظهور الإسلام في الأندلس آدابا أو فنونا من هذا القبيل يَتميّزون بها إلا ما يُحتمل وجوده من أغان شعبية من عادة الناس ترديدها في الحفلات والأعراس والأسواق.

اتخذ فريق من الباحثين الأسباب موضوع اللهجات في الأندلس حجةً لتغريب أصل الموشح خاصة بعد اكتشاف بعض الخرجات العجمية في الموشحات، ولا ندري كيف أغفل هؤلاء المستشرقون الخرجات المكتوبة بعامية أهل الأندلس. لقد ذهب هؤلاء الباحثون إلى أن الخرجات العجمية التي جاءت في بعض الموشحات الأندلسية ما هي إلا بقايا أغاني الرومانث الأسبانية،

11 - انظر، ابن بسام: الدخيرة، 469/1. صلاح الدين الصفدي: توشيح التوشيح، ص 20. انظر أيضا، ابن دحية: المطرب، ص 186. انظر كذلك، ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 29. ابن خلدون: المقدمة، 391/3.

والموشحات الأندلسية إنما نشأت تقليدا لهذه الأغاني⁽¹²⁾. لكن هذا الزعم لم يتأكد بأدلة قاطعة. لأنه لم يثبت فيما إذا كانت الموشحات الأولى تحتوي على الخرجة أم لا. لأن الخرجة حسبما جاء في المصادر تمثل مرحلة من مراحل تطور الموشح.

لم تكتب كل الخرجات بالعجمية وإن أكثر الخرجات التي نُظمت بهذه اللهجة تخللتها بعض الألفاظ العربية أو العامية. ثم إن وزنها العروضي ليس فيه شيء من العجمة، بل يبعد كثيرا عن أوزان الرومان واللاتين التي خلطت بين النظامين المقطعي والمنبور، وعن الأغاني الشعبية إن كانت لها أوزان قبل الموشحات الأندلسية.

إن وجود هذه الخرجات يُعد خروجاً على اللغة التي نُظمت بها الموشحة، ولعل لفظ الخرجة يفني عن المدلول. فلما نظم الوشاح الأندلسي قطعته باللغة الفصحى، تعمد الخروج في آخر قفل عن اللغة الأصلية، فكتب الخرجة بالعامية أو العجمية أحيانا. كذلك لما كان الزجل بلغة غير فصيحة لجأ الزجال في بعض الأحيان إلى ختم أزجاله بخرجات فصيحة. وقد نظم بعض الشعراء اليهود أمثال الصمويل بن نغريلة وسليمان بن جبريول وموسى بن عزرا موشحات عبرية ذات خرجات بالعربية وأخرى باللهجة الرومانشية وذلك في القرن الخامس الهجري.

لقد نظم الوشاحون الخرجات بلهجات مخالفة للغة أقسام

12 - من هؤلاء خوليان زيبيرا، وأنخل جنثالث بالنشيا، ورامون مينندث بيدال وغيرهم. انظر، أنخل جنثالث بالنشيا: تاريخ الفكر الأندلسي، تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة 1955، ص 142 وما بعدها. وقد حدا حدوهم بعض الباحثين العرب، من بينهم بطرس البستاني. انظر كتابه، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعث، دار الجيل، بيروت 1988، ص 170 وما بعدها.

الموشحة حتى تتميز الخرجة من بقية الأفعال في الموشحة. ولم يقتبس الوشاحون أبياتا ولا أوزانا عجمية، وإن مؤرخي الأدب الأندلسي لم يشيروا إلى أن الوشاحين كانوا يأخذون الخرجات من أغنية عجمية. فقد جاء في "الذخيرة" أن الوشاح كان يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز⁽¹³⁾، وهذا يؤكد أن ما كان يعرفه الوشاحون هي الألفاظ العجمية وليست الأغاني. فالموشح من ابتكار الشعراء المثقفين وهو أندلسي المنشأ وعربي الأصل ولا يمت بأي صلة إلى مصادر أجنبية.

3 - مخترع الموشحات:

لقد اختلف القدامى في تحديد أول من نظم الموشح وجاءت بداية الموشحات في صورة يكتنفها الغموض، إذ نُسب بعض ما وصل إلينا من موشحات إلى غير أصحابها. وعن أول من اخترع الموشح يقول ابن بسام: "وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا، واخترع طريققتها، فيما بلغني، محمد بن محمود القبري الضرير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار، غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة، (...) وقيل إن ابن عبد ربه صاحب "العقد" أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي، فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكيز، (...) فاستمر على ذلك شعراء عصرنا كمكرم بن سعيد وابني أبي الحسن، ثم نشأ عبادة هذا (ابن ماء السماء)، فأحدث التضمير"⁽¹⁴⁾.

عدّ ابن بسام الشاعر محمد بن محمود القبري أول وشاح

13 - ابن بسام: الذخيرة، 469/1.

14 - نفسه.

عرفته بلاد الأندلس، غير أنه لم يُعثر على موشحاته في المصادر. وقد جاء عنه في "الجدوة" ما نصه: محمد بن محمود المكفوف القبري، أديب شاعر، ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وأنشد له في حلبة السباق⁽¹⁵⁾:

تري من يرى الميدان يجهل أنه
لأهل التباري في الشطارة ميدان
كأن الجياد الصافنات وقد عدت
سطور كتاب والمقدم عنوان

أما ابن سعيد الأندلسي (ت 673 هـ - 1274 م) فإنه اختزل ما ذكره الحميدي (ت 448 هـ - 1095 م) دون أن يضيف إليه شيئاً جديداً حول محمد بن محمود القبري⁽¹⁶⁾، ولم تذكر المصادر الأخرى جديداً يضاف إلى ما جاء في "الجدوة"، إذ لم تتطرق إلى أخبار هذا الوشاح. ولا نعرف متى ولد هذا الشاعر ومتى توفي.

ورد في "المقتطف من أزهير الطرف" اسم آخر عدّه ابن سعيد من أوائل الوشاحين الأندلسيين. قال نقلاً عن كتاب "المسهب": "إن المخترع لها بجزيرة الأندلس، مقدم بن معافى القبري من شعراء الأمير عبد الله بن المرواني، وأخذ عنه ذلك، أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد"⁽¹⁷⁾.

إن مقدم بن معافى (ت 308 هـ - 920 م) ليس هو محمد بن

15 - الحميدي: جدوة المقتبس، 152/1. انظر، الضبي: بغية الملتبس، ص 132.

16 - ابن سعيد: المغرب في حلّى المغرب، 109/1.

17 - ابن سعيد: المقتطف من أزهير الطرف، مستلة من كتاب "أعمال مهرجان ابن خلدون"، القاهرة 1962، ص 477.

محمود الذي ذكره ابن بسّام بل هو شاعر آخر؛ لأن بعض المؤرخين ذكروا أخباراً لكلا الرجلين، مما يدل على أن محمد بن محمود ومقدم بن معافى هما شاعران من قبْرة. لقد جاء في "البغية" للضبي أن مقدم بن معافى القبري، شاعر معروف في أيام عبد الرحمن الناصر، ومن مدائحه في سعيد بن المنذر، قصيدة ذكر أحمد بن فرج في كتابه أبياتا من أولها وهي⁽¹⁸⁾:

أشجيت أن طربت حمامة وادي
ميادة في ناعم ميادة
تلهو وما منيت بجفوة زينب
يوماً ولا بخيالها المعتاد
لا ترجُ إذ سلبت فؤادك زينب
عيشاً فما عيشٌ بغير فؤاد

وهذا إنما يدل على أن مقدم بن معافى القبري قد عاصر الأمير عبد الله بن محمد المرواني (ت 300 هـ - 912 م) وحفيده الخليفة عبد الرحمن الناصر (ت 350 هـ - 961 م)، وهي الفترة التي شهدت تحولات سياسية ونهضة أدبية في الأندلس. وقد انقسم الباحثون في تحديد أول من بدأ الموشحات، فمنهم من يرى أن محمد بن محمود القبري أول من اخترع هذا الفن بينما اتفق البعض الآخر على أن مقدم بن معافى القبري هو أول من نظم الموشح في الأندلس، وسار على هذا الرأي كذلك

18 - الضبي: بغية الملتمس، ص 475. أورد له ابن الكتاني بيتين من الشعر، انظر: التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت (د. ت)، ص 391. وكان الضبي قد ترجم أيضاً لمحمد بن محمود القبري، انظر: بغية الملتمس، ص 132.

المستشرقون⁽¹⁹⁾. ولم يبق لنا من موشحات مقدم بن معافى وغيره من معاصريه سوى أسمائهم التي وردت في المصادر.

أما ابن عبد ربه (ت 328 هـ - 939 م) صاحب "العقد" الذي دون فيه مختلف الأشعار عدا الموشحات، فلا نملك شيئا من موشحاته. كما أن ديوانه لا يضم شيئا من هذا القبيل. ذكره الحميدي ولم ينسب إليه أي توشيح بل أورد له مقتطفات من شعره⁽²⁰⁾. لقد غصّ ابن عبد ربه الطرف عن الموشحات في "العقد"، وقد ضمّنه عددا من قصائده ومقطوعاته في حين عدّه القدامى من أوائل الوشاحين الأندلسيين.

أما يوسف بن هارون الرمادي (ت 403 هـ - 1012 م) فيظهر من خلال أخباره وشعره المتناثر في المصادر أنه كان شاعرا بارعا في عصره، ويؤكد ذلك الفتح بن خاقان (ت 529 هـ - 1134 م) دون الإشارة إلى الموشحات بقوله: "فاشتهر عند الخاصة والعامة بانطباعه في الفريقين، وإبداعه في الطريقتين"⁽²¹⁾. ولم يصل إلينا من ديوانه إلا القليل من شعره متناثرا في ثنايا المصادر الأندلسية.

ولعل الوشّاح الأندلسي الوحيد ممن ذكرهم ابن بسّام في هذا النص والذي وصلت إلينا بعض موشحاته، هو عبادة بن ماء السماء (ت 422 هـ - 1030 م). ذكره الضبي في "البعية" بقوله: "عبادة بن عبد الله بن ماء السماء، أبو بكر من فحول شعراء

19 - انظر، أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 153. وانظر أيضا، كراتشكوفسكي: الشعر العربي في الأندلس، ترجمة محمد منير مرسى، عالم الكتب، القاهرة 1971، ص 65.

20 - الحميدي: جذوة المقتبس، ص 164.

21 - ابن خاقان: مطمح الأنفس، القسطنطينية 1302 هـ، ص 69.

الأندلس، متقدم فيهم مع علم، وله كتاب في أخبار الأندلس⁽²²⁾.
 ومن المحتمل أن يكون عبادة هذا من شعراء الجيل الثاني الذين
 تطوّرت على يدهم الموشحات، ويؤكد ذلك ابن بسام بقوله:
 "وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها، ووضعوا
 حقيقتها، غير مرقومة البرود، ولا منظومة العقود، فأقام عبادة
 هذا منادها، وقوم ميلها وسنادها، فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا
 منه، ولا أخذت إلا عنه واشتهر بها اشتهاً غلب على ذاته، وذهب
 بكثير من حسناته"⁽²³⁾.

فإذا كانت الموشحات قد ظهرت في القرن الثالث الهجري
 (التاسع الميلادي) حسب ما استقيناه من المصادر التي أرخت
 للأدب الأندلسي، فإنه لم يصل إلينا منها إلا ما يعود إلى القرن
 الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، أي ما أنتجه الشعراء على مدى
 قرن من الزمن قبل عبادة بن ماء السماء قد ضاع. فجاء عبادة هذا
 واستطاع أن يفرض هذا الفن على المجتمع الأندلسي؛ ولم تدوّن
 الموشحات إلا في القرن الخامس الهجري بعد وفاة عبادة بن ماء
 السماء، وقد أورد له صاحب "الوفيات" موشحتين⁽²⁴⁾.

أما ابن خلدون الذي كان ينقل عن ابن سعيد فإنه قال:
 "وكان أول من برع في هذا الشأن بعدهما (يعني مقدم وابن عبد
 ربه) عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المريّة"⁽²⁵⁾.
 ولم تفرق المصادر بينه وبين عبادة بن ماء السماء حتى عدّه ابن
 سعيد وابن خلدون من أوائل الوشاحين معتقدين أنه سبق ابن ماء

22 - الضبي: بغية الملتمس، ص 396.

23 - ابن بسام: الذخيرة، 469/1.

24 - ابن شاعر الكتبي: فوات الوفيات، بيروت 1974، 426/1.

25 - ابن خلدون: المقدمة، 390/3.

السماء. وسبب الخلط يعود إلى كونهما يحملان الاسم نفسه. **ومن المؤكد أن عبادة بن ماء السماء قد سبق عبادة القزاز في فن الموشحات لأن المعتصم بن صمادح (ت 484 هـ - 1091 م) الذي كان ابن القزاز شاعره قد وصل إلى الحكم سنة (443 هـ - 1051 م)، أي بعد وفاة ابن ماء السماء بأكثر من عشرين سنة، مما يدل على أن عبادة القزاز قد ظهر في أواخر أيام عبادة بن ماء السماء أو بعده بقليل.**

اختلفت مصادر الأدب أيضا في نسبة بعض النصوص إليهما، فصالح الدين الصفدي (ت 764 هـ - 1362 م) نسب موشحاً لعبادة بن ماء السماء إلى عبادة القزاز⁽²⁶⁾. وكان ابن سناء المُلْك يورد موشحة ويقول "هذه موشحة لعبادة" دون ذكر الاسم كاملا. وهكذا ساد الغموض حول هذين الرجلين. غير أن عبادة القزاز جاء متأخرا ولو قليلا عن ابن ماء السماء، وأن هذا الأخير هو صاحب هذه الشهرة ثم اشتهر بعده ابن القزاز.

لم يرد ذكر عبادة بن ماء السماء عند ابن سعيد وابن خلدون للتشابه بين اسمه واسم عبادة القزاز، وظننا أن ابن القزاز هو أول الوشاحين بعد مقدم بن معافى وابن عبد ربه. أما ابن بسام فقد أرخ لهذين الشاعرين في ذخيرته وعدهما من الوشاحين كما عد ابن ماء السماء من مشاهيرهم وعبادة القزاز ممن نسج على منواله، فقد قال: "وقد ذكرتُ فيما اخترتُ في هذا القسم من أخبار عبادة بن ماء السماء من برع في هذه الأوزان من الشعراء. وهذا الرجل ابنُ القزاز، ممن نسجَ على منوال ذلك الطراز، ورقم

26 - صالح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، الطبعة الثانية، فيسبادن 1961، 689/3.

ديباجه، ورضع تاجه. وكلامه نازل في المديح، فأما ألفاظه في هذه الأوزان من التوشيح فشاهدة له بالتبريز والشفوف...⁽²⁷⁾.

لقد كسدت موشحات محمد بن محمود ومقدم بن معافى وغيرهما من الوشاحين الأوائل بسبب النقلة الذين سكتوا عن هذا الفن لأن الاتجاه العام كان الإعراض عن ذكر الموشحات لاعتقادهم أنها خارجة عن الأعراف المألوفة. وفي اعتقادنا أن محمد بن محمود قد سبقَ مقدم بن معافى إلى هذا الفن، لأن ابن بسام كان يلتزم الدقة في تناوله الأخبار وهو أقرب عهدا إلى هؤلاء الشعراء من المؤرخين الآخرين الذين تناولوا الموشحات بالحديث، والمعلومات التي جاء بها ابن سعيد والذين جاءوا من بعده في هذا الشأن، كان مصدرها كتاب "المسهب" للحجاري الذي لم يصل إلينا.

لقد ضاعت الموشحات بسبب تحفظ المؤرخين القدامى على ذكرها وظلت فنا مسموعا أكثر من قرنين إلى أن جاء ابن سعد الخير البلبسي (ت 571 هـ - 1175 م) وألف كتابه "نزهة الأنفس وروضة التآنس في توشيح أهل الأندلس" قيل إنه ترجم فيه لعشرين وشاحا لكنه لم يصل إلينا⁽²⁸⁾.

4 - بناء الموشح:

يتكون الموشح من عدة أقسام وهي وحدات فنية مُحَكَّمة ينهجها الوشَّاح لتأدية إيقاعات نغمية منسجمة. ولم يشر أحد من

27 - ابن بسام: الذخيرة، 801/2 - 802. وكذلك فعل المقري، انظر: أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة 1939 - 1942، 252/2 وما بعدها.

28 - انظر، ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 317/2.

الوشاحين الأندلسيين الأوائل إلى تسمية أقسام موشحاتهم. فضلت ظاهرة عامة ينسج على منوالها اللاحقون حتى انتشرت الموشحات في الأندلس، فتناولها بعض المؤرخين المتأخرين وحاولوا وفق استنتاجاتهم الاصطلاح على أجزائها وأقسامها دون الاتفاق على تسمية موحدة. وفي حديث ابن بسام عن الموشحات الأندلسية أطلق اسم المركز على القفل الأخير من الموشحة في حين يسميه ابن سناء الملك الخرجة⁽²⁹⁾.

يُعد ابن سناء الملك أول من حدّد هذه المصطلحات، فيما وصل إلينا من مصادر، إذ قال: "ولم أر أحدا صنّف في أصولها ما يكون للمتعلّم مثالا يُحتذى، وسبيلا يُقتفى"⁽³⁰⁾. أشار ابن سناء الملك إلى أنه أول من صنّف أصول الموشح، ويبقى الأمر مبهماً حول المصدر الذي استقى منه هذه المصطلحات، إذ معظم الكتب الأندلسية التي تناولت الموشحات والتي سبقت عصر ابن سناء الملك لم تصل إلينا.

وقد اتفق الباحثون المحدثون استناداً إلى ابن سناء الملك في كتابه "دار الطراز" على مصطلحات تكاد تكون متداولة عند جميعهم. ولتوضيح أقسام الموشح وأجزائه، نقدّم نموذجاً نستدل به على بنائه. قال الوزير أبو بكر بن زهر الحفيد الأندلسي⁽³¹⁾:

حَيِّ الوجوه الملاحا وحَيِّ نُجَلَّ العيونِ
هل في الهوى من جناح

29 - انظر، ابن بسام: الذخيرة، 469/1. انظر أيضاً، ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 40.

30 - ابن سناء الملك: المصدر السابق، ص 31.

31 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 278/1 - 279.

وكيف أرجو صلاحاً بين الهوى والمجون
أبكى العيون البواكي
تذكر أخت السمك
حتى حمام الأراك
بكى شجوني وناحاً على فروع الغصون
ألقى إليها زمامه
صَبَّ يَدَارِي غَرَامَهُ
وَلَا يُطِيقُ اِكْتِتَامَهُ
غداً بشوق وراحاً ما بين شتى الظنون
يا غائباً لا يغيبُ
أنت البعيد القريبُ
كم تشتك القلوبُ
أثخنْتَهُنَّ جِراحاً فاترك سهام الجفون
يا راحلاً لم يودع
رحلت بالأنس أجمع
والفجر يعطي ويمنع
مرّت عيناك الملاحاً سحراً فما ودّعوني

هذا الموشح من أشهر الموشحات الأندلسية ومن أبسط
النماذج التي أكثر منها الوشاحون الأندلسيون وهو موشح تام
يتألف من ستة أفعال وخمسة أبيات وينقسم كالتالي:

أ - المطلع:

يتكون الموشح من عدة أقسام مختلفة؛ منها المطلع، وهو

المجموعة الأولى من أقسام الموشح في حين أن مطلع القصيدة هو البيت الأول منها. فإذا ابتدئ الموشح بالمطلع سُمي تاماً إلا أنه لا يشترط أن يكون لكل موشح مطلع، فالموشح يخلو أحياناً من المطلع ويسمى حينئذٍ أقرع. ويسمى المطلع مذهباً أيضاً وهو في الموشحة التي أوردناها:

حَيِّ الوجوه الملاحاً وحيِّ نجل العيون

وهو يتركب من شطرين مختلفي القافية (أ ب)، وقد تتفق قافية شطري المطلع في موشحات أخرى (أ أ) كما هو الحال في موشحة ابن بقي الطليطلي (ت 545 هـ - 1149 م) التي مطلعها⁽³²⁾:

أجرت لنا من ديار الخلِّ ريح الصِّبا عبرات ذلِّ

يتألف المطلع من جزأين على الأقل وقد يتركب من ثلاثة أجزاء فأكثر. جاء في "دار الطراز": "وأقلُّ ما يتركب القفل من جزأين فصاعداً إلى ثمانية أجزاء"⁽³³⁾، ويعني القفل المطلع أيضاً. ومثال المركب من ثلاثة أجزاء، مطلع موشحة لابن زهر الحفيد⁽³⁴⁾:

حلَّت يد الأمطار أزرة النُّوَّار

فيأخذني

ومثال المركب من أربعة أجزاء، مطلع للأعمى التطيلي⁽³⁵⁾:

32 - عدنان آل طعمه: موشحات ابن بقي الطليطلي، بغداد 1979، ص 191.

33 - ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 33.

34 - المصدر نفسه، ص 61.

35 - الأعمى التطيلي: الديوان، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1963، ص 267.

أَدْرُ لَنَا أَكْوَابُ يُنْسَى بِهَا الْوَجْدُ

أَهْوَاوِ اسْتَصْحَبِ الْجَلَّاسُ كَمَا قَضَى الْعَهْدُ

أما الموشحات التي أكثر منها الوشاحون فهي التي يتركب مطلعها من شطرين على الأقل وأربعة أشطر على الأكثر. والموشح التام لا يتصدر إلا بمطلع واحد، هذا إذا كان تاما، أما الأقرع فلا يتقدمه المطلع، ومثال الأقرع موشحة لابن زهر الحفيد هذا أولها⁽³⁶⁾:

يا من تعاطينا الكؤوس على اذكاره
وقضى على قلبي فلم يأخذ بشاره
وأقر أحكام القصاص على اختياره
إن أقل حسبي، فالجورُ تأباه الطباع

لم ينظم الأندلسيون الموشح الأقرع إلا نادرا، لذا جاءت أكثر الموشحات الأندلسية تامة، أما المشاركة فلم ينسجوا في الأقرع إلا ما عارضوا به الوشاحين الأندلسيين.

ب - البيت:

يختلف البيت في الموشحة عن البيت في القصيدة، ففي القصيدة يتألف البيت من شطرين يصطلح عليهما بالصدر والعجز، أما في الموشحة فالبيت يتكون من عدة أجزاء. يكون البيت بعد المطلع إذا كان الموشح تاما ويتصدر الموشح إذا كان هذا الأخير أقرع. وتكون قوافيه مختلفة عن قوافي الأفعال. تتوحد القوافي في أجزاءه ويسمى مفردا، وقد تختلف فيما بينها ويسمى البيت حينئذ مركبا. وينبغي أن تكون قوافي كل بيت مختلفة

36 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 198 - 199.

عن قوافي البيت التالي. والبيت في الموشحة التي أوردناها هو:

www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

هل في الهوى من جناح

أو في نديمٍ وراح

رام النصيحُ صلاحي

هذا البيت مفرد ويتكون من ثلاثة أجزاء رسمها (ج ج ج)، ويرمز للبيت الذي يليه بحروف (د د د) وهكذا إلى نهاية الأبيات. ويأتي بعد كل بيت قفل يتفق مع المطلع في وزنه وقوافيه يفصله عن البيت التالي. وقد يتكرر البيت في الموشحة خمس مرات لكن هذا ليس شرطاً فقد يبلغ عدد الأبيات في الموشحات عشرة أحياناً. أما الموشح الأكثر انتشاراً عند الأندلسيين فهو الذي يتكون من خمسة إلى سبعة أبيات.

يتألف البيت من ثلاثة أجزاء على الأقل وخمسة أجزاء على الأكثر، مفردة أو مركبة من فقرتين فأكثر. وقد يتركب البيت من أربع فقر على الأكثر وهذا نادر جداً في الموشحات الأندلسية. والأبيات الأكثر انتشاراً في الموشحات هي التي تتكون من ثلاثة أجزاء مفردة أو مركبة من فقرتين. وفي هذا المجال يقول ابن سناء الملك: "والجزء من البيت قد يكون مفرداً، وقد يكون مركباً، والمركب لا يتركب إلا من فقرتين أو من ثلاث فقر، وقد يتركب في الأقل من أربع فقر"⁽³⁷⁾. يظهر أن ابن سناء أراد أن يقول "على الأكثر من أربع فقر". ومثال البيت المركب من فقرتين وثلاثة أجزاء قول الأعمى التطيلي (ت 525 هـ - 1130 م) من موشحة له⁽³⁸⁾:

37 - ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 34.

38 - الأعمى التطيلي: الديوان، ص 257.

سَلُّ بِنَاتِ قَلْبِي هَلْ تَعَزَّى وَتَقْرُ
إهداء لا أقول مستبهي ما بكائي سرٌّ
قد إليك حسبي ليس ينفع الحذرُ

يذهب بعض الباحثين المحدثين إلى أن البيت في الموشحة يتكون من الدور مع القفل الذي يليه، والدور عندهم هو عدد الأجزاء الذي يتكون منها البيت في الموشحة. قال مصطفى عوض الكريم في توضيح الدور: "ويعقب المطلع في الموشح التام أقسمة تختلف عن قوافي المطلع والقفلة والخرجة"، ويعني بالأقسمة أجزاء البيت، ثم يضيف: "أما في الموشح فالبيت هو الدور مع القفل الذي يليه"⁽³⁹⁾.

وبما أن الموشحة تتكون من مقطوعات متساوية والمقطوعة تتكون من بيت وقفل، فكان على مصطفى عوض الكريم أن يقول: "والدور يتكون من البيت مع القفل الذي يليه" وليس العكس، لأن المقطوعة هي الدور والشعر المقطعي هو نفسه الشعر الدوري عند المشاركة، وقد اصطالحنا عليه في هذا البحث بالشعر المقطعي نسبة إلى المقطوعة.

إن لفظة دور مصطلح استحدثه المشاركة ولم يرد قبل ذلك عند أهل الأندلس، والأبشيهي (ت 852 هـ - 1448 م) لما أطلق كلمة دور على البيت مع القفل الذي يليه⁽⁴⁰⁾، كان أكثر صواباً من غيره وهو يعني به المقطوعة. والمقطوعة الشعرية كما ذكرنا سالفاً تتكون من البيت مع القفل الذي يليه. وقد وردت

39 - د. مصطفى عوض الكريم: فن التوشيح، الطبعة الثانية، بيروت 1974، ص 25 وما بعدها.

40 - شهاب الدين الأبشيهي: المستطرف من كل فن مستظرف، مصر 1942، 237/2.

لفظة دور لأول مرة عند صفي الدين الحلبي⁽⁴¹⁾. غير أننا رجحنا مصطلحات ابن سناء الملك باعتباره أول من تطرّق إلى دراسة هذا الفن فيما وصل إلينا من مصادر.

ج - القفل:

وهو مجموعة الأجزاء التي تتكرر في الموشحة، ويتفق القفل مع المطلع في الوزن والعدد والقافية. وتتكون الموشحة من ستة أقفال بما فيها المطلع في التام وخمسة أقفال في الأقرع. وهذا ليس شرطاً في الموشحات الأندلسية بل منها ما يتجاوز الستة أقفال. والقفل الأول من الموشحة التي مثلنا بها هو:

وكيف أرجو صلاحاً بين الهوى والمجون

يتفق هذا القفل في شكله ونظامه مع المطلع الذي تصدّر الموشحة غير أن في بعض الموشحات الأندلسية الشاذة تأتي الأقفال مختلفة في عدد الأجزاء عن المطلع، ومن ذلك قول عبادة القزاز في المطلع⁽⁴²⁾.

بأبي علق بالنفس علق

وقوله في القفل:

في حُسنِ اعتدال زانه رشق

والقدّ رشيق

المطلع كما نرى يتكون من جزأين متفقي القافية (أ أ)، أما القفل فهو يتكون من ثلاثة أجزاء، الجزء الأول يختلف بقافيته

41 - صفي الدين الحلبي: العاقل الحالي والمرخص الغالي، تحقيق ولهم هورباخ، فيسبادن 1955، ص 26.

42 - ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 70 وما بعدها.

عن الجزأين التاليين. غير أن مثل هذا الشكل ليس له أثر في الموشحات، ومن المرجح أن يكون هذا المطلع مبتورا بعد ضياع الجزء الأول منه، وليس من الموشح المختلف الأقفال كما ذهب ابن سناء المُلْك.

د - الجزء:

وهو الجزء الواحد من المطلع أو البيت أو القفل أو الخرجة. فالموشح الذي ذكرناه يتكون مطلعُه وكذلك أقفاله وخرجته من جزأين مختلفي القافية. وقد يكون الجزآن على قافية واحدة، وأكثر عددها أربعة أجزاء. وتتكون أبيات الموشحة التي أوردناها من ثلاثة أجزاء مفردة متفقة القافية، وقد تكون أجزاء الأبيات مركبة من فقرتين فأكثر في موشحات أخرى.

تسمى أجزاء الأقفال عند بعض الباحثين المحدثين أغصانا ويسمّون الجزء الواحد من البيت سِمطا⁽⁴³⁾. لقد وردت لفظة غصن في "الذخيرة" كما وردت لفظة سِمط وغصن في "المقدمة" أيضا. وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون: "استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح، ينظّمونه أسماطا أسماطا، وأغصانا أغصانا، يكثرّون منها ومن أعاريضها المختلفة ويسمّون المتعدد منها بيتا واحدا، ويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتاليا فيما بعد إلى آخر القطعة"⁽⁴⁴⁾.

نرى أن ابن خلدون لم يفرّق بين لفظتي سِمط وغصن. والتسميط عند علماء البديع هو أن يجرأ البيت إلى أربعة أقسام.

43 - انظر، د. مصطفى عوض الكريم: فن التوشيح، ص 27 وما بعدها.

44 - ابن خلدون: المقدمة، 390/3.

الثلاثة الأولى منها على قافية واحدة مخالفة للقافية الأصلية⁽⁴⁵⁾. وجاء في "العمدة" أن أبا القاسم الزجاجي قال: "إنما سُمِّي بهذا الاسم (السمط) تشبيهاً بسمط اللؤلؤ، وهو سلكه الذي يضمه ويجمعه مع تفرق حبه، وكذلك هذا الشعر لما كان متفرق القوافي متعقبا بقافية تضمه إلى البيت الأول الذي بنيت عليه في القصيدة صار كأنه سمط مؤلف من أشياء مفترقة"⁽⁴⁶⁾.

فالسمط إذن، هو مجموعة الأجزاء التي تتألف منها المقطوعة الواحدة بما فيها عمود الشعر من المسمطة. وبما أن أقسمة المسمطة لا تأتي إلا مفردة فمن غير شك أن ابن خلدون يكون قد أطلق لفظة "أسماط" على مجموعة الأجزاء المفردة من الموشحة قفلا كانت أو بيتا وليس أقسمة البيت فقط كما ذهب هؤلاء المحدثون.

وإذا اعتبرنا أن أجزاء الموشح قد تكون مركبة من فقرتين فأكثر وهي بهذه الحالة تكون متعددة، فهذا يجعلنا نرجح أن يكون المقصود بالأغصان عند ابن خلدون الأجزاء المركبة. فالعصن هو الجزء الواحد المركب وليس بيتا كما ذهب إحسان عباس⁽⁴⁷⁾؛ فالأغصان إذن هي الأجزاء المركبة التي تتألف منها الموشحة والأسماط هي الأجزاء المفردة.

ولما قال ابن خلدون: "ويسمّون المتعدد منها بيتا واحدا"⁽⁴⁸⁾،

45 - شهاب الدين الحلبي: حسن التوسل، ص 272 وما بعدها. انظر أيضا، صفي الدين الحلبي: شرح الكافية، ص 196.

46 - ابن رشيق: العمدة، 180/1.

47 - د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، الطبعة الخامسة، بيروت 1978، ص 235.

48 - ابن خلدون: المقدمة، 391/3.

اعتقد فريق من الباحثين أن البيت يتكون من الدور مع القفل الذي يليه. وفي اعتقادنا أن ابن خلدون لم يعنِ بالمتعدد تعدد الأقسام أو المقطوعات وإنما أراد به تعدد الأجزاء أو الأقسام. ويبدو أن استعمال ابن سناء المَلِك لفظ "جزء" هو الأصوب، لأنه يزيل كل لبس، لذلك اعتمدنا هذا المصطلح.

هـ - الخرجة:

الخرجة هي القفل الأخير من الموشحة، وهي ركن أساسي لا يمكن الاستغناء عنه بعكس المطع الذي قد تبتدئ به الموشحة وقد تخلو منه. والخرجة في الموشح الذي أوردناه هي:

مَرَّتْ عَيْنَاكَ الْمَلِاحَا سَحْرًا فَمَا ودَعَوْنِي

وقد تختلف الخرجة عن بقية الأقفال من حيث اللغة لأنها القفل الوحيد من الموشحة الذي يجوز فيه اللحن. قال ابن سناء: "والشرط فيها أن تكون حجاجية من قبل السخف، قزمانية من قبل اللحن، حارة محرقة، حادة منضجة، من ألفاظ العامة ولغات الداصة"⁽⁴⁹⁾. والمعنى أن تكون الخرجة ماجنة وهزلية بلغة العامة وللصوص الذين يسميهم الداصة. لكن لا يشترط أن تكون كل الخرجات ماجنة أو عامية بل هناك موشحات كثيرة جاءت خرجاتها معرّبة وخالية من المجون وقد استدرکها ابن سناء فذكر مواضعها، إلا أنه استثنى بعض الخرجات التي لا تكتب بالعامية وقال: "فإن كانت معرّبة الألفاظ منسوجة على منوال ما تقدمها من الأبيات والأقفال، خرج الموشح من أن يكون موشحاً، اللهم إلا إن كان موشح مدح، وذكر الممدوح في الخرجة، فإنه

49 - ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 40. حجاجية: نسبة إلى ابن الحجاج البغدادي (ت 391 هـ - 1000 م)؛ أما قزمانية: فهي نسبة إلى ابن قزمان.

يَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ الْخُرْجَةُ مَعْرَبَةً كَقَوْلِ ابْنِ بَقِيٍّ:

إِنَّمَا يَحْيَى سَلِيلُ الْكِرَامِ وَوَاحِدُ الدُّنْيَا وَمَعْنَى الْأَنَامِ

وَقَدْ تَكُونُ الْخُرْجَةُ مَعْرَبَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا اسْمُ الْمَمْدُوحِ
وَلَكِنْ بَشْرَطُ أَنْ تَكُونَ أَلْفَظَهَا غَزَلَةً جَدًّا⁽⁵⁰⁾.

وَقَدْ يَجْعَلُ الْوَشَّاحُ مَطْلَعَ قَصِيدَةٍ مَشْهُورَةٍ أَوْ بَيْتٍ أَعْجَبَ بِهِ
خُرْجَةً لَمْوَشَحْتَهُ كَمَا فَعَلَ ابْنُ بَقِيٍّ الطَّلِيْطَلِي فِي مَوْشَحْتِهِ عِنْدَمَا
اسْتَعَارَ بَيْتًا لِلشَّاعِرِ الْعَبَّاسِيِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَعْتَزِ⁽⁵¹⁾:

عَلِّمُونِي كَيْفَ أَسْلُوُ وَإِلَّا
فَاحْجِبُوا عَن مَقَلَّتِي الْمَلَا حَا

وَقَدْ يَعْجِزُ الْوَشَّاحُ عَن نِّظْمِ الْخُرْجَةِ فِي مَوْشَحْتِهِ فَيَسْتَعِيرُ
خُرْجَةً مَشْهُورَةً لَوْشَّاحٍ آخَرَ.

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْخُرْجَةُ فِي الْمَوْشَحَةِ عَجْمِيَّةً اللَّغَةَ،
وَيَشْتَرِطُ ابْنُ سَنَاءِ الْمَلِكِ فِي الْخُرْجَةِ الْعَجْمِيَّةُ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ
فِيهَا: "سَفْسَافًا نَفْطِيًّا وَرَمَادِيًّا زَطِيًّا"⁽⁵²⁾. وَيَقْصِدُ بِذَلِكَ
اسْتِخْرَاجَهَا مِنَ الْأَلْفَازِ الْمَحْرَقَةِ كَمَا يَحْرَقُ النَّفْطَ، وَيَنْبَغِي أَيْضًا
أَنْ تَكُونَ أَلْفَظَهَا جَيِّدَةً كَأَلْفَازِ الشَّاعِرِ الْأَنْدَلُسِيِّ الشَّهِيرِ يَوْسُفَ
بْنَ هَارُونَ الرَّمَادِيِّ.

وَلَا يَشْتَرِطُ أَنْ تَكُونَ أَلْفَازُ الْخُرْجَةِ كُلُّهَا عَجْمِيَّةً بَلْ تَكُونُ
أَيْضًا مَزِيْجًا مِّنْ أَلْفَازٍ عَرَبِيَّةٍ وَعَجْمِيَّةٍ أَوْ عَامِيَّةٍ وَعَجْمِيَّةٍ. كَمَا
أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَى الْعَجْمِيَّةِ أَوْ الْعَامِيَّةِ أَنْ تُسْتَعْمَدَ فِي الْخُرْجَةِ فَقَطْ،

50 - المصدر نفسه، ص 40 - 41.

51 - المصدر نفسه، ص 103.

52 - المصدر نفسه، ص 43.

فإذا تسربت هذه الألفاظ إلى الأجزاء الأخرى من الموشح، سُمي موشحاً مُرْتَمًا، وقد عابه الحلي⁽⁵³⁾ وعدَّ ناظميه من الضعفاء.

تأتي الخرجة على لسان الوشاح وقد تأتي أيضا على لسان غيره، وأكثر ما تأتي على لسان الحبيب والجواري. قال ابن سناء: "ولا بد في البيت الذي قبل الخرجة من: قال أو قلت أو قالت أو غنى أو غنيت أو غنت"⁽⁵⁴⁾. ومع ذلك، لا يشترط أن تسبق الخرجة بهذه الألفاظ لأن موشحات كثيرة لم تتضمن ما أقره ابن سناء.

ذهب ابن سناء المُلْك أيضا إلى أن الخرجة: "هي إزار الموشح وملحه وسكره ومسكه وعنبره، وهي العاقبة وينبغي أن تكون حميدة والخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة، وقولي السابقة لأنها التي ينبغي أن يسبق خاطر إليها، ويعملها من ينظم الموشح في الأول، وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية"⁽⁵⁵⁾. ولو أمعنا النظر في الموشحات الأندلسية لرأينا أن أبياتها تختلف في الكثير من الأحيان عن الخرجة من حيث الإيقاع والقافية وربما الوزن أيضا، وهذا يفند رأي ابن سناء المُلْك من أنها التي ينبغي أن يسبق خاطر إليها اللهم إلا في حالة نسج الأفضال.

5 - أوزان الموشحات:

يبنى البيت الشعري على الإيقاع أو الوزن. أما الإيقاع فهو نسبي ويختلف من شخص إلى آخر ومن نظم إلى آخر، وليس له قاعدة ولا نظام في الشعر. وأما الوزن، فقد سنّه علماء العروض

53 - صفي الدين الحلي: العاقل الحالي، ص 10.

54 - ابن سناء المُلْك: دار الطراز، ص 42.

55 - المصدر نفسه، ص 43.

وله قواعد رتيبة تختلف باختلاف أشعار الأمم قديما وحاضرا.

يبنى البيت الشعري من جهة أخرى على مقاطع صوتية تتكون منها التفعيلة. قد تكون التفعيلة منبورة أو كمية أو مقطعية. فالبيت المنبور (accentué) يعتمد على المقاطع المنبورة فقط، وقد جرى على هذا الوزن الشعر الأوربي القديم. ويُعرف البيت المقطعي (syllabique) من خلال عدد المقاطع الصوتية التي يتشكل منها، وقد جرى على هذا الوزن الشعر الفرنسي وبعض الأشعار الأوربية الأخرى. ويبنى البيت الكميّ (quantitatif) على عدد من التفاعيل، وتتميز التفعيلة بعدد معين من المقاطع الطويلة والقصيرة، وقد سار على هذا الوزن الشعر العربي.

لقد استطاع الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 160 هـ - 776 م) صاحب كتاب "العين" أن يحصر معظم بحور الشعر العربي. وهي عنده خمسة عشر جنسا: الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل والهزج والرجز والرمل والسريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث والمتقارب، ثم زاد بعده الأخفش المتدارك.

وقد يأتي البحر تاما وهذا ما سار عليه الشعر العربي، وقد يأتي ناقصا أيضا. فالتام ما تكررت فيه جميع أجزائه والناقص ما خلت منه بعض أجزائه كالمجزوء والمشطور. فالمجزوء ما نقصت صدره وعجزه تفعيلة أو أكثر، والمشطور ما بني على شطر بيت فقط.

أما الموشح الأندلسي فهو يتميز بأوزان لها من الحدة ما للقريض ولا تختلف عن أوزانه إلا شكليا. وكان أول من درس أوزان الموشحات ابن سناء الملك في كتابه "دار الطراز". لقد

قسّم الموشحات إلى قسمين، قسم جاء على أوزان العرب وآخر لا صلة له بأوزانهم. والقسم الذي جاء على أوزان العرب كذلك ينقسم إلى قسمين: قسم لا تختلف أوزانه عن أوزان الخليل وهو الغالب في الموشحات؛ غير أن ابن سناء المُلْك هاجمه هجوما قاسيا لأنه أشبه ما يكون بالمخمسات ولا ينظمه إلا الضعفاء. وقد استثنى منه الموشح الذي تختلف قوافي قفله فإنه يخرج باختلاف قوافي الأفعال عن المخمسات ومنه قول ابن زهر الحفيد:

أيها الساقى إليك المشتكى

قد دعوناك وإن لم تسمع

اعتمد ابن زهر في أفعال موشحته اختلاف قافية الجزء الأول عن قافية الجزء الثاني. ولو تعدد الوشاح اتفاق قافيتي الجزأين ما نقص شيء من موشحته بل قد تزداد تنغيما وإيقاعا. أما ابن سناء المُلْك فيظهر أنه كان مبالغا إلى حد ما في حكمه، لأنه استقى تعاريفه وتحديداته من النماذج التي كانت متوفرة بين يديه وجل أحكامه وتصوراته عن الموشح كانت نابعة من صميم ذوقه وميله الخاص.

والقسم الثاني الذي جاء على أوزان العرب هو ما تخللت أفضاله وأبياته كلمة أو حركة تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً وقريظاً محضاً، فمثال الكلمة قول ابن بقي⁽⁵⁶⁾:

صبرتُ والصبر شيمةُ العاني

ولم أقل للمطيلِ هجراني معذبني كفاني

ويرى ابن سناء المُلْك لولا وجود الجزء الثالث من القفل

56 - ابن سناء المُلْك: دار الطراز، ص 46.

وهو "معذبي كفاني"، لكان من وزن المنسرح. أما الوشاحون فلم يحرموا وزن المنسرح على الموشحات الأندلسية. وهكذا نرى أن ابن سناء المُلْك يستهجن ورود الموشحات على بحور الخليل إلا ما استثناه. ومع ذلك فإن تفاعيل هذا البحر هي من المنسرح بغض النظر عن زيادتها أو تغيّر بعضها في الموشحة.

وقد يلجأ الوشّاح إلى إدخال قافية في جزء من القفل وتكرارها بعينها في الجزء الثاني من القفل نفسه شريطة أن تكون مختلفة عن القافية الأصلية وإلا أصبح الموشح شعراً صرفاً حسب قول ابن سناء، ومن ذلك هذا المطلع لابن بقيّ الطليطلي⁽⁵⁷⁾:

يا ويح صبّ إلى البرق له نظرٌ

وفي البكاء مع الورق له وطرٌ

فهذا من البسيط، وقافية الجزء الأول من هذا المطلع هي قافية الجزء الثاني نفسها، ولولا حيلة الوشّاح بإدخال قافية في وسط الوزن مخالفة للقافية الأصلية وتكرارها في الجزء الثاني لكان هذا الموشح من النوع الذي استهجنه ابن سناء، إذ أصبح القفل يتألف من أربعة أجزاء بدلاً من جزأين وذلك بعد كسر الوزن. فوزن هذه الموشحة هو بحر البسيط المشطور، وإن الغرض من القافية الداخلية هو تجزئة الوزن وليس تغييره.

تنقسم أوزان الموشحات أيضاً إلى قسمين، قسم أوزان أقفاله هي أوزان أبياته نفسها، فلا يختلف جزء القفل عن جزء البيت من حيث الوزن. وقسم تختلف أوزان أقفاله عن أبياته، فيأتي جزء القفل على وزن ويأتي جزء البيت على وزن آخر.

والقسم الذي أوزان أفضاله أوزان أبياته يجوز فيه أن تكون

الموشحة من بحر تام كموشحة ابن سهل الأندلسي (ت 650 هـ -
1252 م) التي يقول في مستهلها⁽⁵⁸⁾:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى
قلب صبّ حله عن مكس
فهو في حرّ وخفق مثلما
لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد تأتي الموشحة كذلك على وزن واحد من بحر مجزوء
كموشحة الأعمى التطيلي التي نظمها على مجزوء المديد، يقول
في أولها⁽⁵⁹⁾:

ضاحكٌ عن جمانٍ سافرٌ عن بدرٍ
ضاقَ عنه الزمانُ وحواهُ صدري

وقد تأتي الموشحة أيضا على وزن واحد لكن من بحر
مشطور كموشحة أبي بكر بن بقي الطليطي التي يقول في أولها
وهي من مشطور المتدارك⁽⁶⁰⁾:

أعجب الأشياء رعيي لذمام
من أبي الرعي وشاء حمامي

وقد تُنظّم الموشحة من بحر واحد لكن في كل حالة من
حالاته التامة والمجزوءة والمشطورة. وغالبا ما تكون الأفضال من
الموشحة تامة الوزن، والأبيات مشطورة، ومن ذلك قول الأعمى

58 - ابن سهل الأندلسي: الديوان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1967،
ص 283 وما بعدها.

59 - الأعمى التطيلي: الديوان، ص 253.

60 - عدنان آل طعمه: موشحات ابن بقي الطليطي، ص 194.

أدر لنا أكواباً
واستصبح الجلاس
دين بالهوى شرعاً
ونزّه السّمعاً
فالحكم أن تسعى
أنامل العنّاب
حفت بصدغيّ أس
يلويهما الخد

وقد تأتي بعض الموشحات أقفالها من بحر وأبياتها من بحر آخر. وقد يكون الشطر الأول من القفل أو البيت أو كليهما من بحر والشطر الثاني من بحر آخر كالמושحة التي نظمها ابن بقيّ وقد جاءت الأجزاء الأولى من كل قفل وبيت من تفاعيل بحر البسيط، أما الأجزاء الثانية فهي على تفاعيل الرجز⁽⁶²⁾:

كيف السبيل إلى صبري وفي المعالم
أشجان

والركب وسط الفلا بالخرد النواعم
قد بانوا

أقبلن يوم الحمى في سُدسيات الحل
بعض مطل الدما سود الفروع والمقل
فيا معنى بما لو ناله نال الأمل
دون ذوات الحلّى للسيف بالصورم
حرمان

61 - الأعمى التطيلي: الديوان، ص 267.

62 - عدنان آل طعمه: موشحات ابن بقيّ الطليلي، ص 198.

وقد تأتي الموشحة على بعض التفاعيل من الشعر العربي لكن ليس لها مصطلح في الميزان العروضي الخليلي كموشحة ابن خاتمة الأنصاري (ت 770 هـ - 1368 م) التي أولها⁽⁶³⁾:

وفي هوى الحسان	في طاعة النديم
ودنت بافتتان	عصيت كل عاذل
عن الهوى محيص	أما أنا فمالي
صعب الرضى حريص	فتنت في غزال
في كفه قنيص	ظلت على احتيالي
من فوق خوط بان	ذو منظر وسيم
مالي بها يدان	يختال في غلائل
من جور ذا الغلام	يا من لمستهم
يسومني سقام	يغتالني منامي
بأضرب الغرام	قد عات في الأنام
يعدو مدى الزمان	أجور من سدوم
أطوع من عنان	على فؤاد ذاهل

نظمت هذه الموشحة على وزن واحد هو "مستفعلن فعولن"، وهذا من الأنماط العروضية الجديدة التي ابتكرها الوشاحون الأندلسيون وإن كانت من التفاعيل المألوفة إلا أنها تختلف من حيث التركيب فتكتسب نغمة جديدة في الشعر العربي.

وقد تُنظَّم الموشحة على بحر واحد في حالة من حالتيه

63 - ابن خاتمة الأنصاري: الديوان، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دمشق 1972،

التامة أو المشطورة، لكن بزيادة تفعيلة على الأفعال أو الأبيات أو كليهما معا لتخرج الوزن من صيغته التقليدية إلى صيغة جديدة تلائم التوشيح، كما تتصدر الأجزاء بهذه التفعيلة وغالبا ما تختتم بها، كموشحة الأعمى التطيلي الذي يقول في مستهلها⁽⁶⁴⁾:

أَعْيَا عَلَى الْعُودِ رَهِينٌ بِلِبَالِ
مُورِقِ
أَذْلَهُ الْحَبُّ لَا يَنْكُرُ الذَّلَّةُ
مَنْ يَعَشَقُ
مَنْ لِي بِهِ يَرْنُو بِمَقْلَتِي سَاحِرُ
إِلَى الْعِبَادِ
يُنْأَى بِهِ الْحَسَنُ فَيَنْثَنِي نَافِرُ
صَعَبَ الْقِيَادِ
وَتَارَةً يَدْنُو كَمَا احْتَسَى الطَّائِرُ
مَاءَ الثَّمَادِ
فَجِيَدُهُ أَغِيدُ وَالْخَدُّ بِالْخَالِ
مَنْمِقِ
تَكْنُفُهُ الْحُجْبُ قَلِي إِلَى الْكَلَّةِ
تَشَوِّقِ

الأساس الوزني في هذه الموشحة هو صيغة البسيط المشطور، وقد ذيلت أجزاء الأفعال والأبيات بتفعيلة "مستفعلن" أو متغيراتها لتخرج الوزن من المألوف إلى نمط جديد.

وقد ذهب ابن سناء الملوك إلى أن الموشحات تنقسم من جهة أخرى إلى قسمين: قسم لأبياته وزن يدركه السمع ويعرفه الذوق

64 - الأعمى التطيلي: الديوان، ص 270.

كما تعرف أوزان الأشعار ولا يحتاج فيها إلى وزنها بميزان العروض وهو أكثرها، وقسم مضطرب الوزن، مهلهل النسج، مفكك النظم، لا يحس الذوق صحته من سقمه، ولا دخوله من خروجه، كالموشح الذي أوله⁽⁶⁵⁾:

أنت اقتراحي	لا قرب الله اللواحي
من شاء أن يقول	فإني لست أسمع
خضعت في هوائك	وما كنت لأخضع
حسبي على رضاك	شفيع لي مشفع
نشوان صاحي	بين ارتياح وارتياح

غير أنه لا يظهر في هذه الموشحة التي نظّمها أبو جعفر الأعمى التطيلي أي اضطراب من حيث الوزن وإنما كل ما في الأمر هو أن هذا الوشاح المكفوف اعتمد في هذا النظم على الوزن المقطعي وأن عددا من موشحاته الأخرى جمع ما بين الوزن الكمي والمقطعي. فجاءت أجزاء الأفعال الأولى من هذا الموشح على خمسة مقاطع صوتية، أما الثانية فهي على تسعة مقاطع صوتية، وجاءت أجزاء أبياته الأولى على ستة مقاطع صوتية والثانية على سبعة مقاطع صوتية. وأما بميزان العروض فنجد هذه الموشحة مما يُنظّم على أكثر من بحر إذ جاءت أجزاء الأفعال والأجزاء الأولى من الأبيات على تفاعيل الرجز أو السريع، والأجزاء الثانية من الأبيات من تفاعيل الطويل وهي تسير باطراد حتى نهاية الموشحة. لذا لا يمكن عدّها، في نظرنا، من الموشحات المضطربة المهلهلة الوزن بل هي متنوعة الأوزان، وهذا اللون نمط موسيقي جديد ابتكره الأندلسيون.

65 - ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 49.

والقسم الثاني من الموشحات عدّه ابن سنّاء الملّك مما لا
مدخل له بشيء تألّفه الأوزان العربية وهو الكثرة الغالبة في
الموشحات، أراد ابن سنّاء الملّك أن يقيم لهذه الأوزان عروضاً
ولكنه عجز وذلك لخروجها عن الحصر حسب قوله.

وعلى ضوء ما مرّ بنا، يمكن القول إن الوشّاح قد لجأ إلى
التنوع في الوزن والترتيب الجديد للتفاعيل وتهذيبها وإلى
المخالفة بين القوافي في البحر الواحد أو البيت الواحد. وبهذه
الصفة تكون بعض الموشحات الأندلسية قد خرجت عن أوزان
الخليل وليس عن أوزان العرب. فهذه الأوزان المهملة عند ابن
بسّام والخارجة عن المألوف عند ابن سنّاء الملّك كانت عند أهل
الأندلس مألوفة بل شائعة. فالمهمل لا يعني الخروج عن الأوزان
العربية ولا يعني أيضاً أعاريض أعجمية، فإذا كانت بعض
الموشحات الأندلسية قد خرجت عن ذوق بعض المؤرخين العرب
فالبعض الآخر تبنّاها.

إن التهذيب الذي لجأ إليه الوشّاحون الأندلسيون في ترتيب
بعض التفاعيل وتركيبها واعتمادهم أحياناً على النظام المقطعي
في بناء الموشحات، نتج عنه أوزان جديدة هي ذات إيقاع عربي.
فالقول بأنها خارجة عن الأعاريض العربية جاء خطأً عند القدامى
نتيجة إيمانهم المفرض بالتقليد، وهذا الذي شجع بعض
المستشرقين إلى القول بأن الموشح الأندلسي متأثر في أوزانه
وخرجته بمصادر لاتينية. غير أن الموشحات الأندلسية هي
زخرف حضاري وتجديد في التراث العربي.

6 - لغة الموشحات:

للبحث في لغة الأندلسيين ينبغي التعرف على العناصر

البشرية التي يتركب منها المجتمع الأندلسي. فإلى جانب العرب المشاركة والمغاربة نجد قسمين من السكان الأصليين، قسم اعتنق الإسلام وهم المسالمة وقسم بقي على دينه وهم أهل الذمة أو المستعربة بالإضافة إلى المولدين وهم الذين ولدوا من أمهات إسبانيات أو إفرنجيات ومن آباء مسلمين. ومن ثم بدأت عناصر أخرى تظهر على الساحة الأندلسية ومنهم اليهود، وقد أسهم بعض علمائهم في المجالات العلمية والدينية واللغوية والأدبية بالعربية والعبرية والعجمية كما أسلم بعض منهم. ثم الصقالبة وهم الأوروبيون الذين ينحدرون - أغلبهم - من بلاد السلاف وقد بيعوا عبيدا في الأندلس.

ومن المؤكد أن لكل من هذه العناصر لغته الخاصة لكن بمرور الزمن؛ استطاعت اللغة العربية أن تفرض نفسها في كل الميادين؛ ولم تقض سيادة اللغة العربية على اللهجات الأخرى؛ فقد حافظ المغاربة على لهجاتهم البربرية المختلفة وحافظ السكان الأصليون على لهجتهم الرومانشية أي العامية اللاتينية. ولم تترك العناصر الأخرى من يهود وعبيد لغاتها رغم استعمالها اللغة العربية في حديثها اليومي.

أدى تشابك هذه العناصر المختلفة إلى مجتمع متعدد اللهجات بل كان الفرد الواحد منهم يتكلم أكثر من لهجة، فالذين انحدروا من آباء عرب وأمهات إسبانيات يتكلمون لغة آبائهم العربية ولغة أمهاتهم الرومانشية، بالإضافة إلى عامية الأندلس وهي لهجة عربية. وهذا مما دفع الأندلسيين إلى التجديد حتى في اللغة العربية الفصحى وابتكار أسماء لمسميات لم تألفها العربية. كما تأثر أهل الأندلس وخاصة سكان المدن الكبرى، من

حيث الصوت، بطريقة استعمال المولدين والمستعربة للعربية، إذ
تغير نطقهم لأصوات الإطباق والتفخيم والحلق وهي من سمات
اللغات السامية وخاصة العربية، ويظهر هذا التأثير جلياً في ديوان
أبي بكر بن قزمان من خلال اللغة التي نظم بها أزجاله.

رغم الازدواج اللغوي والعناصر البشرية المختلفة فإن الشعر
الأندلسي لم ينحرف لغوياً عن نظيره المشرقي باستثناء
الموشحات التي لفت انتباه الباحثين حتى عدها بعض
المستشرقين ضرباً من التأثير الأسباني. ولغة الموشحات ما هي
إلا اللغة العربية التي نظم بها الشعر منذ العصر الجاهلي. أما
الخرجة التي كتبت بالعجمية تارة وبالعامية تارة أخرى فهي
تظرف استحسنه الوشاح لما في ذلك من متعة يتذوقها الناس.
ولم تكتب كل الخرجات بالعجمية سوى بعض منها، واقتصرت
العجمية في الموشح على الخرجة فقط، ولم تصل إلينا موشحات
تخللتها ألفاظ عجمية. فلغة الموشح إذن هي اللغة العربية.

أما الخرجات التي ابتعدت عن الفصحى فقد نُظمت بالعامية.
والعامية لا يجوز أن تتسرب إلى الأجزاء الأخرى في الموشحة
وإلا أصبح الموشح مُزتماً، ولا يفعله إلا الضعفاء كما يقول
الحلي⁽⁶⁶⁾. وهذا يدل على أن الموشحة نُظمت في بداية الأمر
بالفصحى، ولما لجأ بعض الشعراء إلى تقليد فحول التوشيح
وقعوا في التزنييم. وهذا الانحراف عده بعض المستشرقين اللبنة
الأولى في تكوين الموشح بغية إرجاع مصدره إلى عناصر غير
عربية. وقد زعموا أن التزنييم دليل على أن بداية الموشحات
كانت عامية اللغة محتجين في ذلك ببعض الموشحات التي

66 - صفي الدين الحلي: العاقل الحلي، ص 10.

نسبتها بعض المصادر إلى ابن قزمان. ولم تكن موشحة ابن قزمان
المزمنة هي أول ما وصل إلينا، بل هناك موشحات كثيرة وردت
قبل عصره بالعربية الفصحى. وإذا حدث التزنييم في عصر ابن
قزمان فذلك أمر طبيعي، لأن الموشحة كانت قد عرفت تطورات
في بنائها، فلا يبعد أن تدخل العامية لغتها.

7 - أغراض الموشحات الأندلسية:

أ - الغزل:

لما كانت الموشحات الأندلسية قد اتصلت في نشأتها بمجالس
الأنس والطرب، فمن الطبيعي أن تطرق في بدايتها أغراض الغزل
والنسيب، ذلك لأن الموشحات التي وصلت إلينا أكثرها جاء في
هذا الغرض. وقد أكد ابن بسام ذلك فقال: "وهي أوزان كثر
استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب، تشق على سماعها
مصونات الجيوب بل القلوب"⁽⁶⁷⁾.

ولما كانت طبيعة الأندلس الساحرة لا تفارق مخيلة الشعراء
الذين سبقوا الوشاحين وكان للموشح صلة بمجالس الأنس
والطرب، تطرق هذا الفن فور ظهوره إلى أغراض الغزل والخمر
ووصف الطبيعة. أما الموشحات التي قيلت في الغزل فهي تنقسم
إلى قسمين، قسم اقتصر على الغزل وحده وقسم خلط بين الغزل
والأغراض الأخرى كالممدح والخمر ووصف الطبيعة. ومن أشهر
وشاحي الغزل الأعمى التطيلي وابن زهر الحفيد وابن سهل
الإشبيلي وغيرهم من الوشاحين.

فالموشحات التي تخلط بين الغزل والأغراض الأخرى تكثر

67 - ابن بسام: الذخيرة، 469/1.

في غرض المديح إذ يستهل الشاعر موشحة المدح بالغزل ويختمها بالغزل أيضاً⁽⁶⁸⁾. وقد يجتمع في الموشح الغزل والخمر ووصف الطبيعة؛ فالوشاح الأندلسي يستحضر لحظة وصاله بالحبيب وتلذذه بما تصنع بهما الراح وافتتانه في تلك اللحظة بالمناظر الخلابة، فيستوحى من هذه المناظر جمال محبوبه تارة ويلبسه إياها تارة أخرى.

وفي بعض النماذج التي تطرقت إلى هذا الغرض يشكو الوشاح من بُعد حبيبه وقساوته وجوره، ومن ذلك قول ابن زهر⁽⁶⁹⁾:

شمس قارنت بدرًا راح ونديم
أدر أكؤس الخمر
عنبرية النشـر
إن الـروض ذو بشر
وقد درع النهار هبوب النسيم
وسلت على الأفق
يد الغرب والشرق
سيوفاً من البرق
وقد أضحك الزهرا بكاء الغيوم
ألا إن لي مولى
تحكم فاستولى
أما إنه لولا
دموع تفضح السرا لكنت كتوم

في هذه الموشحة مزج الوشاح بين الخمر والوصف والغزل،

68 - ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 51.

69 - المصدر نفسه، ص 60.

فبدأ بذكر الخمر ووصف مجلسها ثم انتقل إلى وصف الطبيعة وجعل عناصرها أشخاصاً تملؤهم الحركة، فالنهر درع هبوب النسيم، ويد الغرب سلت سيوفا من البرق، وأضحك بكاء الغيوم الزهر؛ ثم يخلص إلى الغزل بأسلوب إخباري ومعان تقليدية. وإن كانت هذه الموشحة بسيطة المعاني إلا أنها استأثرت بالألفاظ الرقيقة لتبعث في السامع نشوة التلذذ بالطبيعة الفاتنة.

لم يترك الأندلسيون باباً من أبواب الغزل المعروفة إلا وطرقوه في قصائدهم وموشحاتهم وأزجالهم. ومن أبرز هذه الأبواب غرض الغزل العفيف الذي ترك صدى واسعاً في الآداب الأوربية. والحب العفيف جزء من مقومات العرب، ظهر في المشرق قبل انتقاله إلى المغرب والأندلس، وقد ألف فيه حتى رجال الدين، وأشهر مؤلفاتهم في هذا الموضوع كتاب "طوق الحمامة في الألفة والألاف" لابن حزم (ت 456 هـ - 1064 م)، وكتاب "الزهرة" لابن داود الأصفهاني (ت 297 هـ - 909 م) وغيرهما ممن تحدثوا عن هذا النوع من الحب. ومن بين الموشحات التي جرت في هذا الغرض قول أحد الوشاحين⁽⁷⁰⁾:

كم يطمعني	طيب الخيال
ويمنعني	طيب الوصال
لو يسمعني	شكوت حالي
ولكن لن	يرثي لصب
أسر وأعلن	وكم من

إذا دعاه تاه

يعيش العاشق بين آلام حبه وآمال وصله، إلا أنه لا ينطق من

70 - المصدر نفسه، ص 67.

أجل الوصال بل من أجل التلذذ بالأم الهجران وقساوة الحرمان، وهو في ذلك مستعد في أي لحظة لقضاء نحبه والاستشهاد فدية لهذا الحب النبيل. فإذا كانت غرائزه تطمعه فإن ضميره يمنعه من طيب الوصال، وكل ما يجني من وصل الحبيب جمال النفس وعفة القلب.

وكان هذا اللون من الغزل قد ظهر في الشعر أولاً، واشتهر به من الأندلسيين الشاعر ابن الفرج الجياني (ت 366 هـ - 976 م) صاحب "الحدائق". أما الوشاحون فلم يضيفوا شيئاً جديداً في هذا الغرض على ما ورد في القصائد، إلا أن موشحاتهم اتسمت برفقة الألفاظ وبساطة المعاني، مما سهل انتقال هذا الموضوع إلى ما وراء البرانس، وهو من أبرز المواضيع الشعرية العربية التي تبنّاها الشعراء التروبادور في شعرهم الغنائي.

أما الغزل الماجن فهو قليل جداً في الموشحات ولا يظهر إلا في بعض الأبيات، وقد يكثر في الخرجات وخاصة ما كان منها باللهجة العامية أو العجمية التي قد يتخللها جانب من الإسفاف والأحماض. غير أن الغزل الماجن يشيع في الزجل وبوجه الخصوص عند ابن قزمان الذي أكثر من هذا اللون في ديوانه.

والتغزل بالمذكر أيضاً لم يكثر منه الأندلسيون في موشحاتهم، ولا نجد موشحات قد طرقت هذا الموضوع وحده إلا نادراً، ولعل ابن سهل هو الوشاح الوحيد الذي أكثر من التغزل بالغلّمان إذ جاء هذا الموضوع منفرداً في العديد من موشحاته التي يتغزل فيها بموساه وهو غلام يهودي. وكان ابن بقي والأعمى التطيلي أيضاً من بين الوشاحين الذين ولعوا بالتغزل بالمذكر إلا أن هذا الموضوع جاء ممتزجاً بأغراض أخرى في

موشحاتهما. لكن صيغة التذكير لا تعني بالضرورة أن الوشاح يتغزل بغلام بل إن الكثير من الموشحات التي خصصت للغزل النسوي أشار فيها الوشاحون إلى المرأة بصيغة المذكر. ومن ذلك هذه الموشحة التي مطلعها:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى
قلب صبّ حلّه عن مكنسٍ

وهي لابن سهل الإشبيلي وتعد من أجمل الموشحات الأندلسية. ومثلما تغزل الأندلسيون بالجواري والعجميات نجدهم أيضا قد تغزلوا بالغلمان الأعاجم ومن ذلك قول ابن خاتمة الأنصاري في خاتمة موشح له⁽⁷¹⁾:

قل كيف يستريح	صَبِّ مَتِيمٍ
لسانه فصيح	والحب أعجم
ها حالتي تلوح	فهل مترجم
صبي عشقت رومي	واش نحفظ اللسان
الساع ما نشاكل	عاشق بترجمان

يذكر ابن خاتمة أنه رغم فصاحة لسانه فهو يحتاج إلى مترجم لأنه وقع في حب أعجم، فأصبح كمن يعشق بالترجمان. أما شعور هذا الوشاح فهو خال من أي صدق حتى أن الخرجة أضفى عليها طابعا هزليا.

تطرق الوشاحون الأندلسيون إلى لون جديد من ألوان الغزل هو موضوع "شكوى الفتاة إلى أمها" إذ يجعل الوشاح الكلام على لسان الفتاة في المقطوعة الأخيرة من الموشحة، فمن ذلك قول

71 - ابن خاتمة الأنصاري: الديوان، ص 162.

وربّ خُودٍ مَحْيَاكَ سبَا عَقْلَهَا
 فلو تَفُوزُ بِلِقْيَاكَ شَفَا خَبْلَهَا
 أَدَبْتُ تَنَاشِدَ فِي ذَاكَ لَأُمِّ لَهَا
 يَا مَمَّ شَوْلِيْسَ الْجِنِّه إِلا شَوِي
 تَرَى خَمْرِيَا مِنَ الْحَاجِبِ عَشِيرِ شَرِي

هذه الخرجة كما في الكثير من النماذج جاءت بعض كلماتها باللهجة العجمية وقد يتعمدها الوشاح لإخفاء حديث الفتاة مع أمها عن رقباء الحب، وقد وردت كلمة "مم" بمعنى أمي بعامية الأندلس وعجميتها أيضا. ظهر موضوع الفتاة التي تشكو من هجران الحبيب في الموشحات قبل أن يوظفه الشعراء النصراني باسم "أغاني الحبيب".

وفي غرض الغزل شخوص تأتي في الشعر العربي التقليدي ووظفها الأندلسيون بكثرة في موشحاتهم كالرسول ورقباء الحب من عاذل وواش وغيور وحسود. وفي هذا الموضوع يتحلى المحب بالصبر ويكتم السر رغم معاناته من قسوة الحبيب وهجره. وقد تأثر بهذا الموضوع شعراء التروبادور في القرون الوسطى.

ب - الخمریات:

نظّم الوشاحون في الخمریات وجاء وصفهم للخمرة ومجالس الشرب وصفا يجعلنا نتصور أن هذا الشراب مباح في مجتمعهم. ولا نعتقد أن اختلاطهم بالنصراني هو سبب ولعهم بأُم الخبائث. وقد يحترق المرء عندما يستشف من جانب آخر أن الخمرة لم

72 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 77.

تخرجهم من دينهم كما لم تدخلهم في دين الآخرين بل كانوا دائما من المتمسكين بالإسلام. ومن ثم فإن الواصف للخمرة لا يعني بالضرورة أنه من الشاربيين، فالكثير من الفقهاء من الشعراء نظموا في الخمرة دون أن يشربوها.

ولم تأت الموشحات التي طرقت باب الخمر برمتها في هذا الغرض حسبا وصل إلينا، بل غالبا ما نجد وصف الخمر مبعوثا في ثنايا موشحات الغزل ووصف الطبيعة والمدح، أو ممتزجا في موشح واحد مع الغزل أو وصف الطبيعة أو كليهما معا. ولم تكن مجالس السمر في الأندلس قصرا على شرب الخمر فقط، بل كانت حلقات أدبية يرتجل فيها الشعر.

جاء موضوع الخمر الذي يمتزج بأغراض أخرى بكثرة في الموشحات الأندلسية، وأما النماذج التي بُنيت أساسا على وصف الخمر ومجالس الشرب فهي قليلة - فيما وصل إلينا - ومنها موشحة ابن بقي الطليطلي التي يقول في مستهلها⁽⁷³⁾:

أدر لنا أكوابٌ ينسى بها الوجدُ
واستصبح الجلاسُ كما اقتضى العهدُ

لقد ولع الوشاحون الأندلسيون بوصف الخمر ومجالسها إلا أن هذا الموضوع لم يؤثر في شعراء النصارى ولم يأت عندهم مثلما جاء عند الأندلسيين اللهم إلا ما كان من جانب اللهو، لأن الخمر لا تلفت انتباه النصارى فهي ليست محرمة عندهم حتى يستعذبوا الحديث عنها، لذلك نجد الشعر الخمري عند البروفنسيين في القرون الوسطى لا يصف الشراب وإنما ما يقع

73 - عدنان آل طعمه: موشحات ابن بقي الطليطلي، ص 169 وما بعدها. تنسب هذه الموشحة أيضا إلى الأعمى الطليطلي، انظر: ديوانه، ص 267.

لقد فتنت الطبيعة الأندلسية الساحرة شعراء الأندلس وألهمتهم صوراً حية كأنها ملموسة، فوصفوا الناطق والجامد كما وصفوا ما في السماء وما في الأرض. وساد الوصف الأغراض الأخرى في الموشحة الواحدة كموشحة الوزير لسان الدين بن الخطيب (ت 776 هـ - 1374 م) التي يقول في أولها⁽⁷⁴⁾:

جاءك الغيث إذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلماً
في الكرى أو خلصة المختلس
إذ يقود الدهر أشتات المنى
ينقل الخطو على ما يرسم
زمرأ بين فرادى وثنا
مثلما يدعو الحجيج الموسم
والحيا قد جلل الروض سنا
فتغور الزهر فيه تبسم
وروى النعمان عن ماء السما
كيف يروي مالك عن أنس
فكساه الحسن ثوباً معلماً
يزدهي منه بأبهى ملبس

هذه الموشحة من محاسن الموشحات الأندلسية، جمع فيها

74 - ابن خلدون: المقدمة، 399/3.

لسان الدين بن الخطيب بين الغزل ووصف الطبيعة ومدح الخليفة؛ وقد عارض بها موشحة "هل درى ظبي الحمى أن قد حمى" لابن سهل الأندلسي التي نسج على منوالها عدد من الوشاحين. ورغم براعة هذه الموشحة ورقة ألفاظها إلا أن صاحبها غلب عليها الصناعة قطعت عليها المحسنات البديعية من توريات وكنايات واستعارات.

وهناك في الوقت نفسه عدد من الموشحات بُنيت على الوصف وحده مثل موشحة أبي الحسين بن مسلمة في وصف وادي مائقة⁽⁷⁵⁾. ومن هذا الوصف أيضا موشحة أبي الحسن بن مهلهل الجياني التي يصف فيها كيف تتوشح جيآن بنهرها وأشجارها وروضها ونسيمها وطيورها وصباحها حتى بكى السماء من فوح زهرها المعطار⁽⁷⁶⁾:

النهر سلّ حساما على قُدودِ الغصونِ
وللنسيم مجال
والروض فيه اختيال
مُدّت عليه ظلال
والزهرُ شقّ كماما وجداً بتلك اللحونِ
أما ترى الطير صاحا
والصبح في الأفق لاحا
والزهر في الروض فاحا
والبرق ساق الغماما تبكي بدمع هتونِ

فإذا أمعنا النظر في هذه الموشحات تبدو لنا معانيها بسيطة،

75 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 424/1.

76 - المصدر نفسه، 151/2.

وكان الوشاح عجز عن إدراك معاني الشعر. وفي الحقيقة أن الوشاح الأندلسي تعمد اللجوء إلى إثارة عواطف الحنين بعبارة سهلة تعتربها إيقاعات منسجمة، فصور لنا معالم خالدة يترب لها السامع دون أن يراها.

هذه الموشحات باختلاف مراتب وشأحيها صورّت لنا مناظر وبع بها الأندلسيون وهاموا بجمالها، فخلدت زرع البساتين والروض حتى داخل المدن، وشغف أهل البلد بها، وهذا إنما يدل على الرقي الذي بلغته الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس.

د - المدح:

أخذ فن المديح حيزاً معتبراً في الموشحات الأندلسية لكنه جاء مندمجاً في أغلب الأحيان مع أغراض الغزل والوصف والخمر. وأما ما جاء مستقلاً فهو قليل جداً فيما نملك من الموشحات، وقد توسع الوشاحون في غرض المدح إذ تطرقوا إلى وصف الممدوح وغزواته وقصره وجنانه. كما أكثروا من الموشحات التي تمزج المديح بأغراض أخرى وكان بعضهم ينظمها ارتجالاً في المجالس. ولم يصل إلينا من الموشحات الأندلسية التي جاءت خالصة للمديح إلا موشحة واحدة - فيما نعلم - وهي لأبي عامر بن يثق يقول في مستهلها⁽⁷⁷⁾:

سراجٌ عدلك يزهر	قد عمّ كل العباد
ونورٌ وجهك يبهر	سناءٌ للخلق باد
أنت العزيزُ الأبى	والملكُ ملك الأنام
أنت السراجُ الوضي	والبدرُ بدر التمام

77 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 193.

ليث إذا ما الكمي قد هاب روع الحمام

الله ليث غضنفره تلقاه يوم الجلال

قد سل سيفاً مشهر على رؤوس الأعادي

يتبين من هذه القطعة أن صاحبها قد حاكى نموذج الممدوح في الشعر القديم إذ نعتته بالليث وذلك دلالة على القوة والبطش بالأعداء. إلا أنه استحدث نعتاً أخرى عندما وصف ممدوحه ببدر التمام، فاليدور والغزلان من صفات النساء في شعر الغزل. وهذا يعني أن بعض الموشحات قد اتخذت نهجاً جديداً قلما نجده في الشعر التقليدي، وهذا يتجلى في الألفاظ التي وظفها الوشاح والمتمثلة في السراج والنور والعزيز والبدر وغيرها.

لم تكن أغلب موشحات المديح سوى أشكال مصورة باستثناء بعض الأمداح التي اختصت بمدح النبي محمد (ص). وقد نظم في هذا الغرض عدد من الوشاحين وفي مقدمتهم ابن زمرك الذي اشتهر بمولدياته وهي موشحات أحياء فيها ذكرى مولد الرسول الأعظم. فمن ذلك هذه الموشحة التي يقول في آخرها (78):

يا مصطفى والخلق رهن العدم

والكون لم يفتق كمام الوجود

مزية أعطيتها في القدم

بها على كل نبي تسود

مولدك المرقوم لما نجم

أنجز للأمة وعد السعود

ناديت لو يُسمح لي بالجواب

شهر ربيع يا ربيع القلوب

78 - المقري: نفع الطيب، 135/10.

رغم بساطة ألفاظ هذه الموشحة فإنها تكاد تخلو من التكلف والتصنع على خلاف الموشحات المديحية التي تلجأ إلى المحسنات البديعية وتستغرق في الوصف وإبراز المعاني.

ومن الوشاحين من أكثر من المدح دون غيره من الأغراض، فابن الصبّاغ الجذامي أورد له المقرئ عددا من الموشحات جاءت كلها في مدح النبي المصطفى (ص) ومن ذلك قوله في المطلع من موشحته⁽⁷⁹⁾:

لأحمدٍ بهجته كالقمر الزاهر في أبرج
علاؤها يسبي بنوره الباهر كل سنا مجد

ويتصل بالمدح موضوع الاعتذار والاستعطاف، إلا أن الوشاحين الأوائل لم يتطرقوا إلى هذا الغرض لارتباط الموشحات بمجالس الأنس والطرب. ومن الذين طرّقوا هذا الباب من المتأخرين لسان الدين بن الخطيب، الذي يقول من موشحة طالبا العفو من السلطان أبي الحجاج ملك غرناطة:

مولايّ جاءتك تروم الرضى
وتطلب العفو لها والقبول
وتطلب الإغضاء عما مضى
وملكك البرّ العطوف الوصول
ألقها حجر كجمر الغضا
وشفها عتب فجاءت تقول

79 - المقرئ: أزهار الرياض، 243/2.

حسبي عبد الله لكم ذا العتاب
اهداء من شبكة الألوكة إن كان وأذنت تراني نتوب
أمس أذنب العبيد واليوم تاب
والتوب يمحو يا حبيبي الذنوب

ومن يتقصى موشحات المدح يرى أن الوشاحين الأندلسيين قد حاكوا بعضهم بعضا في هذا الموضوع حتى في استعمال الألفاظ والعبارات وبساطة الأسلوب والمعاني.

هـ - الأغراض الدينية والصوفية:

إن الموشحات الأندلسية التي تطرقت إلى التصوف لم يصل إلينا منها إلا ما يعود إلى القرن السادس الهجري وما بعده، وأقدم الموشحات في هذا الغرض يُنسب لمحي الدين بن عربي (ت 638 هـ - 1240 م) وهو من أشهر وشاحي الصوفية. أما مصطلحات ورموز التواشيع الصوفية التي وظفها الأندلسيون فكانت أقرب إلى الغزل منه إلى التصوف. وقد ساعد على انتشار هذا اللون من الموشحات كثرة مجالس الذكر إلى جانب انتشار مجالس اللهو وتباين النمط المعيشي للمجتمع الأندلسي في فترة حاسمة ساد فيها تناقض الأفكار والأهواء.

ولمحي الدين بن عربي ديوان يزخر بالموشحات والقصائد، ومن صوفياته موشحة يقول في مستهلها⁽⁸⁰⁾:

سرايرُ الأعيانُ لاحتُ على الأكوانِ
للناظرين
والعاشقُ الغيرانُ من ذاك في حرانِ

80 - ابن عربي: الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص 84.

ومن المتصوفة أيضا، يأتي أبو الحسن الششتري (ت 668 هـ - 1269 م) في المقام الثاني بعد ابن عربي، وقد اشتهر بالزجل، ومن موشحاته في هذا الغرض قوله⁽⁸¹⁾:

الحمد لله على ما دنا
من السرورِ والهنا والمنا
فقل لواشٍ قد وشى بيننا
قد ذهبَ البؤسُ وزالَ
وواصلَ الخلَّ وتلنا المنى

فإذا كان الحديث عن الحبيب عند الشعراء الغزليين لا يستأثر إلا بالهجر والمعاناة فإن الحديث عن الحبيب عند المتصوفة لا يحلو إلا بالوصول واللقاء؛ وفي هذه المقطوعة يسعد الوشاح بوصول الخل ولا يبالي بما يقدم عليه الواشي. وقد جاء هذا الموشح بسيطا في معانيه وأسلوبه وكأن الوشاح أراد من خلاله التحدث إلى الطبقات الوسطى من المجتمع الأندلسي.

من خلال هذا النص أيضا، يظهر جليا أن الألفاظ التي جاء بها الوشاح الصوفي وهي الواشي والخل والمنى والوصل، هي من مصطلحات الغزل استعملها الشعراء الصوفيون في طريقتهم ومنهم من استخدمها لمعارضة شعراء الحب الديوي.

كما طرقت الوشاحون الأندلسيون باب الزهد في موشحاتهم، وفي هذا الميدان يذم الوشاح الحياة الدنيا وملاهيها ويمدح الحياة الأخرى ويتشوق إلى لقاء ربه. ويُعد الزهد موضوعا تقليديا ورثه

81 - الششتري: الديوان، تحقيق علي سامي النشار، الإسكندرية 1960، ص 252.

ومن الزهديات لئون أستحدثه الأندلسيون في الشعر ثم انتقل إلى الموشح يدعى المكفر وقد عرفه ابن سناء الملك بقوله: "والرسم في المكفر خاصة أن لا يعمل إلا على وزن موشح معروف وقوافي أفضاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح ليبدل على أنه مكفره ومستقبل ربه عن شاعره ومستغفره" (82). وجاء في "العاطل" عن تعريف المكفر: "إن الأديب منهم إذا نظم موشحا في آخره خرجة زجلية تتضمن الهزل والأحماض، نظم بعدها موشحا معربا في وزنه وقافيته تتضمن الاستغفار والوعظ والحكمة ليكفر الله تعالى به عنه، ذنب ذلك الأحماض في تلك الخرجة" (83). هذا ما استنبطه القدامى، وفي رأينا لم يكن قاعدة ثابتة عند الأندلسيين بل قد يستخدم المكفر لتكفير الذنوب أيضا ولم يقتصر على تكفير الأشعار.

اشتهر بالموشحات المكفرة الوشاح ابن الصباغ الجذامي الذي أكثر من اقتباس مطالع موشحات غيره وخرجاتها التي بنى عليها مكفراته. كان ابن الصباغ الجذامي قد نظم في المجون واللهو عند شبابه، ولما بلغ سن الشيخوخة بدأ يتقرب إلى الله، فنظم في الزهد وأكثر منه في الموشحات ليكفر عما أسلف نظمه ويعترف بخطاياهم. ومن موشحاته متحسرا على أيام الشباب ومتشوقا للديار المقدسة قوله من موشحة (84):

82 - ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 51.

83 - صفي الدين الحلي: العاطل الحالي، ص 11.

84 - المقري: أزهار الرياض، 232/2.

زهرُ شيبِ المُفارقُ
فابكِ الزمانِ المُفارقُ
عَوِضْتُ بالصُّبْحِ الأصيلُ
ألمَ بالغصنِ الذَّبُولُ
ريحُ الصِّبَا فيها تُمِيلُ
حتى رَمَى القلبَ رَاشِقُ
ولسانُ الحالِ ناطقُ
يا بدرَ أيامِ الشَّبابِ
أضحى فؤادي ذا المَذابِ
ونارُ حُزْني في التَّهابِ
فإن هُفا البرقُ خافِقُ
وإن تَأوَّهَ عاشِقُ

تَفْتَحَتْ عَنْهُ الكِمَامُ
وَحَاكٍ فِي النُّوحِ الحِمَامُ
وَقَد عَرَا البدرَ انكِسافُ
وَكَانَ لَدُنَّا ذَا انعطافُ
كَأَنَّ سَقَى صرْفِ السُّلَافِ
وَفُوقَتْ نَحْوَى السَّهَامِ
يُخْبِرُنِي أَنَّ لَآ دَوَامُ
هَلْ لِلأَفْوَالِ مِنْكَ طَلُوعُ
حَلِيفَ أَشْجَانِ فُرُوعِ
تُذَكِّرُنِي بِأَحْنَاءِ الضُّلُوعِ
ذَكَرْتُ عَهْدِي بِالخِيَامِ
سَاجَلْتُ فِي دَمْعِي الغَمَامِ

ولابن الصبَّاغِ الجذامي موشحات أخرى في هذا الغرض وردت في "أزهار الرياض". قال المقرَّب: "ومن ذلك جملة موشحات انتقيتها من كلام الشيخ الإمام الصالح الزكي الصوفي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الصبَّاغِ الجذامي وقد أَلَفَ ذلك بعض الأئمة في تأليف رفعه للسلطان المرتضى صاحب مراکش وأطال فيه من موشحات هذا الشيخ وسائر نظمه ولم أذكر من موشحاته إلا الغرر على أنها كلها غرر" (85).

تعود ابن الصبَّاغِ الجذامي في موشحاته الزهدية الحديث عن الشيب والكبر والتحسر على أيام الصبا والشباب وفي الوقت نفسه التضرع إلى الله طالبا الرحمة والمغفرة. وهذا يعني أن الشاعر لجأ إلى الزهد عندما أدركه الهرم. ومع ذلك فإن النبوة

الحزينة التي نسجَ عليها ابن الصبَّاح موشحاته تدل على مشاعره الصادقة في مناجاته وتشوِّقه. غير أن موشحاته لم تكن خالصة للزهد برمتها بل امتزجت في الكثير من الأحيان بمدح الرسول الكريم وحب الذات الإلهية على الطريقة الصوفية. وقد استخدم ابن الصبَّاح في موشحاته لغة بسيطة مباشرة تعكس بساطة مشاعره وصدق عاطفته.

و - الرثاء:

اتخذ بعض الوشاحين الأندلسيين من موشحاتهم وسيلة للتعبير عن أحزانهم ومآسئهم، فبكى بعضهم من رثوهم بكاءً حاراً. وموشحات الرثاء لا تُبنى إلا على موضوع واحد، لأنه من غير المعقول أن تتضمن المرثية أغراضاً أخرى تتناقض مع ظروف النظم وهي ظاهرة عُرُفت في الشعر العربي القديم أيضاً.

يُعد ابن اللبَّانة (ت 506 هـ - 1112 م) من أشهر وشَّاحي الرثاء، فقد خصَّص معظم ديوانه في مدح بني عبَّاد ورثائهم بعد زوال ملكهم ومن ذلك قوله من موشحة يرثيهم فيها⁽⁸⁶⁾:

طَلَّ النَّجِيعُ وَقَلَّ الْأَسْرُ غَرَبَ مُهْنَدُ
وَكَانَ مِنْ مُنْتَضَاهُ الدَّهْرُ وَمَا تَقَلَّدُ

هذا مطلع موشحة قالها ابن اللبَّانة يرثي فيها بني عبَّاد وعلى وجه الخصوص المعتمد (ت 484 هـ - 1091 م) الذي سجنه أمير المرابطين يوسف بن تاشفين (ت 500 هـ - 1106 م) في المغرب ومات في منفاه. لقد بدأ ابن اللبَّانة موشحته بنغمة حزينة تدل على الأسى والألم. ثم ينتقل من رثاء الملوك إلى رثاء الملك

86 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 71.

أهداهُ من شُحَّةِ الألبَّةِ
يا سائلي عن بني عباد
حدا بهم في ذكرهم حاد
فالبيت بيت بلا عماد
وما لنا بعدهم من هاد
فلي دموع عليهم حمر
وتنهل سرمد
وطي ما ضم مني الصدر
جمر توقد

لم يكلف ابن اللبانة نفسه في استخدام الزخارف البديعية بل جاء أسلوبه مباشرا استطاع من خلاله أن يبرز طابع الحزن في مثل هذه المناسبة؛ ورغم بساطة معانيه فإنها لا تخلو من شعور وانفعال، فالصدق يتجلى بوضوح في هذه المراثية.

ولأبي الحسن علي بن حزمون أحد شعراء الموحدين، موشحة في هذا الغرض عدّها المؤرّخون الأندلسيون من أروع المراثي التي قيلت في بلاد الأندلس قالها يرثي فيها أبا الحملات بن أبي الحجاج قائد الأعنة ببلنسية الذي قتله النصارى (87):

يا عين بكّي السراج
وكان نعم الرجاج
من آل سعد أغر
بكي جميع البشر
والمشرفي الذكر
شق الصفوف وكر
الأزهر النيرا اللامع
فكسرا كي تنثرا مدامع
مثل الشهاب المتقد
عليه لما أن فقد
والسمهري المطرد
على العدو متقد

ويلاحظ من هذه الموشحة أن الوشاح بناها على إيقاع خافت

ونعمة حزينة، وقد اشتملت كلها على موضوع الرثاء مع ذكر

محاسن المرثي وهي طريقة تقليدية في الشعر العربي.

لم يقتصر الوشاحون في رثائهم على الأشخاص بل رثوا كذلك مدنتهم وأوطانهم وتحسروا على ما حلَّ بها من خراب وحنوا إليها بعد الهجر. وكان ابن زمرك (ت 795 هـ - 1392 م) قد نظم أكثر من موشحة يحن فيها إلى غرناطة، ومن ذلك قوله بعد ما ضاق به البعد عنها⁽⁸⁸⁾:

أبلغ لغرناطة سلامي وصف لها عهدي السليم
فلو رعى طيفها ذمامي ما بت في ليلة السليم

وقد وردت موشحات عديدة في رثاء المدن والحنين إلى الأوطان في عصر الاضطراب وخاصة بعد فقدان الأندلسيين أجزاء كبيرة من بلادهم. وكان موضوع الحنين إلى الوطن من المواضيع التي طورها الأندلسيون وأكثروا منها في شعرهم.

ز - الهجاء:

وأخيراً، لجأ بعض الأندلسيين إلى التوشيح للسخرية من خصومهم وعرض مساوئهم. ولم نلاحظ، فيما وصل إلينا من موشحات وجود الهجاء بكثرة عند الوشاحين. ومن أبرع الوشاحين في هذا الميدان أبو الحسن علي بن حزمون الذي عرّف بهذا اللون في الموشحات. لقد كان يعرض في موشحاته مساوئ خصومه ويخرج من الخلق إلى الفحش والإسفاف. ومن ذلك قوله في القاضي القسطلّي في مستهل موشحته⁽⁸⁹⁾:

88 - المقري: نفع الطبيب، 100/10.

89 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 216/2.

تخونك العينان يا أيها القاضي فتظلم

لا تعصرف الأشهاد وحة ولا الذي يسطر ويرسم

وله من أخرى:

يا ناقصاً في كمال

نقص الحرب الزائد في الأشباح

ومن وشاحي الهجاء أيضاً نزهون بنت القلاعي الغرناطية
وأبو بكر بن الأبيض وغيرهما من وشاحي الأندلس. غير أن أكثر
موشحاتهم كسدت ولم تصل إلينا بسبب بذاءة ألفاظها وإعراض
المؤرخين عن ذكرها.

وفي الموشحات الأندلسية أغراض وموضوعات أخرى غير
التي ذكرناها جاءت في ثناياها. وبذلك يمكن القول إن
الموشحات اشتملت على أغلب الأغراض التي عرفها الشعر العربي
التقليدي، وقد طورت موضوعات وابتكرت أخرى.

1 - الزجل لغةً واصطلاحاً:

إن الزجل في اللغة الصوت، ويسمى الحمام زاجلاً لصوته الرخيم. قال ابن منظور في "لسان العرب": "إن الزجل بالتحريك اللعب والجلبة ورفع الصوت، وخصَّ به التطريب"⁽¹⁾. وجاء في "العاطل الحالي" للحلي قوله: والزجل في اللغة، الصوت، يقال سحاب زجل، إذا كان فيه الرعد، ويقال لصوت الأحجار والحديد والجماد أيضاً زجل. قال الشاعر⁽²⁾.

مررتُ على وادي سيّاتٍ فراعني

به زجلُ الأحجار تحت المعاولِ

تَسلمها عبُلُ الذراع كأنما

جنى الدهرُ فيما بينهم حرباً وائلِ

وبناءً على ذلك، نرى أن الزجل في اللغة هو الصوت باختلاف مصادره، وقد يكون مختصاً بنوع من الغناء كما جاء في "لسان العرب". ولعلهم اقتبسوا لهذا النوع من النظم اسم الزجل لمطاوعته الغناء وقدرة الناس على التغني به. وقيل في سبب تسمية هذا النوع زجلاً: "لأنه لا يلتذ به وتفهم مقاطع أوزانه حتى يُغنى به ويصوّت"⁽³⁾.

والزجل في الاصطلاح ضرب من ضروب النظم يختلف عن

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة "زجل".

2 - صفي الدين الحلي: العاطل الحالي، ص 9 وما بعدها.

3 - المصدر نفسه، ص 10. انظر أيضاً، ابن حجة الحموي: بلوغ الأمل في فن الزجل، تحقيق رضا محسن القرشي، دمشق 1974، ص 128.

القصييدة من حيث الإعراب والقافية كما يختلف عن الموشح من حيث الإعراب، ولا يختلف عنه من جانب القافية إلا نادرا. يُعدّ الزجل بهذه الصورة موشّحا ملحونا إلا أنه ليس من الشعر الملحون. وقد كُتِبَ بلغة ليست عامية بحتة بل هي مهذبة وإن كانت غير معرّبة.

2 - عوامل ظهور الزجل:

يمثل الزجل الفن الثاني المستحدث في الأندلس بعد الموشح وقد تباينت آراء المؤرخين القدامى في نشأة هذا الفن، ولو أنهم يتفقون على أن الزجل وليد البيئة الأندلسية ومنها خرج إلى الأراضي المغربية والمشرقية وانتشر فيها. وأول من درّس فن الزجل من القدامى حسبما وصل إلينا من مصادر، صفي الدين الحلي (ت 749 هـ - 1348 م) في كتابه "العاطل الحالي والمرخص الغالي" الذي درّس فيه بإسهاب فن الزجل كما تطرّق إلى بعض الفنون الأخرى كالموالي والكان وكان والقوما. وقد ألف بعده ابن حجة الحموي (ت 837 هـ - 1433 م) كتاب "بلوغ الأمل في فن الزجل" الذي حدّث فيه حدو الحلي بل ونقل عنه في أكثر من موضع.

أما المصادر الأندلسية فلم يصل إلينا منها شيء ذو أهمية عن نشأة الزجل وطريقة نظمه وخصائصه الفنية إلا ما جاء في "المقتطف" و"المغرب" مما يتصل ببعض الملاحظات عن نشأة الزجل والزجالين وتدوين بعض أزجالهم. ويخبرنا ابن سعيد أن ابن الدبّاغ الأندلسي قد ألف كتابا سماه "ملح الزجالين"⁽⁴⁾، لكن هذا الكتاب لم يصل إلينا. ويبقى ديوان أبي بكر بن قرمان إلى

4 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 1/283 - 438.

جانب ديواني أبي الحسن الششتري وأبي مدين شعيب، مما وصل إلينا، من أهم المصادر التي تتيح لنا دراسة الأزجال الأندلسية ومعرفة خصائصها الفنية واتجاهاتها في ذلك العصر.

وأما المحدثون فقد اختلفوا حول مصادر الزجل وإن اتفقوا على أنه أندلسي النشأة، ثم انتقل إلى الديار المشرقية مثلما انتقل إليها الموشح. وما اختلفوا فيه يكمن في علاقة الزجل بالموشح والأغاني الشعبية. فمنهم من يذهب إلى أن الزجل نشأ نشأة اصطناعية تقليداً للموشح، ومنهم من يرى أن أصل الزجل الأندلسي يرجع إلى الأغنية الشعبية التي تمزج بين اللفظ العامي والعجمي. فقد ذهب المستعرب الأسباني أنخل جنثالث بالنتيا (Palencia) إلى أن الزجل والموشح "فن شعري واحد ولكن الزجل يُطلق على السوقي الدارج منهما"⁽⁵⁾. ويعتقد شوقي ضيف أن الزجل قد نشأ مع الموشح مباشرة وربما سبقه، وهو يتبنّى من خلال هذا الرأي ما ذهب إليه بعض المستشرقين، بقوله: "ويمكن أن نقول إنهما جميعاً فن واحد ذو شعبتين، شعبة تغلب عليها الفصاحة، وشعبة تغلب عليها العجمة"⁽⁶⁾.

لم تغلب العجمة على الزجل الأندلسي بتاتا اللهم إلا إذا كان المقصود بالعجمة اللهجة العربية الأندلسية، وبين ذا وذاك فرق شاسع. وأما الذين يرون أن الزجل سابق للموشح فإنهم انطلقوا من نص ابن بسّام حول الموشحات القائل بأن محمد بن محمود القبري "كان يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز

5 - أ. ج. بالنتيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 143.

6 - د. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، الطبعة السابعة، القاهرة 1969، ص 454.

ويضع عليه الموشحة⁽⁷⁾، معتقدين في ذلك بأن هذه الألفاظ وجدت في قصائد عامية وأن الموشح يُعدّ تطوراً لهذه القصائد. ولم يأتوا بدليل قاطع فيما ينهبون ومنهّبهم لا أساس له من الصحة، لأن محمد بن محمود القبري لم يأخذ بيتاً من أبيات هذه القصائد المفترضة وإنما كان يأخذ اللفظ من اللغة لا من القصائد حسبما ورد في "الذخيرة".

ولعل مما ساعد على نشأة الزجل في الأندلس ما كان من شيوع الموشحات بين الناس. وإن العوامل الأرسطراطية من مجالس أنس وغناء التي أدت إلى ظهور الموشح لا تسمح للزجل أن يظهر أولاً دون الاحتكاك بالعارفين من الشعراء الذين هندسوا للموشح أشكالاً لا يقوى عليها إلا من كان من الخاصة.

وقد اتفق مؤرخو الأدب الأندلسي على أن الموشح أسبق من الزجل، ومنهم العلامة ابن خلدون وهو مؤرخ ثبت، حيث قال: "ولما شاع التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته، وتمييق كلامه، وتصريح أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية، من غير أن يلتزموا فيه إعراباً، واستحدثوا فنا سموه الزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم لهذا العهد، فجاءوا فيه بالغرائب، واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة"⁽⁸⁾. ويتضح من كلام ابن خلدون أن الزجل الأندلسي نشأ تقليداً للموشح. لكنه لا يمكن بأي حال من الأحوال، أن تكون العامة في الأندلس هي التي نسجت الأزجال على منوال الموشحات، لأن شعر العامة هو الشعر

7 - ابن بسام: الذخيرة، 469/1.

8 - ابن خلدون: المقدمة، 404/3.

الملحون ولغة الزجل أبعد بكثير من العامية الأندلسية، فهي تكاد تكون فصيحة إلا أنها ليست معربة وقد نعتها ابن خلدون في "المقدمة" بالحضرية لاعترافه باختلافها عن اللغة العامية.

ولا يمكن الاعتقاد أن العوام لما عجزوا عن نظم الموشح بعدما استعذبوه، لجأوا إلى نظمهم بعامية الأندلس وسمّوه الزجل، لأن الذين أنشأوا الزجل لأول مرة هم المثقفون الذين كانوا ينظمون القصائد الفصيحة، يصحّ أن يقال عنهم إنهم من الطبقة الوسطى لا العامة. وكان لاختراع هذا النظم تلبية لحاجة هذه الطبقة في القول الرفيع والغناء المنسجم.

إن عامية أهل الأندلس كانت بعيدة بعدا شديدا عن اللغة الفصحى لاتصالها بلهجات متعددة غير عربية من جهة، واختلاف أصول الأندلسيين من جهة أخرى. لأنه لو كانت لغة الزجل الأندلسي هي لغة العامة نفسها لما انتشرت أزجال الأندلسيين في العراق وبلاد الشام واستعذبها المشاركة ونسجوا على منوالها.

وقد ذهب صفي الدين الحلبي إلى أن: "أول ما نظموا الأزجال جعلوها قصائد مقصّدة وأبياتا مجردة في أبحر عروض العرب بقافية واحدة كالقريض لا يغيره بغير اللحن العامي، وسمّوها القصائد الزجلية"⁽⁹⁾. وقد عدّ الحلبي للشيخ عبد الله مدغليس، ثلاث عشرة قصيدة من هذا القبيل.

إن ما يلاحظ من خلال كلام الحلبي هو أنه لم يكن يعلم أن هذا النوع من الشعر الذي لا يختلف عن القصيدة إلا من حيث اللحن يسمّى عند المغاربة الشعر الملحون. لذا لا يمكن أن نسمي

9 - صفي الدين الحلبي: العاقل الحالي، ص 17 وما بعدها.

كل ما حاد عن الإعراب زجلا. أما القصائد الزجلية التي ذكرها صفي الدين الحلبي فقد ظهرت في مرحلة من مراحل تطوّر الزجل، لأنه لا يمكن أن نعد عبد الله مدغليس الذي جاء بعد أبي بكر بن قزمان من منشئي الزجل، ويؤكد هذا الرأي العلامة ابن خلدون بقوله: وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فن العامة بالأندلس من الشعر وفيها نظمهم حتى أنهم لينظّمون بها في سائر البحور الخمسة عشر لكن بلغتهم العامية ويسمونه الشعر الزجلي مثل قول شاعرهم⁽¹⁰⁾:

دهر لي نعشق جفونك وسنين
 وأنت لا شفقا ولا قلب يلين
 حتى ترى قلبي من أجلك كيف رجع
 صفة السكة بين الحدادين
 الدموع تترتش والنار تلتهب
 والمطارق من شمال ومن يمين
 خلق الله النصاري للغزو
 وأنت تغزو قلوب العاشقين

نلاحظ من هذه القصيدة الزجلية أن الزجالين المتأخرين لجأوا إلى انتقاء اللفظ والابتعاد عن الألفاظ السوقية. ونخلص من كل هذا إلى أن الزجالين المتأخرين لجأوا إلى تهذيب أزجالهم وانتقاء لغة رقيقة ترضي الذوق والسمع. وأن هذا النوع من القصائد الزجلية لا يشترك مع الزجل إلا في اللغة ويتفق مع القصيدة من حيث الوزن والقافية. وهذه المرحلة كما ذكرنا قبلا، جاءت تالية لمرحلة النشأة.

10 - ابن خلدون: المقدمة، 411/3.

ولما كان الزجل قد تفرّع من الموشح فإنه لم يسلم من التزئيم، وهو الإعراب في الزجل، وقد عاب أبو بكر بن قزمان على متقدميه هذه الطريقة بقوله: "وليس اللحن في الكلام المعرب القصيد أو الموشح بأقبح من الإعراب في الزجل، ولا يتنزّه عن هذا العار الجلل إلا الأخطل"⁽¹¹⁾. ولم يسلم الأخطل بن نمارة من انتقادات ابن قزمان رغم كونه من منشئي هذا الفن، وربما كان إمام الزجالين قبله ولم يصل إلينا ديوانه الذي من المفروض أن يكون ابن قزمان قد استعار منه بعض خصائص هذا الفن.

إن التزئيم هو أصل الزجل وقد ظهر في الأندلس منذ أوائل الزجالين أثناء محاكاتهم الموشحات ونسجهم أزجالهم الأولى على متواليها، فصعب عليهم الخروج من الإعراب إلى اللحن لحدائثة التجربة ثم أصبح التزئيم بعد ابن قزمان مذهباً في الزجل.

ومن المرجح أن يكون ابن قزمان قد نظّم الموشح أولاً ولما وجد نفسه كثير التزئيم مال إلى الزجل، لأن التزئيم في الموشح - كما يقول الحموي - أقبح منه في الزجل⁽¹²⁾. ومن الموشحات المزمّنة التي وقع فيها ابن قزمان، قوله:

مَعَشَرَ الْعُدَالِ	بي من الأقمارِ
أَغْصُنْ مِيَادَةَ	مِسْنٍ فِي أَكْفَالِي
قَدْ جَنَّا مِنْ لَامَا	كَلِّ عَانَ صَبِّ
بِبُدُورِ ذَا مَا	طَلَّعْتَ مِنْ قُضْبِ
مِنْ قُدُودِ هَامَا	فِي هَوَاهَا قَلْبِي

11 - ابن قزمان: الديوان نسا ولغة وعروضا، تحقيق ف. كورينطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد 1980، ص 3.

12 - ابن حجة الحموي: بلوغ الأمل في فن الزجل، ص 62.

وقد ذهب فريق من الباحثين إلى أبعد من ذلك حين زعموا أن الزجل الأندلسي نشأ تقليدا لأغاني السكان الأصليين، وكانت هذه الأغاني مجهولة المؤلف⁽¹³⁾. وهذه الأغنية نسجها بعض المستشرقين وجعلوها قاسما مشتركا بين الزجل والموشح.

لقد ذهب بالنتيا إلى أن سعيد بن عبد ربه (ت 341 هـ - 953 م) ابن عمّ صاحب "العقد" كان أول من نظّم الأزجال في الأندلس. وقال أيضا: "وكان معنا بكتابات الإغريق وعلوم الأوائل والفلسفة، وكان صعب العشرة يتكلم لهجة دارجة خشنة، واجتهد في تجويد الأزجال يوسف بن هارون الرمادي شاعر المنصور"⁽¹⁴⁾. ونلاحظ هنا أن بالنتيا خلط بين الموشح والزجل وهو يتقل عن ابن بسّام، لكن مذهبه في الخلط كان مقصودا، فهو بذلك يلبي دعوة خوليان ريبيرا (Julian Ribera) إلى الأصل الشعبي الأسباني للموشح والزجل. ولذلك نجده يحذف كلمة "موشح" ويضع محلها كلمة "زجل" حتى يوهم الناس بأن الزجل أسبق من الموشح. وقد اقتبس بالنتيا من نص ابن بسّام ما كان يوافقه وأهمل حقائق أخرى. ولم يأت عن صاحب "الذخيرة" أن سعيدا هذا كان زجالاً، بل ولم يتحدث ابن بسّام عن الزجل في هذا النص وإنما تحدث عن الموشح⁽¹⁵⁾.

13 - د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص 222. انظر أيضا، د. عبد العزيز الأهواني: الزجل في الأندلس، القاهرة 1967، ص 55 وما بعدها.

14 - أ. ج. بالنتيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 156.

15 - ابن بسّام: الذخيرة، 469/1.

لم يصل إلينا من زجل المتقدمين إلا ما يعود إلى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وهو زمن ملوك الطوائف، فكان الزجل في هذا العصر قد اتضحت معالمه الفنية، أما الأزجال الأولى فقد كسدت ووقع لها ما وقع للموشحات في القرنين الثالث والرابع الهجريين. وفي القرن السادس الهجري ازدهر فن الزجل، وقد عزا بعض الباحثين العرب سبب ازدهار الأزجال في هذا العصر إلى عدم إتقان المرابطين اللغة الفصحى، إذ لم يلق الشعراء منهم تشجيعاً، فمالوا إلى الزجل⁽¹⁶⁾.

ورداً على هذا الرأي، ينبغي القول إن المرابطين - وهم البربر - لم يكونوا في يوم ما عجماً حتى يصح أن نقول عنهم إنهم لا يتقنون اللغة العربية الفصحى كما ذهب عبد العزيز الأهواني؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن الذين فتحوا الأندلس واستوطنوها كان أغلبهم من أجداد المرابطين والموحدين، ثم إن اللغة الرسمية للمرابطين كانت العربية الفصحى. ولم تذكر المصادر أن كتاباً واحداً على الأقل قد ألف في عهدهم بلهجة من اللهجات الأمازيغية البائدة أو ما تبقى منها.

وفي رأينا أن سبب ازدهار الأزجال في هذا العصر يعود إلى خروج الزجل من المجالس والحواضر إلى الأسواق والطرقات، إذ استلطفه الناس من طبقات مختلفة حتى كثر الزجالون وانحرف الزجل عن مساره الأول وسقط في اللفظ السوقي. وكان أبو بكر بن قزمان الذي خالط المتشردين والغلمان أول أئمة الزجل ممن وقع في هذه الألفاظ وجاء بالغرائب.

16 - د. عبد العزيز الأهواني: الزجل في الأندلس، ص 55. وانظر أيضاً، د. عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، الطبعة الثانية، بيروت 1976، ص 98.

ونحن لا ننكر ما للمرابطين والموحدين من فضل في انتشار الزجل وكثرة الزجالين، لكن ليس لأسباب لغوية وإنما الاستيلاء على الحكم بالقوة والتحالف مع الفقهاء من أصحاب المصالح هو الذي أدى إلى تهميش المثقفين واضطهاد العلماء والمفكرين، وهذا ما شجع الاتجاه الشعبي.

3 - مخترع الزجل:

اختلف القدماء فيمن نظم الزجل لأول مرة في الأندلس وذلك لعدم وجود النصوص الأولى بين أيديهم، فصبوا جل اهتمامهم على ابن قزمان وذكر غرائب أزجاله حتى ظنه من جاء من بعدهم أول من صنع الزجل. لقد جاء في "العاطل الحالي" أن القدماء اختلفوا فيمن اخترع الزجل، فقيل إن مخترعه ابن غرلة استخرجه من الموشح، وقيل بل يخلف بن راشد⁽¹⁷⁾، أو غيرهما من الزجالة الذين ذكرهم الحلي دون إبداء رأيه فيمن صنع الزجل أولاً. ولم نعثر على المصادر التي كان ينقل منها الحلي إذ أكثرها ضاع ولم يبق إلا ديوان ابن قزمان وبعض أزجال الآخرين، ولعل اختلافهم فيمن اخترع الزجل سببه عدم اهتمام مؤرخي الأدب بالزجل عند ظهوره لأول مرة في الأندلس.

أما المصادر الأندلسية التي أرخت للأدب الأندلسي فقد اتفقت على رأي يكاد يكون مشتركاً بينها وذلك عن طريق النقل. وأهم هذه الآراء ما أورده ابن سعيد في "المقتطف" بقوله: "قيلت بالأندلس قبل أبي بكر بن قزمان ولكن لم تظهر حلاها، ولا انسبكت معانيها ولا اشتهرت رشاقتها إلا في زمانه، وكان في

17 - صفي الدين الحلي: العاطل الحالي، ص 16.

زمان الملثمين، وهو إمام الزجالين على الإطلاق⁽¹⁸⁾.

إن ما يستخلص من هذا النص هو أن الأزجال قيلت قبل ابن قزمان بالأندلس، لكنها لم تشتهر إلا في عهده، وهذا راجع في رأينا إلى التكلف الذي أصابها في البداية عندما لجأ الزجالون إلى تقليد الموشح. لذلك لم يهتم مؤرخو الأدب الأندلسي بهؤلاء الشعراء فضاعت أسماؤهم. وفي عصر ابن قزمان جردوا لغة الأزجال من الإعراب وجاءوا بالمعاني الطليقة، فاشتهرت أزجالهم وكان ابن قزمان إمامهم، ومع ذلك لم يصل إلينا من أزجالهم سوى ديواني ابن قزمان والششتري وبعض الأزجال التي جاءت متناثرة في المصادر الأندلسية والمشرقية.

لقد أشار أبو بكر بن قزمان في مقدمة ديوانه إلى الزجالين الذين تقدموه في صناعة الأزجال وقد عاب عليهم نظمهم بقوله: "ولقد كنت أرى الناس يلهجون بالمتقدمين ويعظمون أولئك المتقدمين يجعلونهم في السماك الأعزل، ويرون لهم المرتبة العليا والمقدار الأجزل، وهم لا يعرفون الطريق، وينزون القبلة ويمشون في التعريب والتشريق، يأتون بمعانٍ باردة، وأغراض شاردة، وأفاضل شياطينها عمه ماردة، والإعراب وهو أقبح ما يكون في الزجل، وأثقل من إقبال الأجل"⁽¹⁹⁾.

عاتب ابن قزمان كما مرّ بنا، الذين أعجبوا بالزجالين المتقدمين ووصف إعجابهم بالإعجاب الأعمى أو الضال، لأن متقدميه ارتكبوا أخطاءً فنية شتى في حق الزجل من بينها الإعراب، وهذا المنحى فيما يبدو، ليس من نسج العامة، إلا أن ابن

18 - ابن سعيد: المقتطف، ص 483. الملثمون: المرابطون.

19 - ابن قزمان: الديوان، ص 2.

قزمان قد بالغ كثيرا في نقده متجاهلا أن متقدميه هم الذين ابتكروا الزجل. وينبغي الإشارة إلى أن مرحلة ابن قزمان هي مرحلة من مراحل تطور الزجل، فمن الطبيعي أن تكون أزجاله أحلى من أزجال متقدميه من الأندلسيين، غير أنه تبين من خلال قراءة ديوانه أن الإمام كان ترجسيا إلى أبعد الحدود.

ذكرت المصادر الأندلسية الزجالين الذين جاءوا بعد ابن قزمان ولم تورد شيئا عمّن سبقوه إلا ما جاء في "العاطل الحالي" وقد نقله الحلي عن مقدمة ديوان ابن قزمان كما فعل أيضا ابن حجة الحموي في "بلوغ الأمل" مع بعض التغيير.

ومن بين المتقدمين الذين ذكرهم ابن قزمان أخطل بن نمارة⁽²⁰⁾ الذي ظهر في "بلوغ الأمل" عند الحموي تحت اسم علي بن نمارة⁽²¹⁾. ولا يمكن الجزم بأن هذا الرجل قد سبق في قول الزجل، وقد فضلّه ابن قزمان على من سبقوه بقوله: "ولم أر أسلس طبعا، وأخصب ربعاً، ومن حجوا إليه طافوا به سبقاً، أحق بالرياسة في ذلك، وللإمارة من الشيخ أخطل بن نمارة، فإنه نهج الطريق وطرق فأحسن التطريق وجاء بالمعنى المضىء والغرض الشريق، طبع سيال ومعانٍ لا يصحبه جهل الجهال، يتصرف بأقسامه وقوافيه، تصرف البازي بخوافيه، ويتخلص من التغزل إلى المديح بغرض سهل وكلام مديح"⁽²²⁾.

من خلال هذا النص يتبين لنا أن ابن نمارة كان من الزجالين الأندلسيين الذين نظموا الزجل في صورته المتطورة،

20 - المصدر نفسه، ص 4.

21 - ابن حجة الحموي: بلوغ الأمل، ص 77.

22 - ابن قزمان: الديوان، ص 2.

وقد سبق الإمام ابن قزمان الذي تأثر به بل وأعجب بأزجاله وإن كان قد تحدّاه بقوله: "لو عاش ابن نمارة وأحضرنا وإياه سلطان، وضمّنا قصر، حتى يسمع الغرائب والأسحار لحار" (23).

إذا أمعنا النظر في كلام ابن قزمان فإننا نلاحظ أن أوائل الزجالين كانوا قد اتصلوا بالقصور والسلطين، ذلك أن ابن نمارة كان من أوائلهم، ولانعدام أخباره في المصادر يصعب علينا تحديد عصره. لكنه لم يخترع الزجل، فهذا الزجال على تقدير كلام ابن قزمان كان متفوقا على معاصريه في قول الزجل ولم يأت عنه أنه أول من بدأ النظم في هذا الفن. ولم يبق من ديوان ابن نمارة إلا ما قيده ابن قزمان في مقدمة ديوانه (24).

لقد ذكر ابن قزمان في زجل له زجالاً آخر اسمه ابن راشد، وقد تبين من خلال كلامه أن ابن راشد كان في عصره زجالاً مشهوراً من نبلاء هذا الفن (25). وقد ذكره صفى الدين الحلي أثناء تعرضه لمن اخترع الزجل بقوله: "وقيل بل يخلف بن راشد، وكان هو إمام الزجل قبل أبي بكر بن قزمان. وكان ينظم الزجل القوي من الكلام، فلما ظهر ابن قزمان ونظم السهل الرقيق، مال الناس إليه وصار هو الإمام بعده، ونظم ينكر عليه قوة النظم، زجلاً مطلعاً:

زجلك يا بن راشد قوي متين
وإن كان هو للقوة فالحمالين

يريد إن كان النظم بالقوة فالحمالون أولى به من أهل

23 - المصدر نفسه، ص 4.

24 - المصدر نفسه، ص 3.

25 - المصدر نفسه، زجل (134)، ص 852.

أما ابن سعيد الأندلسي فقد ذكر زجلاً اسمه يخلف الأسود كان بشرق الأندلس وهو معاصر لأبي بكر بن قزمان⁽²⁷⁾. وقد أورد له مقطوعة من محاسن أزجاله.

وهكذا وردت ثلاثة أسماء مشتركة في الاسم أو اللقب، فجاء اسم ابن راشد عند ابن قزمان ويخلف بن راشد عند صفي الدين الحلبي ويخلف الأسود عند ابن سعيد، ولم يتأكد أن يخلف الأسود هو نفسه يخلف بن راشد، لأن يخلف الأسود كان معاصراً لابن قزمان وهذا بشهادة ابن سعيد. أما يخلف بن راشد فقد سبق ابن قزمان حسب ما جاء في "العاطل"، ومن المرجح أن يكون هو نفسه ابن راشد الذي ورد في ديوان ابن قزمان.

إذا كان ابن راشد قد سبق ابن قزمان فإننا لا نستطيع تحديد عصره لانعدام النصوص، وليس هناك دليل قاطع على أنه مخترع الزجل لأنه كان من أئمة هذا الفن، نظّم الزجل في مرحلة من مراحل تطوره.

وعلى أية حال، فإن ابن نمارة وابن راشد يمكن عدّهما من القرن الخامس الهجري وهو الطور الذي سبق عصر ابن قزمان لما جاء في أزجالهم المتبقية من جودة لا تقل أهمية عن أزجال ابن قزمان. ومن جهة أخرى، فإن فن التوشيح قد ظهر في القرن الثالث الهجري ولم يبق شيء من موشحات هذا العصر، وأول ما وصل إلينا هو من أواخر القرن الرابع الهجري وهو العصر - فيما نرى - الذي بدأ فيه الاحتكاك بين الموشح وبقية الفنون الأخرى.

26 - صفي الدين الحلبي: العاطل الحالي، ص 16.

27 - ابن سعيد: المقتطف، ص 485.

وبناءً على ذلك، يكون مخترع الزجل والزجالون الأوائل قد
ظهروا في الأندلس في أواخر القرن الرابع الهجري وكسدت
أزجالهم ولم تحظ باعتراف المؤرخين القدامى شأنها في ذلك
شأن الموشحات في بداياتها، فنسيت أسماؤهم بعدما ظن المؤرخون
أن هذا النوع من الفن هو من الموشحات الملحونة، لأنهم كانوا
يعرضون عن تدوينه.

وفي القرن الخامس الهجري الذي ازدهرت فيه الموشحات،
بدأت تتضح معالم الزجل الفنية، لكن أصحابه لم يستطيعوا
التخلص من الإعراب فوقعوا في التزئيم وهذا مما عابه عليهم ابن
قزمان ونكر نظم أزجالهم بالقوة؛ وكانت أزجال ابن راشد وابن
نمارة وهما من أئمة الزجالين مما طغى عليها الإعراب، ومن هنا
يتضح لنا أن هذين الرجلين هما من القرن الخامس الهجري وقد
سبقا ابن قزمان في قول الزجل، أما زجالو القرن الرابع الهجري
والذين من المفروض أن يكون من بينهم مخترع الزجل، فلا
نعرفهم ولم تصل إلينا أزجالهم.

4 - بناء الزجل:

يبدو من خلال أزجال ابن قزمان أن الزجالة اصطلاحاً على
أقسام أزجالهم بمصطلحات الموشح نفسها، فقد تحدث الإمام عن
المركز والخرجة والمطلع والبيت وهي المصطلحات التي
ذكرها الوشاحون. وهذا دليل آخر على أن الزجل تفرع من
الموشح واستعار منه أقسامه ومصطلحاته.

لقد تعود ابن قزمان على ختم أزجاله بذكر عدد أجزائها

وتسميتها، فمن ذلك قوله في المقطوعة الأخيرة من زجل له (28):

أي زجل عملت يا قوم فتن من نظر وسمع
وأنا مطبوع ولكن لم نقل زجل بطبع
عشر أبيات في شطاط وثلاث أقسام في وسع
فتلطعشر هي ذاب عدة الأبيات والأقسام

يتكون هذا الزجل من عشرة أبيات بالإضافة إلى الأقفال، وكل بيت يتركب من ثلاثة أجزاء مركبة من فقرتين. وقد سمى أبو بكر بن قزمان أجزاء الزجل أقساما.

وفي زجل آخر يقول ابن قزمان في الختام (29):

من تسع أبيات هي أزجال لس فيها طول
لسنه ذا مما يعجزني شيا نقول
وكن نزيدك بويطات عاد لولا الفضول
لم قط نقل بيت ولا منقال إلا ارتجال

هذا الزجل ورد في الديوان بثمانية أبيات وقد ضاع البيت التاسع منه، ويُعتقد أن يكون البيت المبتور من وسط القطعة لأن البيت الأول يوحي بأنه مطلع الزجل. وفي هذا الزجل نلاحظ لفظة جديدة وهي المنقال قصد بها ابن قزمان القفل، لأنها من النقل أو ما يتكرر على المنوال نفسه، والذي يتكرر هو القفل. ولم نجد هذا المصطلح متداولاً عند الوشاحين؛ ولا شك أن هذا اللفظ، رغم فصاحته، هو التسمية الشائعة للقفل عند العامة.

وفي موضع آخر يسمي الإمام ابن قزمان البيت بلفظة سطر،

28 - ابن قزمان: الديوان، زجل (97)، ص 660.

29 - المصدر نفسه، زجل (119)، ص 778.

كقوله في هذه الخرجة⁽³⁰⁾:

فكذلك لس ثم زجال
أن يقلُّ ذا التسعة أسطار

هذه الخرجة من زجل يتألف من تسعة أبيات، وكان أبو بكر بن قزمان يفضل التحدث بلغة جمهوره الأندلسي العريض، فبدلاً من "أبيات" نجده يقول "بويتات" للتصغير، فكذلك قال "أسطار" ويعني بها الأبيات، وهذه التسميات لم نعثر عليها عند الوشاحين الأندلسيين.

وللتشابه الكبير بين الموشح والزجل عدّ القدامى مصطلحات التوشيح قاسماً مشتركاً بين الفنين. وعلى ضوء ذلك، سنستعين بزجل من أزجال ابن قزمان لنجعله نموذجاً لدراسة بناء هذا الفن، وهو من أبسط طرائق نظم الأزجال. قال ابن قزمان⁽³¹⁾:

لس نفيق من ذا الصدود أبداً
أو نعنق في ذراعي الحبيب
بي نكد بلّيت أنا وي عذاب
الوصول يا قد نسي بالعتاب
قد نحل جسمي ورق وذاب
ورجعت أرق من خيط رداً
لس بجسمي ما يطب طيب
سبحان الله أش هذا الجمال
يسحر العالم بعينين غزال
وحواجب عرفت باعتدال
فتري ورداً عجيب قد بدأ

30 - المصدر نفسه، زجل (93)، ص 626.

31 - المصدر نفسه، زجل (113)، ص 748 وما بعدها.

قد فتح في خد مثل الحليب
 الحجال هذا المليح تفتخر
 في ضياء خد يحير القمر
 ذا الديباج لم قط يرى لبشر
 نرضى أن نعطي فوادي فدا
 في قطيره من وصال الحبيب
 سريان لي عند زهر نريد
 وهواه في كل ساعه يزيد
 كل يوم نصبح لعشقا جديدا
 وحبيب قلبي علي عدا
 فأنا من أجل هم كئيب
 ذا الطبع في ذي المدينة ردي
 الملاح يزيدوا في نكدي
 يصلوا للعاشق البلدي
 والذي نعشق هجر واعتدى
 ولكن الله لكل غريب
 قلت لو لما عتب وجفا
 وعطاني من صدود ما كفا
 أين أين توعدني قط عن وفا
 قل متى تجين؟ قال عدا
 وغدا للناظرين قريب

هذا الزجل من النماذج التي أكثر من نظمها الزجالون، وهو
 يتكون من القوافي التي نرمرز لها بحروف (أ ب ج ج ج أ ب، س س
 س أ ب) وهو يشبه الموشح في شكله البسيط من حيث القافية
 وعدد المقطوعات إلى حد ما. وليس ثمة فرق بين الموشح

والزجل من حيث الشكل، وما يتركب منه الموشح يتركب منه

www.ashab.net
الزجل كذلك، كالمطلع والبيت والقفل والخرجة.

يتكون هذا الزجل من ستة أبيات وسبعة أفعال وهو زجل تام،
ومن المرجح أن يكون من النماذج الأولى التي نُسجت على منوال
الموشحات. لكن الأزجال الأندلسية لا تتقيد بعدد الأبيات، فمنها ما
يفوق الأربعين بيتاً⁽³²⁾. وقد يأتي الزجل أقرع أيضاً. غير أن
الأزجال الأندلسية التي تخلو من المطلع قليلة فيما وصل إلينا
من هذا الفن.

المطلع في الزجل الذي مثلنا به هو:

لس نفيقُ من ذا الصدود أبداً
أو نعنقُ في ذراعي الحبيبُ

وهو يتكون من جزأين مختلفي القافية (أ ب)، وهذه القافية
تتكرر بعد الأبيات في جميع أفعال هذه القطعة. وقد يتركب
المطلع أحياناً من جزأين متفقي القافية (أ أ) فمن ذلك زجل
لمدغليس أوله⁽³³⁾:

قد نبتُ نتخلعُ
ونحزم للعذول أن صدعُ

وقد يتكرر المطلع بشطريه في القفل، كما قد يتكرر جزء
واحد فقط من المطلع وهذا الغالب في الأزجال الأندلسية،
وبذلك يكون القفل نصف المطلع، ومنه زجل لأبي بكر بن قزمان

32 - المصدر نفسه، زجل (9)، ص 56.

33 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 221/2.

يا جوهرى يا نعم الصديق
تم دقيق لس ثم دقيق
بأربعه نشكو من الشبع
لس باه ذهبه ولا قطع
ولا عصايد ما نبتلع
ولا دشيات بما نضيق

أما إذا كان المطلع يتكون من جزأين مختلفي القافية،
فالجزءان يتكرران ضروريا في الأفعال كالزجل الذي مثلنا به:

ورجعت أرق من خيط ردا
لس بجسمي ما يطب طبيب

وقد يأتي المطلع وكذلك الأفعال في الزجل من جزأين
ونصف، ومن ثلاثة أجزاء أو أربعة أجزاء متفقة القافية أو
مختلفة.

من خلال إحصاء عدد أجزاء المطالع والأفعال وطريقة
نظمها، يتبين أن العدد الأقصى لأجزاء الأفعال لا يتعدى الأربعة،
فإذا زاد القفل أو المطلع على هذا العدد خرج الزجل عن قاعدته
المألوفة. وفي أغلب الأحيان يتكون المطلع من جزأين والقفل من
جزء واحد، وهذا الشكل جاءت عليه أكثر الأزجال وخاصة أزجال
ابن قزمان.

البيت في الزجل الذي أوردناه مثالا يتكون من ثلاثة أجزاء
مفردة جاءت على قافية واحدة، وهو:

34 - ابن قزمان: الديوان، زجل (92)، ص 616.

بي نكد بليت أنا وي عذاب

قد نحل جسمي ورق وذاب

وهو من أبسط الأبيات الشائعة في الأزجال الأندلسية، لكن هذا ليس شرطاً، فقد تكون أجزاء الأبيات مركبة من فقرتين كالزجل الذي أوله⁽³⁵⁾:

والذي شرب عتيق	الذي نعشق مليح
والشرب أصفر رقيق	المليح أبيض سمين
لا مليح إلا وصول	لا شراب إلا قديم
لس يخالف ما نقول	إذ نقول فمك نريد
لا بخيل إلا ملول	والزيار كل يوم
قد رجح بحال صديق	من هوادة بعد

يتركب البيت في هذا الزجل من ثلاثة أجزاء وكل جزء يتكون من فقرتين، وقافية الفقرة الأولى لا ينبغي أن تتفق مع قافية الفقرة الثانية وقد جاءت مهملة، إلا أنه يلزم أن تكون قوافي الأجزاء الخارجية على القافية ذاتها في البيت الواحد، أما القوافي الداخلية من الأجزاء المركبة فقد تختلف أو تتفق مع بعضها كالزجل الذي أوله⁽³⁶⁾:

والهوى فتن	نظر من محاسن تكفاني
منظراً حسن	والذي سباني واسباني
فوق الاحتمال	بي من صدود وهجران

35 - المصدر نفسه، زجل (56)، ص 370. هذا الزجل نسبه ابن سعيد إلى أبي بكر الحصار، انظر: المغرب في حلى المغرب، 285/1.

36 - ابن قزمان: الديوان، زجل (57)، ص 376.

والسببُ في تيهو وخذلانُ
نخوة الجمال
في قتال هو قلبي مع
أو قريب قتال
إن شكيت إليه حزني وافاني
للحزن حزن
يسمع الكلام فإذا راني
لم ير بدن

والبيت لا يزيد في تركيبه على فقرتين في الأجزاء أما في
الموشحات فقد يتركب البيت من أربعة فقر على الأكثر.

يتكون البيت في الغالب من ثلاثة أجزاء في الأجزاء
الأندلسية، وقد يصل إلى أربعة في بعض الأحيان، ومن ذلك زجل
للششتري هذا أوله:

صاح لاح الصبّاح للحبر
بعد ليل دجاء كالحبر
أشرقتم شمسهُ لمرآته
وتوارت حجاب ظلماته
فانثنى فائزاً ببلداته
وترقى لنيل مرضاته
من رآه بليلة القدر
ما له في الوجود من قدر

وينبغي ألا يزيد البيت على هذا العدد وإن تعداه في الأجزاء
الشاذة. أما البيت الذي يتكون من أربعة أجزاء فيجب أن يكون
مفرداً، وأما البيت الذي أجزاءه مركبة فلا يزيد على ثلاثة
أجزاء. ويجب أن يكون البيت متفقاً في الوزن وعدد الأجزاء مع
بقية الأبيات الأخرى، لكن لا ينبغي أن تكون جميع الأبيات على
قافية واحدة، فكل بيت قافية معينة.

أما الخرجة فهي القفل الأخير من الزجل ولا تختلف في

ذلك بشيء عن الخرجة في الموشح إلا في اللغة أحياناً. والقفل

الأخير من الزجل الذي أوردناه مثلاً هو: www.alukah.net

قل متى تجين؟ قال غداً

وغداً للناظرين قريباً

جاءت هذه الخرجة معرّبة وقد بناها ابن قزمان على الحكمة. أما إذا كانت بلغة غير معرّبة أو بالعامية فتصدر بألفاظ "أنشد، أغني، أو غنى" وغيرها، وذلك في البيت الأخير من الزجل حتى يتبين للسامع أن الزجل قد وشك على الانتهاء وستأتي الخرجة. وغالباً ما تكون الخرجة بلغة فصيحة، لأن الزجل يُنظم بلغة غير معرّبة أو ما يشبهها، ولا بد من تمييز الخرجة منه، ولذلك يلجأ الزجال الأندلسي إلى نظمها باللغة الفصحى.

وقد يستعير الزجال خرجة زجله من موشح مشهور كما فعل أبو بكر بن قزمان، فهو يصرح أحياناً أنه نظم هذا الزجل على عروض مشهور واستعار منه خرجته⁽³⁷⁾ أو يذكر اسم الموشح الذي لجأ إلى خرجته⁽³⁸⁾:

لا تتق	الزجل زجلي وغير ذاك
أسبّط نَق	تجد في الجبر والتصحيح
لابن بَق	مركز من مركز التوشيح
والسلائق ترهق	الغزال شق الحريق
لم نلحق	ما حزني إلا حريز ادي

والخرجات التي اقتبسها الزجالون من الموشحات تكون عادة

37 - صفي الدين الحلي: العاقل الحالي، ص 192.

38 - ابن قزمان: الديوان، زجل (16)، ص 120.

بالعامية وقد تكون بالفصحى أيضا. وقد يستعير الزجال خرجة
معربة من موشح مشهور حين يعارضه. وقد تكون الخرجة في
الأزجال الأندلسية على لسان المليحة والملح كما تكون أيضا
على لسان الجماد والحيوان. وقد تكون الخرجة أيضا القفل نفسه
لفظا ووزنا المتكرر في جميع المقطوعات، وهذه الطريقة تكثر
خاصة في الزجل الصوفي عند أبي الحسن الششتري.

وتسمى الخرجة مركزا أيضا، ولعلمهم سموها كذلك
لاهتمامهم المفرد بها. فالإمام ابن قزمان كان يولي الخرجة
اهتماما كبيرا حتى بلغت في أزجاله حداً من الرونق والروعة،
وكثيرا ما كان يقرنها باسمه كأن يقول: "هذا الزجل قزمانى"
أو "قال ابن قزمان" وغيرها من الألفاظ التي تدل على أن ابن
قزمان هو الذي قال هذا الكلام وأن الزجل قد ختم. وذكر الاسم
في آخر القصيدة وتاريخ نظمها يغلب على الشعر الملحون حتى
وقتنا هذا.

لم نجد فرقا بين الموشح والزجل من حيث البناء والقافية
وهو ما يوحي بأن الزجل هو مجرد تطور للموشح. ولما كانت
الموشحات تتضمن خرجات عامية، فمن غير شك أن تكون هذه
الخرجات هي التي مهدت الطريق إلى نسج فن الأزجال، وما
اقتباس الزجال للخرجة من الموشح إلا دليل على أن الزجل قد
نشأ متطفلا على الموشح.

5 - أوزان الزجل:

لما كان الموشح وهو من الشعر الفصيح، سببا في ظهور
الزجل، فمن الطبيعي أن تكون أوزان الزجل من أوزان الشعر
العربي؛ لكن ليس كل أوزان الزجل هي من البحور التي استنبطها

الخليل من الشعر، فمنها ما يوافق الأوزان الخليلية ومنها ما هو فرع منها وهو الغالب في الأزجال الأندلسية. وبما أن أكثر الأوزان الزجلية متفرعة من العروض العربي فهي لذلك عربية خالصة ولا تخالفها في شيء إلا ما جاء على النبر، وهذه الطريقة تغلب على الشعر الملحون.

قال صفي الدين الحلي إن الزجالين الأوائل جعلوا الأزجال قصائد وأبياتا مجردة في أبحر عروض العرب، وهذه القصائد لما كثرت واختلفت عدلوا عن الوزن الواحد العربي إلى تفريع الأوزان المتنوعة، وتصنيف لزومات القوافي وترتيب الأغصان بعد المطالع، والخرجات بعد الأغصان إلى أن صار فنا لهم بمفردهم⁽³⁹⁾. نخلص من هذا الكلام إلى أن الأزجال الأولى نُظِمَتْ على منوال الموشحات التي ظهرت في القرن الرابع الهجري والتي جاءت على البحور الخليلية ولم تصل إلينا. ولا نعتقد أن الحلي كان يتحدث عن الشعر الملحون، لأن هذا النوع من الشعر لا يُنظَّم على أوزان الخليل. وعلى ضوء ذلك، نستخلص أن الأزجال الأولى جاءت على الأعاريض الخليلية قبل أن تتنوع أوزانها. وتفريع الأوزان لا يعني خروجها عن الأصل العربي حتى وإن خرجت عن الأصل الخليلي.

وفي هذا السياق ذهب ابن حجة الحموي إلى أن الزجالة الأندلسيين "زادوا على بحور الشعر التي هي ستة عشر بحرا من الأوزان ما لا ينحصر، (...) وفن الزجل لم تزل أوزانه متجددة، ولكنها غير جائزة في الشعر لخروجها عن البحور المعهودة"⁽⁴⁰⁾.

39 - صفي الدين الحلي: العاقل الحالي، ص 170.

40 - ابن حجة الحموي: بلوغ الأمل، ص 98.

وحين نقرأ هذا النص يحضرنا نص ابن بسّام وابن سناء المَلِك حول أوزان الموشح، إذ جاء فيهما أن أعاريض الموشحات الأندلسية خارجة عن أوزان العرب. وقد ركّز المستشرقون اهتماماتهم على هذا الكلام وأولّوه وفق نظرياتهم في حين أعرضوا عن نص ابن حجة الحموي الذي يقول إن الشعراء الأندلسيين هم الذين صنعوا هذه الأوزان الزجلية وجددوها، لكنها لا تجوز في الشعر القريض لأنها خارجة عن البحور المألوفة وليس عن الأوزان العربية.

وجاء في "المقدمة" أن المتأخرين كانوا ينظّمون الأزجال على سائر البحور الخمسة عشر، لكن بلغتهم العامية ويسمونه الشعر الزجلي⁽⁴¹⁾. يُفهم من كلام ابن خلدون أن أوزان الأزجال انتقلت من التفريع إلى الأصل الخليلي عند المتأخرين من الزجّالة. لكننا لا نوافق ابن خلدون على أن الزجل الذي جاء على أوزان الخليل نُظِم بالعامية، لأن العامية التي غالباً ما يبدأ النطق فيها بسكون وينتهي بسكون، من الصعب أن تساير البحور الخليلية التامة بل أكثرها جاء على أجزاء الأوزان، فلغة الزجل ليست العامية الأندلسية وإن تخللتها ألفاظ دارجة بل هي لغة غير معرّبة. وأن سقوط الإعراب يتم من الفصحى وليس من العامية.

لقد اختلفت أجزاء الأبيات عند الزجّال من حيث الطول والقصر، فهو يبني البيت الواحد على عدة أوزان وقواف. ومن هنا كان الزجّال يلجأ إلى أجزاء الأوزان الخليلية وأشطرها. لأن أكثر الأزجال بُنيت على الأوزان المجزوءة والمشطورة ولم تأت على البحور الخليلية التامة فيما نملك من نصوص، إلا نادراً.

41 - ابن خلدون: المقدمة، 411/3.

وقد يُبنى الزجل على أكثر من وزن، كأن تأتي بعض أجزاءه

على وزن وبعض الأجزاء الأخرى على وزن آخر. www.alukah.net

وفي ضوء ما مرّ بنا، يمكن القول إن الزجال الأندلسي وعلى غرار ما يُعمل في الموشحات، لجأ في أوزانه إلى التنويع في الوزن واستحداث الأعاريض الخفيفة التي تطاوع الغناء إلا أنه لم يخرج عن نطاق التفعيلة العربية وإن لجأ أحياناً إلى نظام النبر. وقد تبين أن الشعر العربي الذي نُظِم على أوزان النبر، لم يحد عن الإيقاع العربي. لذلك نرى أن أوزان الزجل عربية الأصل وليس لها أية علاقة بالأغنية الشعبية المزعومة.

6 - لغة الزجل:

مرّ الزجل الأندلسي بأطوار لغوية مختلفة، فكان الطور الأول اللغة الفصحى غير المعرّبة، وكان الزجل في ذلك الوقت من اختصاص الطبقات المثقفة التي نسجته على منوال الموشحات. ثم بدأت تتسرب إليه عناصر اللهجة الأندلسية حسبما تقتضيه ضرورة الوزن والغناء عند أهل الأندلس، ومع ذلك لم يستطع الزجالون الأولون التخلص من الإعراب إلى أن جاء أبو بكر بن قزمان الذي مهد الطريق في ديوانه إلى العناصر اللغوية العامية التي عزّت اللغة الرفيعة في الزجل حيث قال: "وجردته"⁽⁴²⁾ من الإعراب، وعريته من التحالي والاصطلاحات تجريد السيف عن القرب"⁽⁴³⁾.

أما الحموي فيرى أن ابن قزمان "قال ذلك نهياً عن تقصد الإعراب وتبعه والاستكثار منه ثللاً يغلب على معظم

42 - في الديوان "عديته" ونعتقد ما أثبتناه هو الصحيح.

43 - ابن قزمان: الديوان، ص 1.

أزجالهم⁽⁴⁴⁾. فابن قزمان لم يته عن الإعراب مطلقاً بل سوء فهم كلامه هو الذي جعل الحلي يعتقد أن الإعراب لا يجوز في الزجل لخلطه بين الشعر غير المعرب والشعر الملحون العامي.

وعلى هذا النحو، لا تعتبر القصائد العامية أزجالاً، لأنه ليس كل ما هو غير معرب زجلاً، فهناك لغة مجردة من الإعراب لها قواعد مطردة وهي قريبة جداً من الفصحى، وهناك لغة عامية ليس فيها شيء من الاطراد، يختلف نطقها من جهة إلى أخرى، والزجل الأندلسي نهج اللغة الأولى حتى لا يتغير لفظه ونطقه عبر الزمن.

ولغة الزجل كما سبقت الإشارة، تتألف من هذه اللغة غير المعربة بالإضافة إلى عناصر لغوية أندلسية اختلطت فيها لهجات أهل المغرب مع لسان أهل المشرق والعناصر المحلية المولدة والمبتكرة التي يبيحها الزجال في نظمه. أما الذين نظموا الزجل فهم من الشعراء المثقفين الذين لجأوا إلى هذه العناصر وهذبوها، لأنه لا يمكن لأي أحد كان أن يقول زجلاً، فهذا الفن يخضع للوزن والقافية؛ بالإضافة إلى ذلك فإن النطق في لغة الزجل يختلف كثيراً عن النطق في اللهجة الأندلسية. فلا يطرأ تغيير في لغة الزجل إلا على أواخر الكلم أو حركات الإعراب وهذا ظاهر في الأزجال الأندلسية. أما في اللغة العامية فقد تتغير أحياناً جميع أصوات الكلمة.

ولم تسلم الأزجال من التنزيم، فقد جاء التنزيم في الزجل كما جاء أيضاً في الموشح وهو اللحن في الموشح والإعراب في الزجل. وقد أنكر ابن قزمان التنزيم على متقدميه. والتنزيم

44 - ابن حجة الحموي: بلوغ الأمل، ص 60.

حسب اعتقادنا ثلاثة أنواع، فهناك من يزعم رغبة في التزئيم ومذهبا فيه، ومن المزمئمين في هذا المجال ابن غرلة الذي كان يعرب في الزجل ويلحن في الموشح، وهناك التزئيم الناتج عن ضعف الناظم، فتكون أزجاله عرضة للانتقاد. وأخيرا، التزئيم الذي تقتضيه قواعد النظم في الموشح والزجل كما سبقت الإشارة إليه.

ويجب أن نشير أيضا إلى أن الزجالة الأندلسيين لم يولوا اهتماما لعجمية أهل الأندلس. فلا نجد من اللهجة الرومانشية الأسبانية إلا بعض الألفاظ متناثرة في ثنايا أزجال أبي بكر بن قزمان وما جاء على لسان العجم والعجميات في أزجال الحوار. ولم نجد خرجة عجمية في الزجل كما هو الشأن في بعض الموشحات الأندلسية، ذلك لأن لغة الزجل غير معرّبة، فيلجأ الزجال إلى الفصح بدلا من الألفاظ العجمية، أو يمهّد للخرجة بألفاظ تدل على أن الزجل قد أوشك على النهاية.

لقد أولى المستشرقون اهتماما بالغا للأزجال الأندلسية وبالأخص ديوان ابن قزمان، وزعموا أن أزجال الإمام تمثل ذروة الشعر العربي وواقع المجتمع الإسلامي، إذ ركّزوا بحوثهم على الألفاظ العجمية التي استخدمها ابن قزمان في ثنايا أزجاله، وقد ذهب بهم التجاوز إلى حد جعل العامية الأندلسية من العجمية الرومانشية.

يزعم بعض المستشرقين أن الزجال الأندلسي نظم قصائده بلغة رومانشية كان يتحدث بها الأندلسيون، وهي ليست لغة الشعر المعروفة بل اللغة الدارجة الجارية على الألسن في حواضر قرطبة. لقد أكد العرب من مؤرخي الأدب الأندلسي، أن أهل

الأندلس كانوا يتبادلون في حديثهم اليومي بعض الألفاظ الرومانشية أو العامية اللاتينية (Roman). ولا أحد ينكر وجود هذه اللغة واستعمالها في أوساط الأيبيريين الذين عايشوا المسلمين، لكن أن تكون هذه اللغة هي التي كتب بها زجالو القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) أزجالهم فذلك ما لا يتقبله العقل.

لم تكتب خرجات الزجل بالرومانشية كما يذهب هؤلاء المستشرقون، وكل ما في الأمر أنه وجدت بعض الألفاظ في ثنايا أزجال ابن قزمان لا علاقة لها بالوزن أو القافية، وهي ألفاظ تعود الأندلسيون على استخدامها في حديثهم اليومي مع أفراد النصرى. ولم نجد ألفاظا عجمية عند الزجالة الذين عاصروا ابن قزمان أو خلفوه فيما وصل إلينا من أزجالهم.

وإلى جانب الألفاظ المتناثرة في أجزاء الأزجال، استخدم ابن قزمان أيضا بعض الأشطر تكاد تكون كلها عجمية أحيانا أو تشاركها ألفاظ عربية وأندلسية محلية، منها قوله⁽⁴⁵⁾:

يا مَطْرَ تَنْ شِلِبَاطُ
تَنْ حَزِينُ تَنْ بِنَاطُ
تَرَى اليَوْمُ وَاشَطَاطُ
لَمْ نَدُقْ فِيهِ غَيْرُ لُقِيمَه

ومعنى هذه المقطوعة:

واحسرتاه كم أنا مهموم
ما أحزنتني وما أشقاني

45 - ابن قزمان: الديوان، زجل (10)، ص 78.

وفي زجل من أزجاله يصور لنا ابن قزمان حواراً بينه وبين رومية، يسألها بالعربية فتجيبه بالعجمية، ومن إجاباتها⁽⁴⁶⁾:

قالت أشت كراي أو نمار

والشطر كله عجمي بمعنى:

هذا الذي ودّدت أن أسميه

ومثل هذا الحوار أوهم بعض المستشرقين بأن الزجالين أخذوا مقطوعات من أغان عجمية نسائية وبنوا عليها أزجالهم. لكن الذي جاء به أبو بكر بن قزمان هو من الحديث العادي كان يجد فيه متعة عندما يضيف على أزجاله صورة لغوية متنوعة. وقد تعود أبو بكر بن قزمان عند حديثه عن النصارى أن ينسب إليهم الكلام بلغتهم حتى وإن كان من خياله، فهو يقول عن أحد ملوك الشمال⁽⁴⁷⁾:

والنصارى كالمداد	ونحن مثل القُطون
والعلامات والطبول	والنواقيس والقرون
وابن رذمير يقول	بشتري يا برون
صدق الولد زنا	الحروب يميز

الشطر الثاني من الجزء الثالث جاء بالعجمية، ومعناه:

كفى! هي نهرب يا بارون

46 - المصدر نفسه، زجل (84)، ص 542.

47 - المصدر نفسه، زجل (86)، ص 558.

وابن رزمير هو ألفونسو الأول أحد ملوك أراغون الذين

اعتادوا على محاربة العرب المسلمين. والمؤكد أن ابن قزمان لم

يسمع هذا الملك وهو يتحدث عن هزيمته أمام المسلمين. لكن الزجال أراد أن يسخر منه فاستخدم لغة المهزومين. وهذا ينطبق أيضا على الحديث الذي يجعله الزجال الأندلسي على لسان الفتاة العجمية أو أمها.

وفي الأخير يمكن القول إن لغة الزجل هي تلك اللغة التي يفهمها فئة واسعة من المجتمع الأندلسي وهي لغة مهدّبة سادت الزجل منذ نشأته إلى غاية القرن السادس الهجري، وهو بداية ازدهار الزجل الذي كان في الحقيقة بداية انحطاط مذهبه ولغته حتى ظن بعض المستعربين أن الأزجال الأندلسية نُظمت للشارع. وقد أولى بعض المستشرقين هذه الجوانب اهتماما بالغا، أما قيمة الزجل الحقيقية فلم يتطرقوا إليها كما تقتضيه الحقيقة.

7 - أغراض الأزجال الأندلسية:

أ - الغزل:

ارتبط غرض الغزل عند الزجالة بالهجو والهزل والغناء، وهذا يوحي بأن بعض الأزجال كانت تُنظم في مجالس الأُنس والطرب، ومما يدل على ذلك ما نظّمه ابن قزمان في خرجة من زجل له عندما طلب من العود أن يساعده على الغناء للحبيب بقوله⁽⁴⁸⁾:

يا عودُ الزَّانِ قُمْ سَاعِدْنِي
طابَ الزَّمانُ لِمَنْ يَجْنِي

وقد تتنوع صورّ الغزل في الأزجال الأندلسية، فمنها ما يُبنى

48 - ابن قزمان: الديوان، زجل (4)، ص 26.

على الغزل وحده ومنها ما يأتي الغزل فيه ممتزجا بأغراض

أخرى كالمدح والخمر ووصف الطبيعة وغيرها. فمن الأزجال

التي انفردت بالغزل وحده، زجل لمدغليس يقول في أوله (49):

قد رحلت أنا وقلبي	إيش يكون مني ومنو
ولا يشفقوا عليّ	ذا الملاح ولا يحنو
قد قسمت أنا وقلبي	الهوى بلا مناعس
فخرجت أنا للأفكار	وخرج هو للوساوس
فهو كل حد في راحه	وتحن في حرب داحس
نضربو أخماس في أسداس	من حساب لم نظنو

ومن أزجال ابن قزمان في هذا الغرض قوله (50):

هَجَرَنِي حَبِيبِي هَجْرٌ
وَلَسَ لِي بَعْدَ صَبْرٍ
هَجَرَنِي وَزَادَ بِالصُّدُودِ
وَأَنْقَمَ عَلَيَّ الْحَسُودُ
فَأَيَّامِي مِنْ هَجْرٍ سُودُ
كَمَثَلِ سَوَادِ الشَّعْرِ
وَإِنَّا مِنْ هَجْرٍ فِي عَذَابِ
إِذَا مَرَّ رَعْدَ الْعِتَابِ
تَرَدَّ جُفُوتِي سَحَابِ
وَتُرْسَلُ دُمُوعِي مَطَرِ
لَسَ حَبِيبِي إِلَّا وَدُودُ
قَطَعَ لِي قَمِيصٌ مِنْ صُدُودِ

49 - صفي الدين الحلي: العاقل الحالي، ص 205.

50 - ابن قزمان: الديوان، زجل (55)، ص 364.

أما الغزل الذي يمتزج بالمدح أو الخمر فهو كثير في الأزجال ولا سيما أزجال ابن قزمان. وإذا كانت أزجال ابن قزمان تميل في معظمها إلى اللهو والمجون، فإن خليفته مدغليس قد أثر في الكثير من أزجاله الأسلوب العاطفي، فاكتست أزجاله الغزلية طابعاً حزيناً قلماً نصادفه في أزجال الأندلسيين، فمن ذلك قوله من زجل له⁽⁵¹⁾:

أنا تايبٌ من هوى يا مسلمينُ
رَبِّي يجعلُ قلبي في يدِ أمينِ
قد رجعتُ قلبي خزانه للهمومِ
كل أحدٍ فارحٌ ونا نمشي مهينُ

وقال من زجل آخر⁽⁵²⁾:

يفضحُ العشقُ أشُّ يُفدني الجحودُ
والدموعُ والنحولُ علياً شهودُ
وشهوداً آخرَ عليّ بهذا
سَهْرِي الليلُ وقلبي الموقودُ

لقد فاقت الأزجال الأشعار الأخرى في التغزل بالمذكر والحب الماجن. ومن يتقصى هذه الأشعار يعتقد أن الزجل معناه فن المجون. وقد عدها بعض المستشرقين من الأشعار المبالغة في الفحش التي تخصصت في حب الغلمان وهو حب بعيد عن

51 - صفي الدين الحلبي: العاطل الحالي، ص 23.

52 - المصدر نفسه، ص 25.

على أنه ينبغي ألا نفهم مما تقدم أن انتشار الغزل الشاذ عند الزجالين الأندلسيين ناتج عن سلوك خلقي، لأن هذا الغرض لم يقتصر على الزجل وحده بل طرقة شعراء آخرون اشتهروا بمكانتهم السياسية والاجتماعية؛ ومعنى ذلك أن هذا النوع من الغزل ما هو سوى تقليد شعري. وقد لا يختلف الغزل بالمدح عن الغزل بالمؤنث في الغرض وطريقة الوصف، فكل ما هو مخصص للنساء استخدمه الزجالة الأندلسيون أيضا للغلمان، وقد لا يتبين نوع الغزل إن لم ينبه الزجال إلى الشخص المقصود.

ورغم استهتار أبي بكر بن قزمان وجرأته في الكلام إلا أنه كان يحترم العلماء ويمدحهم حتى في أزجال الغزل، ومن ذلك زجل غزلي أهداه إلى أبي الوليد بن رشد (ت 594 هـ - 1198 م)، الفيلسوف العقلاني الذي أثر في الفكر العالمي، وهو في ريعان شبابه، يقول منه⁽⁵⁴⁾:

لَسْ لِهَذَا الْمَلِيحِ مِثَالُ
فَمَتَى ذُكِرَ جَمَالُ
فَالِي مَنْ هَوَيْتَ يُمَالُ
وَمَتَى مَا ذُكِرَ كَرَمُ
فَلابَنُ رُشْدِ أَبُو الْوَلِيدِ
رَفِيعُ الْهَمِّ هُوَ نَزِيهُ
كُلِّ مَوْلَا غُلَامٍ يَجِيهِ
وَخِصَالُ وُلْدِ خَلْقٍ فِيهِ

53 - أ. كراتشكوفسكي: الشعر العربي في الأندلس، ص 70.

54 - ابن قزمان: الديوان، زجل (106)، ص 712.

مَنْ شَبَّهَ وَتَدَّ مَا ظَلَمَ
 إهداء من لم يرث خصل من بعيد
 لا غنى أن يكن نظير
 جد القاضي الكبير
 لس ترى الكنية كفا تسير
 ومحمد هو الاسم
 جبر الجد بالحفيد

ومهما تكن الخصائص التي وظفها الزجال الأندلسي في الغرام وهي الخصائص نفسها التي نجدها في القصيد والموشح، فإن الغزل الذي جاء به الزجاله وخاصة إمامهم أبو بكر بن قزمان ما هو إلا حب مادي صرف همه البحث عن اللذة والتصابي. فابن قزمان كان خليع العذار ورجسيا يتهم في غرامه، حتى أنه سخر من عفاف الشعراء العرب.

ب - الخمریات:

تناولت الأزجال غرض الخمر ممتزجا مع أغراض أخرى كالغزل والوصف والمدح. وهي في ذلك تقتضي أثر القصائد والموشحات. لقد كان الأندلسيون يشربون الخمر في مجالس الأنس واللهو كما كانوا يشربونها في الديموس، أي الحانة. وكثيرا ما كان الإمام ابن قزمان يتردد عليها رفقة أصحابه⁽⁵⁵⁾ ليبيد ما بقي له من مثاقيل، أي الدراهم الأندلسية.

ومن الأزجال الأندلسية القليلة التي بُنيت على الخمر وحده،

55 - المصدر نفسه، انظر زجل (25)، ص 186.

زجل لأبي بكر بن صارم الإشبيلي يقول منه (56):

ومذهبي فالشراب القديم
وسكراً من هو المني والنعيم
ولس لي صاحب ولا لي نديم
فقدت أعيان كبار
واخلطن مع ذا العيار
الزمن

ولابن قزمان بعض الأزجال التي طرقت الخمر وحده، ومنها
هذا الزجل الذي مطلعُه (57):

الصيام تبيك هم لم أو لا تلم تتم

في هذا الزجل ينصح الإمام أهل الخلاعة بالصبر، وهو لا يرى مفراً من الصيام غير أنه يستقصر شهر رمضان ويتفائل بقرب شهر شوال. بينما في زجل آخر يتشاءم من قدوم شهر رمضان المعظم ويخشى مجيئه بل ويتعهد بإفطاره لأنه لا يطيق صبراً على الخمر (58). وقد تأثر الإمام ابن قزمان بشعراء المشرق في هذا الغرض، وهذا الشاعر محمد بن المنجلي (59) الذي يقول في الموضوع نفسه من قصيدة أولها (60):

جاء شعبان منذراً بالصيام

56 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 286/1.

57 - ابن قزمان: الديوان، زجل (136)، ص 860.

58 - المصدر نفسه، زجل (108)، ص 720.

59 - عاش ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين على الأرجح، وهو من أطباء المشرق.

60 - ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت 1981، 320/2.

أما غرض الخمر الذي يمتزج بالأغراض الأخرى فهو كثير في الأزجال الأندلسية، ومن ذلك قول أبي عمرو بن الزاهر في الخمر والغزل من زجل له مقتفياً أثر الشعراء في توظيف قصص العذريين، فيقول⁽⁶¹⁾:

أش عليك أت يا بن يقلق
دعني نشرب دعني نعشق
حتى نمشي سكران احمق
في دراعي مقبض خماس
وفي صدري قيس المجنون

جاء هذا الزجل رقيقاً ولم يكلف الزجال نفسه عناء البحث عن الزخارف البيديعية وإنما استخدم ألفاظاً بسيطة، فكانت معانيه سهلة كما بناه على إيقاع ناغم، وقد مزج فيه غرض الخمر بالغزل؛ إلا أن هذا الغزل الذي لا يتفصل عن غرض الخمر هو غزل حسي.

نخلص مما تقدم إلى أن الزجالين لم يضيفوا شيئاً جديداً في غرض الخمر على ما جاء به الشعراء. فقد جاء وصفهم للخمر بالصورة التقليدية نفسها التي ترد في القصائد. إلا أنهم استطاعوا أن يهذبوا هذه المعاني على طريقتهم بفضل لغتهم السهلة. وقد نلاحظ من خلال هذه الأزجال طغيان التقليد عليها وكان الزجالة

61 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 1/284.

كانوا ينسجون على منوال غيرهم. فكانت فلسفتهم في الشراب

واحدة ونظرتهم تجاه الفقيه واحدة أيضا. www.alukah.net

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

ج - وصف الطبيعة:

فتنت الطبيعة الخلافة شعراء الأندلس فشغفوا بها وتغنوا
بجمالها كما وصفوا دقائقها واستحدثوا أسماء الأزهار والنبات
والأشجار والطيور؛ وتغنّى الشعراء مطوّلاً بأزهار الرمان التي
يسمونها الجلتار. ولعل أشهر وصف للطبيعة ومفاتها ما قاله
مدغليس من زجل هذا أوله⁽⁶²⁾:

ثلاث أشيا فالبساتين	لس تجد في كل موضع
النسيم والخضر والطيور	شم واتنزه واسمع
قم ترى النسيم يُولول	والطيور عليه تغرد
والثمار تنثر جواهر	في بساط من الزمرد
وبوسط المرج الأخضر	سقي كالسيف المجرد
شبهت بالسيف لما	شفت الغدير مدرع

فإذا أمعنا النظر في هذا الزجل نجد صاحبه قد اعتمد في
نظمه على الصنعة والتنميق ولجأ إلى وصف مختلف المناظر
الطبيعية؛ فكان وصفه مفصلاً ودقيقاً، كما جاءت صورته موحية
ومثيرة للمتعة حتى كأننا أمام لوحة رسام ماهر. لقد جاء هذا
الزجل خالصاً للوصف، واستطاع مدغليس بأسلوب سهل وألفاظ
بسيطة أن يوفق في تشخيص عناصر الطبيعة من جامد وناطق؛
فصور النسيم والطيور والنبات والغصون على نحو إنساني يموج
بالحركة والأصوات. غير أن تشخيص عناصر الطبيعة من

62 - المصدر نفسه، 220/2 وما بعدها.

وقد يأتي وصف الطبيعة في الأزجال ممتزجا بموضوع الغزل كقول عبد الغافر بن رجلون المرواني وهو من زجالي القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)⁽⁶³⁾:

أوقدُ في قلبي النارُ	ولسُ يريدُ يطفئهُ
وسدَّ بابَ الدارِ	أي خذل فيه وأي تيه
يا أحسنَ الغزلانُ	يا كوكبَ دري
لك تسجدُ الأغصانُ	ويمدح القمري
ويخجلُ النعمانُ	وأنت لا تدري
والعقلُ فك قد حارُ	والوصف والتشبيه

في هذا الزجل الذي لجأ فيه الشاعر إلى تشخيص عناصر الطبيعة، يمتزج الوصف المادي بالوصف الوجداني، ففيه تسجد الأغصان ويمدح القمري ويخجل النعمان من جمال المحبوب، وكأن هذه العناصر أشخاص تملؤها الحركة والنشاط.

ولعل أجمل ما نُظِم في وصف الطبيعة وتشخيص عناصرها الجامدة والحية ما ذكره ابن سعيد في "المقتطف"، قوله: وسمعت أبا الحسن بن جحدر الإشبيلي إمام الزجالين في عصرنا يقول: ما وقع لأحد أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قزمان، شيخ الصناعة. وقد خرج إلى منتزه مع بعض أصحابه، فجلسوا تحت عريش، وأمامهم أسد من رخام يصب ماءً من فيه على صفّاح

63 - المصدر نفسه، 226/1.

وَعَرِيشٌ قَدْ قَامَ عَلَى دَكَانٍ	بِحَالٍ رَوَّاقٍ
وَأَسَدٌ قَدْ ابْتَلَعَ تُعْبَانُ	بِهِ غَلْظُ سَاقٍ
وَفَتَحَ فَمُّو بِحَالِ إِنْسَانٍ	بِهِ الضُّوَّاقُ
وَانْطَلَقَ مِنْ ثَمَّ عَلَى الصَّفَاحِ	وَأَلْقَى الصَّيَّاحُ

وقد يجتمع في الزجل الأندلسي عدة مواضع، فمن ذلك زجل للحسن الدبَّاع وقد مزج فيه بين الوصف والخمر والغزل، يقول في أوله (65):

لَا مَلِيحٌ إِلَّا مَهَاوِدُ	لَا شَرَابٌ إِلَّا مَرُوقُ
اتَكِي وَارْبِحْ زَمَانَكَ	بِالْخَلَاعَا وَالْمُعِيشِقُ
لَا شَرَابٌ إِلَّا فِي بَسْتَانٍ	وَالرَّبِيعُ قَدْ فَاحَ نَوَارُ
يَبْكِي الغَمَامُ وَيَضْحَكُ	أَقْحَوَانُ مَعَ بَهَارُ
وَالْمِيَاهُ مِثْلُ الثُّعَابِينُ	فِذَاكَ السَّوَّاقُ دَارُ
وَالنَّسِيمُ عَذْرَى الأنْفَاسُ	قَدْ نَحَلَ جَسْمُو وَقَدْ رَقُ
وَعَشِيَّةٌ مَلِيحًا فَتَنَ	عَنْهَا الْمَسْكُ يَنْشِقُ

في هذا الزجل الفياض بالحركة والنشاط لم يكلف الزجال نفسه في اللجوء إلى الأساليب البلاغية في وصف مجالي الطبيعة بل جاء وصفه بألفاظ سهلة خالية من التعقيد.

كما ولع الزجالة الأندلسيون بالروض والوديان وصفوا قناطرها وصوروا نزهااتهم وشغفهم بصيد البوري، فمن ذلك

64 - ابن سعيد: المقتطف من أزاهير الطرف، ص 483.

65 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 438/1 وما بعدها.

زجل لبعض الأندلسيين يذكر فيه قنطرة شنيل بقراطية⁽⁶⁶⁾:

يا قنطرة شنيل والناس رفاق
بالسؤال والتعديل وبالزواق
ومن جناح جبريل عليه رواق
يا صياد الحيتان البور عوام
على شطيظ الويدي في الأبتسام
اسمع لغة الأطيبار فوق الشبيكات
وأنواع الحيتان للبر قد جات
يا ما ابدعو صياد صاحب الشبيكات
يا صياد الحيتان البور عوام
على شطيظ الويدي في الأبتسام

يتبين مما تقدم أن الزجالة قد ساهموا في نهضة شعر الطبيعة وقد استطاعوا أن يصوروا مجالي الطبيعة الحية والجمادة كما صوروا مظاهر الحياة الالهية من منتزهات ومجالس أنس ولم يشغلوا أنفسهم بالمحسنات البديعية إلا ما كان ضروريا، وقد جاء أسلوبهم في معظمه سهلا وألفاظه جارية. كما أبدعوا في تشخيص مناظر الطبيعة في أزجالهم، فلا يأتي الحبيب على لسانهم إلا وتذكر معه مناظر الطبيعة الخلابة، فكانوا يستعيرون من أزياء الطبيعة الوضاحة أوصافا للحبيب.

د - المدح:

أخذت الأزجال الأندلسية نصيبا وافرا من الأمداح، ولعل ذلك ما يفسر الوضعية المزرية التي آلت إليها الأندلس بسبب الحروب

66 - محمد بن مرابط: الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص 159.

مع النصارى من جهة وما بين الأندلسيين أنفسهم من جهة أخرى.
وربما كان الزجال من أفقر الشعراء، فكانت أزجال ابن قزمان
ومدغليس معظمها في المدح.

وموضوع المدح لا يأتي في الأزجال وحده بل غالبا ما يأتي
ممتزجا بموضوع آخر كالغزل والوصف والخمر. وقد يقع
أحيانا ممتزجا بأغراض شتى، وهو في ذلك يقتضي طريق
القصيدة والموشح في هذا الغرض. ومن الأزجال النادرة التي
بُنيت على المدح وحده زجل لابن قزمان في مدح أحد الوزراء
يقول في مستهله⁽⁶⁷⁾:

عَبْدُكَ الْمَنْقَطِعُ إِلَيْكَ مَنْ كَانَ
أَكْمَلَ اللَّهُ عُلَاكَ ابْنَ قَرْمَانَ
أَطَالَ اللَّهُ بَقَا الْوَزِيرِ الْأَجَلُ
الْفَقِيهِ عَادَ الْكَاتِبِ الْأَكْمَلُ
إِذْ يَقُولُ أَعْمَلُوا كَذَا يُعْمَلُ
مَغْنُ مَكْرُومٍ وَجِيهِ رَفِيعِ الشَّانِ

في هذا الزجل يتذلل ابن قزمان لممدوحه ويعتبر نفسه عبدا
له، وهو الأسلوب نفسه الذي كان يستخدمه في أزجال الغزل عند
مخاطبته الغلمان وهو أسلوب وصولي لا صدق فيه.

ومن أزجال المدح التي تصدرت بمقدمة غزلية وهو الأغلب
في الأزجال، زجل لمدغليس يقول منه⁽⁶⁸⁾:

الهوى حملني ما لا يُحتملُ

67 - ابن قزمان: الديوان، زجل (95)، ص 642.

68 - صفي الدين الحلي: العاقل الحالي، ص 19.

تُردُّ الحقُّ لسُّ لمن يهوى عقلُ

إهداء- لس نفع في مثلها ما دمتُ حيُّ

إن حماني من ذا تأخير الأجلُ

خذُ نقلُ لك أشُ جرى لي يا فلانُ

وترى أنّي صبورُ نعمه جزلُ

اشتغلُّ قلبي بهذا العشق زمانُ

فسقط لي نقطة العين واشتعلُّ

إلى أن يقول:

لا مليحُ إلا الذي نعشقُ أنا

ولا قائدُ إلا ذا المولى الأجلُ

أبُ عبد الله الذي أسس لوجاهُ

بن صناديد تبنى واحتفلُ

في أزجال المدح المصدرة بمقدمة غزلية يلجأ الزجال إلى التخلص من الغزل بطريقة سهلة ثم يخرج منه إلى المدح ويختم بالغزل أحياناً. وعن ذلك يقول ابن قزمان في مقدمة ديوانه متحدثاً عن ابن نمارة: "ويتخلص من التغزل إلى المديح بغرض سهل وكلام مليح"⁽⁶⁹⁾. وكان الإمام ابن قزمان بعد تخلصه من الغزل يهدّب كلامه قبل الشروع في المدح، ومن ذلك ما جاء في زجل له وقد بدأه بمقدمة غزلية مطوّلة⁽⁷⁰⁾:

ثم إنني هذبتُ ذا الأخيارُ

وتركتُ الصبى والاستهتارُ

وابتديت من جديد لمدح الكبارُ

69 - ابن قزمان: الديوان، ص 2.

70 - المصدر نفسه، زجل (87)، ص 570.

وَنظَّمْتُ الْجَوَاهِرَ اسْتِرْسَالُ
وَضَمَمْتُ الدَّوَا وَخَذْتُ الْقَلَمُ
وَجَمَعْتُ الثَّنَا وَسُقَّتْ الْحُكْمُ
وَنَزَلَ يَدُ الْوَرَقِ وَرَقْمُ
وَتَمَّمْتُ وَجَا عَمَلِ عَمَّالُ

وفي أزجال المدح يكشف أبو بكر بن قزمان عن شدة فقره ويسترخص كرامته من أجل طلب لقمة عيش أو بضعة مثاقيل، فهو يتذلل للأغنياء والأعيان عساه أن يحصل على أكل أو ثوب، كما كان يتذلل للغلمان من أجل الوصال. ورغم فحشه وتحديه الأعراف، فقد نجده في بعض أمداحه ينصر جنود الإسلام ويتحمس لانتصار المرابطين⁽⁷¹⁾ على جيوش النصارى، كما فعل من بعده ابن جحدر الإشبيلي عند فتح ميروقة بالزجل الذي يقول في أوله⁽⁷²⁾:

مَنْ عَانَدَ التَّوْحِيدَ بِالسَّيْفِ يُمَحَقُ
أَنَا بَرَى مِمَّنْ يَعَانِدُ الْحَقَّ

ويعد ابن جحدر أول من طرق باب الملاحم في الأزجال الأندلسية، إلا أن الملاحم ظهرت في الأندلس منذ عصر الإمارة من خلال الأراجيز الأندلسية التي أثرت في أغاني المفاخر الإفريقية.

إن أزجال المديح اتجهت في معظمها نحو ذكر خصال الممدوح وصفاته الحميدة من كرم وجود وشجاعة ولم تختلف في هذا المنحى عن الشعر التقليدي والموشح. وكانت معاني

71 - المصدر نفسه، زجل (38)، ص 258.

72 - ابن سعيد: المقتطف، ص 486. انظر، المقري: فح الطيب، 61/4.

أزجال المديح بسيطة غير متكلفة لكنها أقل إيقاعاً من أزجال الغزل والوصف. غير أن الزجالة قد خالفوا الوشاحين في بعض أزجال المديح، فبينما كان الوشاح يختم موشحته بخرجة فصيحة احتراماً للممدوح كان زجال القرن السادس الهجري يُصدر زجله بمقدمة غزلية ماجنة أحياناً، ومما لا ريب فيه، أن الزجال سلك هذا الطريق لإرضاء الممدوح الذي كان يتذوق مثل هذا الحديث في ذلك العصر. والأدهى من ذلك أن ابن قزمان الذي مدح عدة أشخاص من طبقات مختلفة كان يتغزل ببعضهم، وهذا مما استحدثه ابن قزمان في فن المديح.

كان الأمير الوشكي من أبرز الرجال الذين اتصل بهم ابن قزمان ومدحهم في أزجاله. وفي هذا الزجل المديحي نجد الإمام ابن قزمان يتغزل بممدوحه فيقول في مستهله⁽⁷³⁾:

نريدُ ولِخوفِ التَّشْبهِ نَبْكَي
 واشِ نَقْدِرْ نَموتِ وِراكَ يا وَشْكَي
 عَشَقْتُ وَصَحَّتْ الرِّوَايَةُ
 فقلْ لِي لَقَدْ فِي أَمْرِكَ آيَةُ
 مِنْ ذَابُ نَبْتِديكَ نَعْمَلُ نِكايُهُ
 نَرْضَى بِرِضَاكَ فَذَلْ وَأَنْكَي

وإذا أمعنا النظر في أزجال أبي بكر بن قزمان، فإننا نلاحظ أنه لم يعتن كثيراً بالإبداع حين ينظم زجل مدح باستثناء ما خصه للوشكي؛ فجل أمداحه وقعت في المبالغة السطحية وافتقرت إلى العبارات الصادقة، بل كان يمدح نفسه قبل وبعد مدحه الأشخاص الآخرين. ولم يرث ابن قزمان أحدا ممن مدحهم إلا

73 - ابن قزمان: الديوان، زجل (1)، ص 8.

لم يقتصر الزجل على مدح الأشخاص فحسب بل وظّفه أبو الحسن الششتري أيضا في مدح النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وكان أول من أدخل التصوّف في الأزجال، وقد اشتهر الششتري بالزهد الذي غلب على ديوانه. وإذا كان الزهد موضوعا تقليديا شأنه شأن المواضيع الأخرى في الأشعار فإن المتصوّفة ذهبوا بالتصوّف إلى حدّ المبالغة، حتى ليظن من يتقصّى أشعارهم أنهم يتغزلون إن لم يراع طريقة التأويل في فلسفتهم.

ومن أزجال الشيخ أبي الحسن الششتري في التصوّف هذا الزجل الذي يقول في مستهله⁽⁷⁴⁾:

الله، الله، هاموا الرجالُ في حبّ الحبيبِ
الله، الله، معي حاضرُ في قلبي قريبُ
أدللُ يا قلبي وافرحُ حبيبكُ حضرُ
واتنعمُ بذكر مولاك وقصي الأثرُ
واتهنى وعش مدلل بين البشرُ
دعوتي دعوتي تذكرُ حبيبي بذكرو نطيبُ
الله، الله، معي حاضرُ في قلبي قريبُ

فإذا كان الشعراء غالبا ما يشكون من بُعد الحبيب وهجره، فإن الششتري في هذا الزجل يبدي سروره لحضور حبيبه وهو الحبيب الذي لا يغيب. ومع ذلك نجد الشاعر في أزجال أخرى يحترز من الوشاة والرقباء الذين يتسببون في إبعاده عن حبيبه

74 - الششتري: الديوان، ص 88.

تماماً مثلما يفعل الشعراء الغزليون. وكان محي الدين بن عربي

قد سبق إلى هذه الطريقة في الموشح. www.alukah.net

ولم يختلف الششتري عن ابن قزمان في تحديده الضيق في عشق الملاح وشرب الخمر إلا في القصد. إذ أن الأول كان ينجح إلى الخلاعة ويهوى المجون والثاني كان يناجي الله ويدعو إلى التوحيد. فمن هذا اللون زجل صوفي للششتري يقول في أوله⁽⁷⁵⁾:

قولوا للفقير عني عشق ذا المليح فني
وشرب معو بالكاس
والحضره مع الجلاس
وحولي رفاق أكياس
قد شالوا الكلف عني
قولوا للفقير عني عشق ذا المليح فني

ولم يجرأ الششتري لأسباب دينية على ما يبدو، على تجريد لغة أزجاله من الإعراب كلية بل جل أزجاله جاءت قريبة من الموشحات شكلاً ولغة. وقد انفرد الشيخ الششتري دون الزجاله الآخرين في تكرار المطلع نفسه في جميع أفعال الزجل.

أما أبو بكر بن قزمان فعلى الرغم من غزارة إنتاجه الزجلي، فإننا لم نعثر على زجل ديني عنده إلا ما جاء متناثراً في ثانيا الأزجال، وهو يتمثل في بعض الإشارات إلى الدين الإسلامي والمسلمين. هذه الإشارات وردت في الأزجال التي خصها الإمام لمدح السلاطين والقضاة في الأندلس وخاصة القادة الذين

75 - المصدر نفسه، ص 276.

ومن الأنواع الدينية التي تضمَّنّها الزجل موضوع المكفر، وهو الغرض الذي يتضمَّن الاستغفار والوعظ والحكمة تكفيرا عن الهزل والأحماض التي ينظّمها الزجال في شبابه قبل توبته. والمكفر ظهر في الشعر والموشح أولاً، ومن الطبيعي أن ينتقل إلى الزجل لأن الأزجال طرقت الأحماض والخلاعة أكثر من الأشعار الأخرى.

وفي أواخر الحكم الإسلامي في الأندلس مال الزجل إلى المدائح الدينية والتعني بالمناسبات كالمولد النبوي وعيد يناير أو "الينير". أما الأزجال التي طرقت باب "الينير" فقد ظهرت في بلاد الأندلس منذ عصر الإمام أبي بكر بن قزمان، ومن ذلك قوله في هذه المناسبة⁽⁷⁶⁾:

والغزلان تباع	الحلون يعجن
من ماع قطع	يفرح للينير
اشكالا ملاح	لقد ذا النصبات
للعين انشراح	وفيه بالله
أولاد اسـتراح	ومن لس ماع
فالحال اتساع	إلا من يدري
هو شيا غريب	ترتيب الأثمار
والتمر العجيب	اللوز والقسطال
والتين والزبيب	والجوز والبلوط
تفريق اجتماع	تشتيتا منظوم

76 - ابن قزمان: الديوان، زجل (72)، ص 464.

جلوزُ عين الثورُ
 ايُنقرُ لك فالبابُوحة
 شيئا ملهوي
 نقرأ مستوي
 يصدعُ راسكُ
 فذاك الدوي
 ورزقُ الجلوزُ
 في ذاك الصداعُ
 كأن الميدا
 دارُ فيها زواجُ
 والحلونُ فيها
 عروسُ بتاجُ
 والتينُ والبوطُ
 الصوفُ والدباجُ
 نقيمُ الألوانُ
 مقامُ الصناعُ
 والنرجُ احبابُ
 إذا اتعدلوا
 والليمُ دفافاتُ
 إذا ولولوا
 وإن كان ثم دومُ
 أو قصباً حلو
 فلسُ لو تشبيهُ
 إلا بالشمامُ
 اتحكّم باللهُ
 ذهني وانطبعُ
 وسقتُ البدعُ
 ولا شك أنُ
 شيئا مخترعُ
 اتحكر ما أحلا
 هذا الاختراعُ
 ترى ما سميتُ
 وما قلتُ فيهُ
 إن كان لسُ
 بما نشتريةُ
 فابنُ حمدينُ
 يجمعني بيهُ
 على أفضل حالُ
 وخير انطباعُ
 أبو عبد اللهُ
 ما أشهرُ علاكُ
 وأنقى عرضكُ
 واطيبُ ثنائكُ
 عوضُ من ولدكُ
 نريدُ ان نراكُ
 تردُ الحلُ
 لصحب المتاعُ

ولابن قزمان زجل آخر يتحدث في خرجته عن "الينير" (77):

الينير كلمة لاتينية بمعنى الشهر الأول الشمسي (Ianuarius) أي يناير أو جانفيه. بدأ الأندلسيون يحتفلون بالينير منذ العهد الأموي بالأندلس، وفيه تُصنع مختلف أطباق الحلوى ويتبادل الناس الهدايا ويُعطّل العمل.

وكانوا يحتفلون بهذه المناسبة في اليوم السابع من ولادة المسيح واليوم الموالي له وهو الأول من شهر يناير، غير أنهم سمّوه "النيروز" وهي كلمة فارسية تعني رأس السنة الشمسية عند الفرس المصادف ليوم 21 مارس. أما في برّ العدو فيسمّى هذا اليوم بـ "الينير" (78). وظل الأندلسيون والمغاربة يحتفلون بهذه المناسبة رغم تحذير فقهاء المالكية وتحريمهم مشاركة المسلمين المسيحيين أفراحهم.

وبعد سقوط الأندلس اقتصر "الينير" على المناطق الشمالية للمغرب الأقصى والغرب الجزائري، الذي أصبح يسمّى "النائر"، وبقي مجهولا في بقية مناطق الجزائر وخاصة سكان الجبال الذين عرفوه لأول مرة في السبعينيات من القرن العشرين. كما اشتهر الناس في هذا اليوم بأكلة "الشرشم" المتكون من البقول والقمح. وكانوا يحتفلون بهذه المناسبة حسب التقويم اليوليوسي (julien).

ولما دخلت فرنسا الجزائر وطبقت التقويم الغريغوري (grégorien) لأول مرة، لاحظ أهل الغرب الجزائري أن أول يناير الجديد قد تقدم بـ 12 يوما وكان ذلك في يوم 19

77 - انظر، المصدر نفسه، زجل (40)، ص 284.

78 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 1/294.

ديسمبر من التقويم القديم، لذا لم يحتفلوا حسب التقويم الجديد الذي حذف عشرة أيام سنة 1582 م، بل انتظروا حتى يوم 12 يناير وكانت الفرصة مواتية لمخالفة الاستعمار والتبرك بيوم 12 وهو مولد الرسول الأعظم. أما أهل المغرب الأقصى فهم يحتفلون يوم 13 من يناير، لأنه في الوقت الذي بدأوا يطبقون فيه التقويم الجديد كان التقويم القديم قد تأخر بـ 13 يوما وذلك ابتداء من شهر مارس 1900 م.

لقد ارتبط "النَّايِر" بالمجتمع الريفي، غير أنه ليس بداية السنة الفلاحية التي تبدأ عند اعتدال فصل الخريف كما هو معروف في النيروز عند الأقباط والمهرجان عند الفرس، وإنما هو الاحتفال برأس السنة الميلادية كما هو الحال عند المسيحيين، غير أن المغاربة جعلوا منه احتفالا بمحصول الخريف من مكسرات وتمر وفواكه مجففة، وذلك حتى يخالفوا النصارى. و"النَّايِر" لا علاقة له بالوثنية مطلقا كما يعتقد بعض المتعصبين الذين يتخذون من التراث اللامادي وسيلة لمحاربة العروبة والإسلام. وقد تعود الأندلسيون أن يحتفلوا بأعياد النصارى على طريقتهم، ومن هذه الأعياد يوم العنصرة أو المهرجان في 24 يونيو، وهو عيد جني ثمار الصيف.

و - الرثاء:

أما الرثاء فإنه قليل في الأزجال، ومع ذلك فإن الزجالة لم يكتفوا برثاء الأشخاص بل رثوا أيضا البلدان التي حزنوا لخرابها. ورد هذا الموضوع في القصائد والموشحات، وقد اشتهر به الأندلسيون نظرا إلى أحداث الخراب التي شاهدها في بلادهم.

ومن الأزجال النادرة التي بُنيت على الرثاء، زجل لأبي بكر

البكا واجبٌ وصبرنا أنفعُ
إن من قد مات لم يمض ليرجعُ
إنما معذور فمَعذُور وزايدُ
كل أحدٌ بالله يضرعُ للشدايدُ
لس تجي العينين إذ تبكي بفايدُ
إنما راحه تجد كما تدمعُ
قل في إشبيليه ولس كنصدقُ
حتى جات رُفقَ وقالت لي الحقُ
ومشى خبرك وغربُ وشرقُ
وقطعُ آمالُ وكسلُ ورُوعُ
وفتلُ أكبادُ ومرضُ وحيِرُ
وقلوباً راعُ وبدلُ وغيرُ
لس الإنسانُ في عيشٍ مُخِيرُ
إنما ينقلُ من موضعٍ لموضعُ

جاء أسلوب هذا الزجل حاراً وهادئاً يشهد على صدق ابن قزمان في قصده. غير أنه لم يتمالك نفسه حتى وقع في هزله كعادته، حين بدأ بذكر مهارات القاضي بقوله: "كشفت البرغوث من جبهة الأصلع". وفي الأخير يتمنى أبو بكر بن قزمان أن يدفن بجواره في قرطبة، وهو الذي يقول: "وحبيتك حي وميت تحبك". وعداً أسلوبه العفوي الهزلي، لم نر جديداً من خلال هذا الزجل اليتيم، فكل ما جاء به الإمام ابن قزمان هو

79 - ابن قزمان : الديوان، زجل (83)، ص 528.

إن ما وصل إلينا من غرض الهجاء في الأزجال قليل جدا وقد يكون مرجع ذلك إلى موقف المؤرخين منه، إذ كان بعضهم يصون كتابه من هذا الضن. والهجاء في الزجل يغلب عليه الارتجال والعضوية، وهو في مضمونه ساخر يؤثر فيه الزجال أسلوب التهكم. ولم يصل إلينا من الهجاء السياسي شيء يذكر في الأزجال بل وعلى خلاف ذلك، نجدهم قد أكثروا من هجو نصارى الشمال، وكان ابن قزمان يهجوهم بسخط شديد وأسلوب لاذع كلما نظم زجلا يمدح فيه سلطانا أو قاض.

وقد يأتي الزجل خالصا للهجاء، ولعل أشهر الزجالين الأندلسيين في هذا الميدان الحسن بن أبي نصر الدبّاغ إمام الهجو على طريقة الزجل، وله زجل هجو في حكيم⁽⁸⁰⁾:

إن ريت من عدّاك يشتكى من تلطيخ
وتريد أن يُقبر أحمل للمريخ
قد حلف ملك الموت بجميع أيمان
ألا يبرح ساعه من جوار دكان
ويريح روح ويعظّم شأن
وفساد النيا تحت ذاك التوبوخ
بقياس الفاسد وبدين الحمروج
يخذ الصفراوي ويرد مفلوج
للصحيح لس يسمح بمريقة فروج

80 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 439/1.

أهداء من شبكة الألوكة
www.alukah.net
وللحسن بن أبي نصر الدبّاغ زجل آخر في هجو الجرئيس
النّيار الزّجال وموت أمه، يقول فيه⁽⁸¹⁾:

عزّوا إبليس ونوحوا يا كفار
ماتت أم الجرئيس النّيار
أيّ عجوز لقد فجع فيها
كل شاطر إن كان في ذا الجيها
حلف الموت ألا يخليها
وأي رزيّا جرّت على الشّطار

يعتبر هذا الزجل من أكثر الأزجال إقناعا وإسفافا، وإن الأفكار التي يقوم عليها من فحش بذيء وتشهير شنيع بميت، توحي بأن هذا الزجال غريب الشخصية، لأنه ليس من الأخلاق والكرم أن يهجو شاعر إنسانا ميتا ويذمه مثلما فعل هذا الشاعر، وهذا قلما نجده في الشعر الأندلسي والمشرقي على السواء.

ولا يقع موضوع الهجاء وحده في الأزجال دائما بل أكثره جاء ممتزجا بمواضيع أخرى فيما وصل إلينا من أزجال. فابن قزمان كان يهجو الرقيب الذي يمنعه من مخالطة الصبيان وكان يتمنى له كل المصائب في أزجاله، إذ يقول من زجل له⁽⁸²⁾:

لا تسموا رقيب ولا تذكروه
وإذا جا فضيق لا تعذروه
میلوا رؤسكم ولا تنظروه

81 - المصدر نفسه، ص 440.

82 - ابن قزمان: الديوان، زجل (9)، ص 60.

إنَّ أزعقُ هوُ من زوال النعمِ
والعمى والفقرُ وطول العُمُرِ
وأَماتُ قَطِيمِ يَهُودِي أَدْرِ
لَسْ لَهُ حِيلُهُ فَيَدُ غَيْرِ الشَّتَمِ
كَلِمَا نَطْمَعُ أَنْ يَغِيبُ لَسْ يَغِيبُ
وَيُفْرَقُ مَا بَيْنَ حَبِيبٍ وَحَبِيبٍ
حُرْمٌ بِاللَّهِ مُعِيشَتَيْنِ وَرَقِيبٍ
لَسْ يُرِيدُ أَنْ تَرَى قَمِيصَ بَعْلَمِ

ومن بين الذين هجاهم الإمام ابن قزمان أيضا، الفقيه الذي كان يمنعه من شرب الخمر والسجّان الذي وقع ابن قزمان أكثر من مرة في شباكه. ورغم استهتار ابن قزمان، لم نجد في ديوانه زجلا واحدا خالصا للهجو فهجاؤه جاء متناثرا في ثنايا الأزجال. هذا بوجه عام ما كان بشأن أغراض الزجل التي طرقها الشعراء الأندلسيون في عصرهم، فمنها ما هو تقليدي ومنها ما هو متطورٌ وموسّعٌ ومنها ما هو مستحدث.

1 - الوشاحون:

سبق الحديث عن نشأة الموشح وذكرنا بعض الوشاحين الذين ساهموا في بدايات الموشحات، ومنهم: محمد بن محمود القبري ومقدم بن معافى القبري وابن عبد ربه ويوسف بن هارون الرمادي ومكرم بن سعيد وابني أبي الحسن، وكل هؤلاء كسدت موشحاتهم. والآن، نحاول أن نورد بقية مشاهير الوشاحين الذين ظهروا في الأندلس والمغرب، ومنهم:

عبادة بن ماء السماء: أبو بكر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء، شاعر الأندلس، ورأس الشعراء في الدولة العامرية (ت 422 هـ - 1030 م). وهو أول من وصل إلينا بعض من موشحاته⁽¹⁾ وقد اختلفت المصادر في نسبتها إليه وذلك لتشابه اسمه مع اسم الوشاح عبادة القزاز. ومن موشحاته قوله:

حَبَّ الْمَهَا عِبَادَهُ مِنْ كُلِّ بِسَامِ السَّوَارِ
قَمَرٌ يَطْلُعُ مِنْ حَسَنِ آفَاقِ الْكَمَالِ
حَسْنُهُ الْأَبْدَعُ

لِللَّهِ ذَاتُ حَسَنِ مَلِيحَةُ الْمُحَيَّا
لَهَا قِوَامُ غَصَنِ وَشَنْفُهَا الثَّرِيَّا
وَالثَّغَرُ حَبُّ مُزْنِ رُضَابِهِ الْحَمِيَّا
مِنْ رَشْمِهِ سَعَادَهُ كَأَنَّهُ صِرْفُ الْعَقَارِ
جَوْهَرٌ رَصَّعٌ يَسْقِيكَ مِنْ حَلْوِ الزُّلَالِ

1 - ابن شاعر الكتبي: فوات الوفيات، 426/1.

رشيقه المعطاف وحده كالقصر في القوام
شهدية المراشفا كالدر في نظام
دعصية الروادف والخصر ذو انهضام
جواله القلاده محلولة عقد الإزار
حسنتها أبتدع من حسن ذياك الغزال

أكل المدمع

ليالية الذوائب ووجهها نهـار
مصقولة الترائب ورشفا عقار
أصداعها عقارب والخذ جـنار
ناديت وافواده من غادة ذات اقتدار
لحظها أقطع من حد مصقولة النصال

من الفتى الأشجع

سفرجل النهود في مرمـر الصدور
يزهى على العقود من لذة النحور
ومقلية وجيد من غادة سفور
حبي لها عباده أعود من ذاك الفخار
برشفا يرتفع في روض أزهار الجمال

كلما أبتع

عفيفة الذبول نقيه الثياب
سلاية العقول أرق من شراب
أضحى بها نحولي في الحب من عذاب
في النوم لي شراده وحكمها حكم اقتدار
كلما أبتع منها فإن طيف الخيال

زارني أهجع

ابن القزّاز: هو الوشاح محمد بن عبادة أبو عبد الله المعروف

باسم عبادة القزّاز (ت 488 هـ - 1095 م)، شاعر المعتصم بن

صمّادح صاحب المريعة. ومن موشحاته قوله (2):

أَذَابَ الْخَلَدُ	نَهَدُ مِنْهُدُ
وَعَصَنُ تَأَوَّدُ	فِي دَعَصٍ مَلْبِدُ
عَنْ سَقَمٍ مَكَمَدُ	لَاهُ
فَدَعُ عَدَلِي	يَا مَنْ يَلُومُ
فَلُومَكَ لِي	فِي الْحَبِّ لُومُ
أَقْصَى أَمَلِي	ظَبِي رَحِيمُ
ابْتَزَّ الْجَلَدُ	بِلِحْظٍ مُرْقَدُ
وَلَمَّةٌ عَسَجَدُ	قَتْلِي قَدْ تَعَمَدُ
دَمِي تَقَلَّدُ	أَهُ
وَلَمَّا ابْتَرَى	لِلْعَامِرِي
خَيَالٌ سَرَى	فَعَلَ الْكَمِي
شَدَوْتُ الْوَرَى	شَدَوُ الشَّجِي
الْبَدْرُ سَجَدُ	وَالرَّيْمُ أَسْجَدُ
لِنَعْلِي مُحَمَّدُ	بِالْخَدِّ الْمُورَدُ
وَالجيدِ الْأَغْيَدُ	تَاهُ

ابن أرفع رأسه: أبو بكر محمد بن أرفع رأسه الطليطلي، من أوائل

وشّاحي الأندلس (3) الذين ظهروا في بداية القرن السادس الهجري

(الثاني عشر الميلادي)، اشتهر بمدح المأمون بن ذي النون صاحب

2 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 136/2.

3 - المصدر نفسه، ص 18.

مَنْ عَلَّقَ الْقَرْطَا	فِي أُذُنِ الشُّعْرَى
وَأَكْفَفَ الْمَرْطَا	الْغَصْنَ النَّضْرَا
الْحَسْنَ مَرْجُومٌ	عِنْدِي وَمَأْثُومٌ
وَالطَّرْفُ ظَلُومٌ	وَالْقَلْبُ مَظْلُومٌ
وَبِأَبِي رَيْمٌ	يَعِشُّقُهُ الرِّيمٌ
لَمْ يَأْكُلِ الْخَمَطَا	وَلَا رَعَى السِّدْرَا
وَلَا دَرَى الْأَبْطَا	مَنْ سَكَنَ الْقَصْرَا
يَا قَوْمُ بِي تِيَاهُ	لِمَاهِ مَعْسُولُ
الْهَجْرُ مِنْ هَجْرَاهُ	وَالذَّنْبُ مَحْمُولُ
يَدْرِي الَّذِي يَهْوَاهُ	أَنَّهُ مَقْتُولُ
أَمَاتَنِي غَيْطَا	وَمَا اتَّقَى الْوِزْرَا
لَمْ أَعْرِفِ الشَّرْطَا	فَكُنْتُ مُغْتَرَا
قَدْ هَمَّتْ فِي وَسْتَانِ	أَسَدِ الشَّرَى يَسْبِي
بِلِحْظِهِ الْفَتَانِ	فِي مَعْرِكِ الْحَبِّ
عَلَى الظُّبَا سُلْطَانِ	بِقُدْرَةِ الرِّبِّ
سِيحَانٍ مَنْ أَعْطَى	جَفُونَكَ النَّصْرَا
وَالقَبْضَ وَالْبَسْطَا	وَالنَّهْيَ وَالْأَمْرَا
عَلَيَّ مَا أَعْدَى	سَيُوفُ عَيْنَيْكَ
كَمْ أَتَّبِ الْأَعْدَا	بِالْعِذْلِ عَلَيْكَ
وَالْحَسْنَ قَدْ أَبْدَى	عُذْرِي بِخَدَيْكَ
بِأَحْرَفِ خَطَا	لَمْ تَعْرِفِ الْحَبْرَا

4 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 74. هذه الموشحة نسبتها للصفدي

إلى الحصري القيرواني، انظر: توشيح التوشيح، ص 151.

أودعها نقطاً
أهدضتني بإسعاد
بالمسك كي تقرا
والشمس تحكيه
أبدى الرضى فيه
خوف تجنيه
من أمسك البدر
وأشغل السرا

الأعمى التُّطيلي: أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة، نشأ في إشبيلية منذ صغره، وكان في عهد علي بن يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، لم يعمر طويلاً، ومات سنة (525 هـ - 1130 م)⁽⁵⁾. وله ديوان مطبوع، ومن موشحاته قوله⁽⁶⁾:

ضحكٌ عن جمان
ضاقَ عنه الزمان
سافرٌ عن بدر
وحواهُ صدري
آه مما أجد
شفتي ما أجد
قام بي وقعد
باطش متئد
كلما قلتُ قد
قال لي أين قد
وانثنى خوط بان
ذا مهزّ نضر
للصبا والقطر
عابثته يدان
ليس لي منك بُد
خذ فؤادي عن يد
لم تدع لي جلد
غير أني أجهد
واشتياقي يشهد
ما لبنت الدنان
ولذاك الثغر
أين محيا الزمان
من حميا الخمر

5 - ابن خاقان: قلائد العقيان، مصر 1320 هـ، ص 385.

6 - ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 57.

بي هوى مضمَرُ لبت جهدي وفقه
كلما يظهرُ ففؤادي أفقه
ذلك المنظرُ لا يداوي عشقه
بأبي كيف كانُ فلكلبي دري
راق حتى استبانُ عذره وعذري
هل إليك سبيلُ أو إلى أن أياسا
ذبت إلا قليلُ عبرة أو نفسا
ما عسى أن أقولُ ساء ظني بعسى
وانقضى كلُّ شانُ وأنا أستشيري
خالعا من عنانُ جزعي وصبري
ما على من يلومُ لو تناهى عني
هل سوى حبِّ ريمُ دينه التجني
أنا فيه أهيمُ وهو بي يغني
قد رأيتك عيانُ ليس عليك ستري
سيطول الزمانُ وستنسى ذكري

ابن بَقِي الطليطلي: أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن الطليطلي المتوفى سنة (540 هـ - 1145 م). كان يجالس الشعراء وعلى وجه الخصوص الأعمى التليطلي، كما اتصل بالأمير أبي القاسم بن عشرة، قاضي سلا بالمغرب⁽⁷⁾. ومن موشحاته قوله⁽⁸⁾:

عبث الشوق بقلبي فاشتكى
ألم الوجد فلبت أدمعي

7 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص 19. انظر أيضا، ابن خلدون: المقدمة، 392/3.

8 - المقرئ: فح الطيب، 15/6.

أيها الناس فؤادي شغفٌ

وهو من بغي الهوى لا ينصفُ

كم أداريه ودمعي يكفُ

أيها الشادن من علمكأ

بسهام اللحظ قتل السبع

بدر تم تحت ليل أعطش

طالع في غصن بان منتشي

أهيف القيد بخد أرقش

ساحر الطرف وكم ذا فتكا

بقلوب الأسد بين الأضلع

أي ريم رمته فاجتبا

وانثنى يهتز من سكر الصبا

كقضيبي هزه ريح الصبا

قلت هب لي يا حبيبي وصلكا

واطرح أسباب هجري ودع

قال خدي زهره من فوقا

جردت عيناى سيفا مرهفا

حذرا منه بأن لا يقطفأ

إن من رام جناه هلكأ

فأزل عنك علال الطمع

ذاب قلبي في هوا ظبي غرير

وجهه في الدجن صبح مستنير

وفؤادي بين كفيه أسير

لم أجد للصبر عنه مسلكا

فانتصاري بانسكاب الأدمع

ابن باجة: أبو بكر محمد بن الحسين بن باجة (ت 533 هـ - 1138 م)، ولم تذكر المصادر أنه كان وشاحاً عدا ابن سعيد ومن نقل عنه. وبما أنه كان صاحب التلاحين كما جاء في "المقتطف"⁽⁹⁾، فلا شك أنه قد ألمّ بالموشحات، ولم تصل إلينا سوى موشحة يتيمة نسبها صاحب "الجيش" إلى الصيرفي⁽¹⁰⁾:

جرّ الذيل أيما جرّ
 وصل السكر منك بالسكر
 وأخضب الزند منك باللهب
 من لجين تحف بالذهب
 تحت سلوك من لؤلؤ الحب
 مع أحوى أغرّ ذي شنب
 أودعت كفه من الخمر
 جامد الماء ذائب الجمر
 ذاك ضوء الصباح قد لاح
 ونسيم الرياض قد فاح
 لا تقد في الظلام مصباح
 خل عنه وشعشع الراح
 حين تنهل أدمع القطر
 وترى الروض باسم الزهر
 نظمت جوهر العلا سلكا
 كيف ملك يزين الملكا
 ما برا الله مثله ملكا

9 - ابن سعيد: المقتطف، ص 478.

10 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 123.

لأح بدرًا وفاح لي مسكا

www.alukah.net كالحيا كالأماني كالدهر

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

كعلي في الحرب أو عمر

أي بحرٍ وأي ضرغام

أي رمحٍ وأي صمصام

طاعن الصدر ضارب الهام

بين كرٍّ وبين أقدام

مخلف البيض بالحلي الحمر

ومروي القناة في النحر

حينما لأح وهو مبتسم

كهلل تحفه القديم

خافقا فوق رأسه علم

غنت العرب فيه والعجم

عقد الله راية النصر

لأمير العلاء أبي بكر

أبو بكر بن الأبيض: ولد بهمدان، ونشأ بإشبيلية، ثم رحل إلى قرطبة، وتوفي سنة (520 هـ - 1126 م). وهو شاعر هجاء مشهور، ولع بهجاء الزبير المرابطي حاكم قرطبة الذي قتله⁽¹¹⁾.
أورد له ابن الخطيب بعض الموشحات في "جيش التوشيح". وله موشحة مشهورة يقول في أولها⁽¹²⁾:

ما لئ لي شربٌ راحُ على رياضِ الأقاحُ
لولا هضيمُ الوشاحُ إذا أتى في الصباحُ

11 - ابن دحية: المطرب، ص 76.

12 - ابن خلدون: المقدمة، 3/393.

أضحى يقولُ	أو في الأصيلُ
لطمتُ خديّ	اهداء ما للشمول
هبتُ فمائلُ	وللشمامُ
ضمه بردي	غصنُ اعتدالُ
يمشي لنا مستريباً	مما أباد القلوباً
ويا لثماء الشنيباً	يا لحظه ردّ نوباً
صبّ عليلُ	بردّ غليلُ
فيه عن عهدي	لا يستحيلُ
في كلّ حالُ	ولا يزالُ
وهو في الصدّ	يرجو الوصالُ

ابن اللبّانة: أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي، المشهور بابن اللبّانة الداني، نسبة إلى مدينة دانية (ت 507 هـ - 1113 م). مدح المعتمد بن عبّاد وراثه في قصائده وموشحاته⁽¹³⁾. ومن الموشحات قوله⁽¹⁴⁾:

وسوسن الأجيادُ	في ترجس الأحداقُ
بين القنا الميادُ	نبتُ الهوى مغروسُ
والمنديل الرطبُ	وفي نقا الكافورُ
بالوشّي والعصبُ	والهودج المزورُ
حمين بالقضبُ	قضبُ من البلورُ
من شدة الحبّ	نادى بها المهجورُ
روحي على أجسادُ	أذابت الأشواقُ

13 - ابن شاعر الكتبي: فوات الوفيات، 27/4. انظر أيضاً، صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، 229/4.

14 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 62.

أَعَارَهَا الطَّاوُوسُ
لِكْوَاعِيبِ أَتْرَابِ
عَضَّتْ عَلَى الْعَنَابِ
أَوْصَتْ بِي الْأَوْصَابِ
وَأَكْثَرَ الْأَحْبَابِ
تَفْتَرُّ عَنِ أَعْلَاقِ
فِيهِ اللَّمَى مَحْرُوسُ
مِنْ جَوْهَرِ الذِّكْرَى
وَقَلْبِ الدَّرَا
جَاوَزَ بِهِ الْبَحْرَا
وَقَلَّ لَهُ شِعْرَا
جَمَعْتَ فِي الْأَفَاقِ
فَأَنْتَ لَيْثُ الْخَيْسِ
خَرَجْتَ مُخْتَالَا
أَقْطَعُ أَمِيَالَا
مَوْمَلًا حَالَا
فَقَالَ مَنْ قَالَ
دَعْ قِطْعَكَ الْأَفَاقِ
وَاقْصِدْ إِلَى بَادِيسِ
يَا مَنْ رَجَا الطَّلَا
إِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْلَى
لَا تَعْتَمِدْ إِلَّا
مَنْ قَوْمَهُ أَعْلَى
مَوْاطِنُ الْأَرْزَاقِ
فَاحْظُطْ رِحَالَ الْعَيْسِ
مِنْ رِيْشِهِ أَبْرَادِ
تَشْتَابِهَتْ قَبْدَا
بِالْبَرْدِ الْأُنْبَادَا
وَأَغْرَتِ الْوَجْدَا
أَعْدَى مِنَ الْأَعْدَا
لِلْأَلْيَاءِ أَفْرَادِ
بِالْسِّنِّ الْأَغْمَادِ
أَعْطَى نُحُورَ الْحُورِ
سُلَالَةَ الْمَنْصُورِ
وَأَخْرَقَ حِجَابَ النُّورِ
بِقَضْلِكَ الْمَشْهُورِ
تَنَاقَرُ الْأَضْدَادِ
وَأَنْتَ بَدْرُ النَّادِ
أَبْغَى سَنَا الْبَرْقِ
غَرْبًا إِلَى شَرْقِ
يَكُونُ مِنْ وَفْقِي
وَفَاهَ بِالصِّدْقِ
يَا أَيُّهَا الْمُرْتَادِ
خَيْرُ بَنِي حَمَّادِ
وَأَمَّلِ التَّعْرِيْسِ
بِطَائِلِ التَّنَائِيْسِ
عَلَى عُلَا بَادِيسِ
قَدْرًا مِنَ الْبَرْجِيْسِ
أَوْلَثِكَ الْأَمْجَادِ
وَأَنْفُضْ بَقَايَا الزَّادِ

الكميت: أبو عبد الله محمد بن الحسن البطليوسي، من شعراء عماد
الدولة أبي جعفر بن المستعين حاكم سرقسطة. كان ينتجع
الأمراء ويمدحهم، له بعض الموشحات في "الجيش" لابن الخطيب
وفي "المغرب" لابن سعيد، عاش في القرن السادس الهجري. ومن
موشحاته قوله (15):

سرى طيفُ الخيالِ	من أمّ جنّابِ
بتجديدِ الوصالِ	والعهدِ الأوّلِ
فطال ما مُنعتُ	طيفَ خيالها
وعزّ ما حرمتُ	عطفَ وصالها
حتى إذا خَطرتُ	يوماً ببالها
هبتُ ريحَ الشمالِ	من شرّ طيبِ
بالمسكِ والغوالي	وبالغرّ بذلِ
سلمتمْ لا عدتمْ	يا أهلِ مسلمه
وليتمْ فأوليتمْ	نعمى ومكرمه
ومن هذا لبستمْ	ثياباً معلمه
من الطرازِ العالى	من عهدِ يعربِ
فيها لطحُ العوالي	وعرفُ المنديلِ
في روضةٍ وطيبِ	وظلِّ بارِدِ
رجعتُ للحبيبِ	وقربِ خالدِ
والحاجبِ النجيبِ	نجلِ الأماجدِ
ولى الآن والى	بلادِ المغربِ
باليمنِ والكمالِ	والسعدِ المقبلِ
لما هزوا المواكبِ	إلى المواكبِ

في يوم ذي كواكبٍ بلا كواكبٍ
أهدى منادي الحاجبِ أمام الحاجبِ
هزوا تلك العوالي صلوا على النبي
لكم عطيت مالي وسرج الحلبي

ابن شرف: أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل بن شرف (ت 534 هـ - 1140 م)، كان فيلسوفاً أديباً، اضطربت بعض المصادر في شأنه فلم تفرق بينه وبين أبيه وجده ابن شرف القيرواني. له موشحات في "الجيش" ومصادر أخرى. ومن موشحاته قوله⁽¹⁶⁾:

يَا رَبَّةَ الْعَقْدِ مَتَى تَقْلُدُ
بِالْأَنْجُمِ الزَّهْرَ ذَاكَ الْمُقْلُدُ
مَنْ أَطْلَعَ الْبَدْرَ عَلَى جَبِينِكَ
وَأَوْدَعَ السَّحْرَا بَيْنَ جُفُونِكَ
وَرَوْعَ السَّمْرَا بِفَرْطِ لَيْتِكَ
يَا لَكَ مِنْ قَدِّ مَهْمَا تَأُودُ
أَهْدَى إِلَى الزَّهْرِ خَدَا مُورِدُ
قَمْ فَاقْتَدِحْ زَنْدَا مِنَ الْعُقَارِ
قَدْ قَلَدْتَ عَقْدَا مِنَ الدَّرَارِ
وَأَلْبَسْتَ بَرْدَا مِنَ النَّضَارِ
وَاشْرَبْ عَلَى وَدِّ عَلِيَا مُحَمَّدُ
نَاهِيكَ مِنْ سِرِّ وَطِيبِ مُورِدُ
النَّصْرُ يَلْتَاحُ عَلَى عَلَاهُ
وَالزَّهْرُ يِرْتَاحُ إِلَى نَدَاهُ

16 - المصدر نفسه، ص 105.

ما الصبح وضاح لولا سناه
فالبس من المجد برداً معضداً
وانظّم من الفخرِ دراً منضداً
لله ما أعلى في كلِّ حالٍ
ملك استولى على الكمالِ
مقلداً نصلاً من الجلالِ
يهتزُّ للحمْدِ نصلاً مهنّداً
يهبُّ بالنصرِ في كلِّ مشهدٍ
أنعم من الحسنَى بكلِّ حسنٍ
في الشرفِ الأسنى وظلِّ أمنٍ
يا صدق من عنى وأنت يعني
ما كوكبُ المجدِ إلا محمدُ
فراية الأمرِ عليه تُعقدُ

أبو القاسم المنيشي: ابن أبي طالب الحضرمي، ينسب إلى بلدة منيش بإشبيلية وعرف بعضا الأعمى، لأنه كان يقود الأعمى التطيلي⁽¹⁷⁾. ولم تذكر المصادر أنه كان وشاحاً سوى الموشحات التي نسبت إليه في "جيش التوشيح" لابن الخطيب. ومن موشحاته قوله⁽¹⁸⁾:

يا من صال منه الجفنُ	بسيِّفِ المنيةِ
أحبك حبا جما	فاسمح بالتحيةِ
إلى كم أداري الهما	وكم لا أبالي
قد صير جسمي سقما	طيباً الخيالِ

17 - الضبي: بغية الملتمس، ص 534.

18 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 109.

لو أني أطعتُ الكتما
لولا بان مني الحزنُ
دمعي باعتلال نما
أما والعيون الدعج
ورشف الثنايا الفلج
ولمس الخصور الدمج
لقد صح فيك الظنُّ
وكم نلت منك الظلما
بذكر فتى الندي
وفي وده المرضي
وفي سره العلي
إحسان حواه حسنُ
وعدل أزاح الظلما
تمكنت ابن عبد الله
وحزت العلا بالجاء
فما أنت بتيأه
دنيا أنت فيها عدنُ
استوف العلا والنعمى
ورب فتاة غنتُ
وتشكو له إذ حنتُ
وتشدو لما أن غنتُ
غريم أم يا مم أكنُ
مم ياي أصرارُ مما

لم تعلم بحالي
فأبدي الطويبه
ونفسي سخيهِ
وورد الخدودِ
وعض النهودِ
ولبين القدودِ
يا حلو السجيه
ببودٍ ونيهِ
ترتاح النفسوسُ
يمرح العبوسُ
تلذ الكؤوسُ
ونفيس أيبهِ
وعمم الرعيهِ
من نفس الأميرِ
والحظ الخطيرِ
بأسنى وزيرِ
قدم في البريه
والحال السنيه
إذ جاءت لداره
لبعيد دياره
بقرب مزاره
يرتاب ذويهِ
أسري اللسيهِ

الصيرفي: أبو بكر يحي بن محمد بن يوسف الأنصاري، مؤرخ
غرناطي توفي سنة (557 هـ - 1161 م). لم يبق من موشحاته

سوى ما جاء في "جيش التوشيح"، وعددها عشرة، اثنتان منها منسوبة إلى غيره⁽¹⁹⁾، الموشحة الأولى نسبها ابن خلدون في "المقدمة" إلى ابن باجة، والثانية نسبها الصفدي في "الوافي بالوفيات" إلى ابن اللبّانة. ومن موشحاته قوله⁽²⁰⁾:

عن زاهرٍ يتبسّم	شقّ النسيمُ كمامه
وأنصتْ إلى الزيرِ والبيم	فلا تصخّ للملامه
ريحُ الصّبا في الأصائلِ	حاكت على النهرِ درعا
على شقيقِ الخمائلِ	وأسبل القطرُ دمعاً
تشفّ منه الغلائلِ	فأسمع من العودِ سجعا
من فوق غصنٍ منعمٍ	ما رنمته حمامه
بنت الحسين بن مخدمٍ	ولا ادعتّه إمامه
وزهر وردٍ أنيقٍ	حيّ النسيم بمنزل
منه بهار الشقيق	ونرجس الروض يخجل
منه سوار الرحيق	فقم إلى الدنّ وأقبل
عن مثل مسكٍ مختمٍ	وفضّ منه ختامه
للشّرب أن تتكلم	تكاد منه المدامه
يجودُ حيا فحيا	سقى سلا كلّ غادٍ
فأنشئت مثل يحيى	قد سامحت بالأيادي
وصارَ في كلّ عليا	من فازَ في كلّ نادي
ربيعة ابن مكرمٍ	قرم بدا كأمامه
في عصره المتقدم	ناده ينشي زمامه
قد ما سمعتُ بذكره	لله يحيي فاني

19 - المصدر نفسه، ص 123 و132.

20 - المصدر نفسه، ص 132.

والودَّ يشهدُ أنِّي
حتى رأيتُ التمنِّيَّ
في حلةٍ منه شامه
متوج بالكرامه
قد جاءك المتنبِّي
يختالُ في بردٍ عجبٍ
يشدو ارتياحا فيسبي
هذا المليحُ في العمامه
لو أنه يتلثمُ
ممن سررتُ بفخره
يختالُ في ثوبِ شكره
بظاهرِ البشرِ معلمُ
وبالسماحِ مخرمُ
بديع هذا الزمانِ
بما حوته المعاني
كلَّ الوجوهِ الحسانِ
لقلت هذي غمامه
ظلت على قمر تم

المرسي الخباز: أبو الوليد يونس بن عيسى المرسي، من وشاحي القرن السادس الهجري، لا توجد له ترجمة في المصادر سوى ما جاء عند صفوان بن إدريس في "زاد المسافر"⁽²¹⁾. ذكره ابن دحية في "المطرب" ضمن من قرأ عليهم الوزير الشاعر محمد أبو العافية الغرناطي⁽²²⁾، وله بعض الموشحات في "جيش التوشيح". ومن محاسن موشحاته قوله⁽²³⁾:

أيّ ظبيّ غريّر
وانثناء القضيب
ما بين المعطفين
فاتر المقلتين
سافر الوجودتين
كم بذاك الفتور
حوى كمال البدور
ونظرة المذعور
ألان قلبي بلينه
والموت ملء جفونه
عن وردٍ غير مصونه
وحسن ذاك السفور

21 - صفوان بن إدريس: زاد المسافر، بيروت 1970، ص 35 وما بعدها.

22 - ابن دحية: المطرب، ص 81.

23 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 138، والموشح مبتور الخرجة.

من شجى في القلوب ولوعة في الصدور
 قد تعشقت ظالم افيده بالجائرينا
 ردّ فيه اللوائم بحجة العاشقيننا
 خلف القلب هائم وصار في الظاعيننا
 فقلت للنفس سيري وللنوى لا تجوري
 ثم للجسم ذوب وللجوانح طيري
 كيف فارقت عيسى وعشت بعد فراقه
 بعث علقا نفيسا بالبخس عند نفاقه
 فأدرها كؤوسا للصبّ من أشواقه
 كم أطعت غروري لكلّ آمال زور
 لا أطيق الذي بي يا منية القلب زوري
 آه مما ألقى إذ عزّ ذلك اللقاء
 ليس بعد الفراق للعاشقين بقاء
 صبّ دمع المآقي فقد يريح البكاء
 صبّ بغير نكير تلهّفي وزفيري
 ذاك شأن الغريب وعادة المهجور
 جدّ بالقلب وجد فقاده للحمام
 ونضى النوم سهد فلات حين منام
 ربّ حسناء تشدو غرامها كغرامى

ابن غزلة: شاعر مغربي كان يلحن في الموشح ويعرب في الزجل، عاش في عهد الموحّدين. قتله الأمير عبد المؤمن الموحّدي بسبب نظمه موشحة تغزل فيها برميلة، وقيل رميكة، أخت الأمير، حسب ما جاء في "العاطل الحالي" للحلي. وقد ورد اسمه في مصادر أخرى ابن غزلة، نظّم الموشح غير أنه اشتهر

بالزجل. ومن موشحاته قوله (24):

اهدأ شحنة الألوكة
www.alukah.net
شحنة الألوكة
www.alukah.net

طربَ الدُّوحَ من غِنَا القَمْرِي
فرقَصنُ الكؤوسُ بالخمرِ
وقيان الطيور قد غنَّتْ
وعن الموسيقى لقد أغنتْ
وإليها أرواحنا حنَّتْ
والمثاني بالضربِ قد أنتتْ
واكف الغمام بالقطرِ
نقطت في الرياضِ بالدرِ
ولنوح الهزار في الغصنِ
شقَّ قلبي الشقيق بالحزنِ
والقناني قهقهنَّ عن دُنِّ
والحيا قال من بكا جفني
أصبح الروضُ باسم الثغرِ
وعلى النظم جاد بالنترِ
رُبَّ ساق سعى بصهباء
في رياضِ كوشي صنعاء
وكشمس الضحى بالألاء
ولأيدِ الرياح في الماء
شبكة نسجها من التبرِ
لمصيدِ الأسماك في النهرِ
قلتُ حنَّ الكؤوسُ يا ساقِي
قال دعني فبين عشاقِي

24 - ترد الموشحة في العذارى المايسات للخازن، ص 26.

فرنا وانتنى إلى قهر
بالظبا البيض والقنا السمر
خده العندمي أم ورد
ريقه السكرى أم شهد
نشره العنبري أم ند
تغره الجوهرى أم عقد
بدر تم في غيب الشعر
باسم عن كوكب الزهر

السرقسطي الجزار: أبو بكر يحيى الجزار السرقسطي، كان في
الدكان يبيع اللحم، فتعلق بالشعر ونبغ فيه وله قصائد مدح بها
ملوك بني هود. وله موشحات في "الجيش"، ومنها قوله⁽²⁵⁾:

أما والهوى أننى مدنف
بحب رشا قلما ينصف
أطاوعه وهو لي مخلف
فعمّا قليل به أتلّف
وواعدني السقم حتى انتهك
فؤاد فيا ويحك قد هلك
غزال له مقلّة ساحره
وأنجمه أنجم زاهره
ولمته لمّة عاطره
وكل العيون له ناظره

25 - المصدر نفسه، ص 153.

وجسمٌ أذاه لباسُ الملكِ
 هو الشمسُ لكنه أجملُ
 هو البدرُ لكنه أكملُ
 هو الصبحُ لكنه أفضلُ
 فليس على الأرض من يعدلُ
 هلالٌ بدا من سكونِ الفلكِ
 يصيد القلوبَ بغيرِ شركِ
 تحيّر في نوره كلَّ نورِ
 وذلتْ له نيراتُ البدورِ
 وحنّتْ لحسنِ سنانه الخدورِ
 ففيه الأسي وفيه السرورِ
 فكم فتكة في الهوى قد فتكُ
 وكم من قتيل له قد تركُ
 أليس من الظلم أن يعبدا
 كئيب من الشوق قد أجهدا
 تعبدته الحسنُ فاستعبدا
 وكلفه الشوقُ أن ينشدا
 ملكت فكن خير من قد ملكُ
 يا مولى الملاح يا عبد الملكُ

ابن الفرس: هو عبد الرحيم الخزرجي بن الفرّس الغرناطي، قُتل في سنة (542 هـ - 1147 م)، وأرسل رأسه إلى مراکش⁽²⁶⁾.

26 - الضبي: بغية الملتمس، ص 373. انظر كذلك، ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 111/2.

يا من أغالبُهُ والشوقُ أغلبُ
وأرتجي وصلَهُ والنجمُ أقربُ
سددتَ بابَ الرِّضا عن كلِّ مطلبُ
زرني ولو في المنامِ وجِدْ ولو بالسَّلامِ
فأقلُّ القليلُ يُبقي ذمَّاءَ المستهامِ
كم ذا أداري الهوى وكم أعانيه
ولو شرحتُ القليلَ من معانيه
أملتُ أَسْماعكمُ مما أَرانيه
هيهاتَ باعُ الكلامِ ما إن يفي بغرامِ
أينَ قالَ وقيلُ عن زفرتي وهيامي
أما هواكمُ ففي قلبي مصونُ
ليست مرَّجَمَةٌ فيه الظنونُ
إن لم أصنُه أنا فمن يكونُ
نزهتُ فيه مقامي عن خوضِ أهلِ الملامِ
أينَ منِّي جميلُ وعُروةِ بنِ حزامِ

ابن لبون: أبو عيسى لبون بن عبد العزيز بن لبون، كان وزيرا في بلنسية في عهد أبي بكر بن عبد العزيز، وخرج منها لما احتلها السيد الكمبيادور (Cid). له بعض الموشحات في "جيش التوشيح". ومن موشحاته قوله⁽²⁸⁾:

ما بدا من حالي قد كفى عنذالي

27 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 122/2.

28 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 158.

عاذلي لا تكثر

في الهوى تعذالي

اهداء عدلكم يغريني

فانتهاوا عن عدلي

كلفي بالعين

زائد في فضلي

بعث فيهم ديني

وأنا لم أغل

قط ما بالغالي

لجمال العالي

لو شراه المبصر

بالتقى والمال

بأبي فتان

لذ فيه عشقي

صاغه الرحمن

لامتحان الخلق

ركب الإحسان

فيه حسن الخلق

أيما هلال

صار في كمال

فوق غصن مثمر

شغل كل بال

أن جفاني دهري

فعماد الدوله

مالكي وفخري

قد حباني طوله

وتلافي أمري

قد حصلت حوله

وكثير ذا لي

من مليك عالي

ينصر المستنصر

بالشبا العوالي

فخر آل داوود

دونما إنكار

سادة هم بالجود

والتقى للباري

والوفا المعهود

منه للأحرار

رائع النزال

قائد الأبطال

ثم لا يستكثر

كثرة الأهوال

لا مني العذال

في وداد منذر

قلت يا جهال

ليس فيكم مبصر

وقع الإخلال

فيه فليستغفر

بالكبار إملالي

دعني من علاللي

ابن رُحيم: أبو بكر محمد بن أحمد بن رُحيم، عاش في أواخر القرن الخامس وأوائل السادس الهجريين⁽²⁹⁾. أورد له ابن الخطيب بعض الموشحات في "الجيش". ومنها قوله⁽³⁰⁾:

نسيم الصبا أقبل من نجد
لقد زادني وجدا على وجد
يا ريح الصبا بالله داريني
بعرف شذا مسك دارين
ووصف رشا بالهجر يبريني
وسل باللوى عن كذب يبرين
هل استوحشت بالنأي والبعد
وما صتعتُ بثينة عدي
لئن هجر الشادن أوطاني
وصعب العزا في النأي أوطاني
وضاقتُ بهجر الحب أعطاني
وضنتُ بما في الحب أعطاني
فيا عاذلي عن عذلي عد
فما حبّ ذا الحبّ قد يعدي
حمام اللوى بالنوح أرشاني
بقمريّة ناحت بورشان
تهيم به وهو لها شاني
فقلتُ لها شأنك من شاني

29 - الضبي: بغية الملتمس، ص 52.

30 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 175.

وسعدك يا ورقاء من سعدي
وفني كلِّ وادٍ من بني سعدي
بنفسي الذي قد بزَّ أشرافا
وحازت به الأيام إشرافا
أيا ابن سعيد سدت إيلافا
بذلت لهم جودك آلافا
أجريت إذ سميت بالحمد
وقمت من المهد إلى المجد
حبيبٌ بدا مذ بدا أنساني
على أنه أسكن إنساني
غزالٌ عن التعنيق أغناني
وأنصفاً إذ زارَ وغنَّاني
لأي قصةً تبيتُ وحدك وأنا وحدي
كما بتَّ عندك حتى تبيتَ عندي

ابن يَنقُ: أبو عامر محمد بن يحيى بن خليفة بن يَنقُ الشاطبي،
(ت 547 هـ - 1152 م) قرأ القرآن الكريم، وبرع في الطب. له
بعض الموشحات في "الجيش". ومن أجمل موشحاته قوله⁽³¹⁾:

سراجٌ عدلك يزهر	قد عمَّ كل العبادِ
وتورُّ وجهك يبهر	سناه للخلق بادِ
أنت العزيزُ الأبى	والملكُ ملكُ الأنامِ
أنت السراجُ الوضي	والبدرُ بدرُ التمامِ
ليث إذا ما الكمي	قد هابَ روعَ الحمامِ
لله ليث غضنفر	تلقاه يومَ الجلالِ

31 - المصدر نفسه، ص 193.

قد سل سيفاً مشهوراً
تملك الكسل رقابحة
ومدّ للخلق سبقاً
وسربل الجود طرقة
وما جدّ عنه قصّر
بناظر الحق أبصر
أدر كؤوس الرحيق
من كل ضاف عتيق
أرى رياض أتيق
والمزن سحت بأعطر
إراحة الملك تمطر
أيما سمي الخلال
من عند ملك جليل
إلى مليك أصيل
وما أرى عنه مصدر
منه نوال تفجر
يا من تأودّ غصنا
حقاً لقدرك أسنى
قد فقت للبدر حسنا
يا حيناً منه منظر
كأنه الصبح أسفر

على رؤوس الأعادي
ملك كريم النجار
إلى أعالي الدراري
كما أرتدى بالفخار
في الجود كعب الأيادي
إلى سبيل السواد
فالدهر راق جمالا
يسح ماء زلالا
والغصن ماد ومالا
سحا كفيض الغواد
إذا بليلى الأيادي
أنى حثت النياقا
إلى علا يتراقى
يحلّ سبعا طباقا
حللت منه بوادي
من كفّ ملك جواد
غذاه ماء النعيم
من كل ملك زعيم
يا ذا المحيا القسيم
بالنور باد وهادي
على جميع البلاد

ابن زُهر الحفيد: أبو محمد بن عبد الملك بن زُهر بن عبد
الملك بن محمد بن مروان بن زُهر الأيادي الإشبيلي، عاصر
دولتي المرابطين والموحدين. كان شاعراً وشاحاً وطبيباً ووزيراً،
من سلالة توارثت الأدب والشعر والطب، مات مسموماً سنة

أَيُّهَا السَّاقِي إِلَيْكَ الْمَشْتَكِي
قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ
وَنَدِيمِ هَمَّتْ فِي غُرْتِهِ
وَسَقَانِي الرَّاحَ مِنْ رَاحَتِهِ
فَإِذَا مَا صَحَّ مِنْ سُكْرَتِهِ
جَذَبَ الزَّقَّ إِلَيْهِ وَاتَكَى
وَسَقَانِي أَرْبَعًا فِي أَرْبَعِ
غَصْنٍ بَانَ مَالٌ مِنْ حَيْثُ اسْتَوَى
بَاتَ مَنْ يَهْوَاهُ مِنْ خَوْفِ النَّوَى
قَلِقَ الْأَحْشَاءُ مَهْضُومِ الْقَوَى
كَلِمَا فَكَّرَ فِي الْبَيْنِ بَكَى
مَا لَهْ يَبْكِي لِمَا لَمْ يَقَعْ
مَا لَعَيْنِي غَشِيَتْ بِالنَّظَرِ
أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ ضَوْءَ الْقَمَرِ
فَإِذَا مَا شِئْتُ فَأَسْمَعُ خَبْرِي
شَقِيْتُ عَيْنِي مِنْ طَوْلِ الْبَكَا
وَبَكَى بَعْضِي عَلَى بَعْضِي مَعِي
لَيْسَ لِي صَبْرٌ وَلَا لِي جَلْدُ
يَا لِقَوْمِي عَذَلُوا وَاجْتَهَدُوا
أَنْكَرُوا شَكْوَايَ مِمَّا أَجْدُ

32 - ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 100. انظر أيضا، ابن سعيد: المغرب في

حلي المغرب، 272/1.

مثلُ حالي حَقها أن تَشْتكى
كمدِ اليأسِ وذلِّ الطمَعِ
كبيدي حَرَى ودمعي يَكِفُ
يعرفُ الذنبَ ولا يَعْتَرِفُ
أيها المَعْرُضُ عما أَصَفُ
قد نما حَبِّكَ بقلبي وزكا
وتقلُّ إني في حَبِّكَ مدعي

ابن هردوس: هو أبو الحكم أحمد بن هردوس (ت 572 هـ - 1176 م). كان كاتباً لعثمان بن عبد المؤمن أمير غرناطة. أورد له ابن سعيد موشحة في "المغرب"، يقول منها⁽³³⁾:

يا ليلة الوصلِ والسَّعودِ	بِاللهِ عُوْدِي
كَمْ بَتُّ فِي لَيْلَةٍ التَّمَنِّي	
لَا أَعْرِفُ الْهَجْرَ وَالْتَجَنِّي	
أَلِثْمُ ثَغْرِ الْمَنَى وَأَجْنِي	
مِنْ فَوْقِ رُمَانَتِي نُهُودِ	زَهْرَ الْخُدُودِ
يَا لَأَتَمِّي إِطْرَحُ مَلَامِي	
فَلَا بَرَّاحٌ عَنِ الْغَرَامِ	
إِلَّا أَنْعِكَافِي عَلَى مُدَامِ	
بَسْمَعُ صَوْتٍ وَتَقْرِي عُوْدِ	مِنْ كَفِّ خُودِ
مَدْحُ الْأَمِيرِ الْأَجَلِ أَوْلَى	
السُّيْدِ الْمَاجِدِ الْمَعْلَى	
تَاجِ الْمَلُوكِ السَّنِيِّ الْأَعْلَى	
أَفْضَلُ مَنْ سَارَ بِالْجُنُودِ	تَحْتَ الْبُنُودِ

33 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 215/2.

أَكْرَمُ بَعْلِيَاهُ مِنْ هَمَامٍ
إِمَامٌ هَدْيٍ وَابْنُ الْإِمَامِ
مَبْدِدُ الرُّومِ بِالْحُسَامِ
يَعْقِدُ فِي هَامَةِ الْأَسْوَدِ
لِلَّهِ يَوْمٌ أَغْرَ زَاهِرٌ
قَدْ حَلَّ بِالْأَنْدَلُسِ أَمْرٌ
قَالُوا وَقَدْ وَافَتْ الْبِشَائِرُ
بِالْمَلِكِ السَّيِّدِ السَّعِيدِ
أَبِي سَعِيدٍ

ابن مؤهل: هكذا ورد في "المقدمة"، وقد يكون هو ابن موهب الشاطبي المرسي الذي أورد له ابن سعيد موشحة في كتاب "المغرب" مدح بها ابن مردنيش أمير شرق الأندلس المتوفى سنة (567 هـ - 1171 م). وابن مؤهل هذا لم تتضح ترجمته بسبب الالتباس في اسمه وعدم ذكره في بقية المصادر⁽³⁴⁾. ومن هذه الموشحة قوله:

أما طربت إلى الحميا ما بين ندمانٍ وساق
والبدرُ في عقب الثريا والليلُ ممدودُ الرواق
خذها على رغم العذول
خرقاء تلعب بالعقول
والنهرُ كالسيف الصقيل
على رياض فاح ريا ولاح مصقول التراقي
تلك المني يا صاحبيا لا ملك مصر مع العراق
قد كنت أصبو إلى الرحيق

34 - ابن خلدون: المقدمة، 314/3. انظر أيضا، ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، 390/2.

حتى شُغلتُ عن الإبريق

www.alukah.net إهداء من بقهوة من لذيذ الرقيق

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

أنا الذي صِدْتُ ظبيًا طاوي الحشا حُدُو العناق
تسقي مرأشفه شهياً من مُسكرٍ عذبِ المذاق

يا من لحا ولك التفتيدُ

حُبِّي لعزة لا يبيدُ

فربما بلي الجديدُ

يا من أحبَّ القربَ إليّ كيف السبيلُ إلى التلاقي
لقد لقيت الموتَ حياً ما بين نأيك واشتياقي

من لي به فوق ما أقولُ

تحارُ في وصفه العقولُ

فما إلى وصله سبيلُ

أحبُّ به أحبُّ إليّ ظبياً يروّع بالفراق
طلق الأُسرةَ والمحيّاً كالظبي مكحول المأقي

من لي بمن أهوى ومن لي

ليس الهوى إلا لمثلي

وأنت يا بعضي وكلي

أبعدتني بُعد الثريّا وأنت تعلم ما الأقي
يا من هويت أبقى عليّا كما أنا عليك باق

ابن خلف الجزائري: من شعراء بر العدو في ذلك العهد، عاش
في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي). ذكره ابن
سعيد في "المقتطف" (35) وله موشحة مشهورة:

يـد الإصـباحُ قـدحـتُ زناد الأنوارِ

في مجامر الزهر

دهن مر جقدلان^ه واعتدال ريعان
فما الإظمان عن طلا وغزلان
راق الزمان وشدت على البان
ذات الجناح وانثت قدود الأشجار

في الغلائل الخضر

لنا أياد لسرور تنجذب
كما تنقاد تربيعها العرب
حتى الجماد لا يفوته الطرب
طافت بالراح سحب فسكر النوار

من سلافة القطر

إن انخلاءي مع رشا وصهباء
لدى بقاء حكمت وشي صنعاء
ولشعاع لهب على الماء
وللرياح في متون تلك الأنهار

شبك من التبر

وريم ألمي بات بيده صدري
كبد تمما وسط غرة الشهر
شدوت لهما راعني سنا الفجر
قل للمصباح إن تدن بطرد الأقمار

فمع الدجى تسري

وغصن مائل الهلال أعلاه
له من نابيل في النفوس قتلاه
سيف الحمائل عمده عذاراه
طوع الجماح إن يكن كثير النزار

ابن خزر البجائي: من وشاحي بجاية ببر العدوّة، ذكره ابن سعيد في كتاب "المقتطف" (36) ومن موشحاته قوله:

ثَغْرُ الزَّمَانِ المَوْافِقُ	حِيَاكَ مِنْهُ بَابِتْسَامُ
نَبَهُ مِنَ النُّومِ النَّدِيمُ	فَالزَّهْرُ قَدْ وَشَى البَطَّاحُ
وَقَامَةُ الغَصْنِ القَوِيمُ	فِي الرُّوضِ هَزَّتْهُ الرِّيَّاحُ
وَمَسِكَهُ اللَّيْلُ البِهِيمُ	نَمَّتْ بِكَافُورِ الصَّبَّاحُ
قَمٌّ فَارْتَضَعُ تَلَكُ الأَبَارِقُ	فَالدَّهْرُ يَقْضِي بِانْتِظَامُ
شَمْسُ الحَمِيَا فِي الكَوْوَسُ	قَدْ قَابَلَتْ شَمْسَ النِّهَارُ
تُجَلِي كَمَا تُجَلِي العَرَّوسُ	مِنْ تَحْتِ رِيحَانِ العِنَارُ
ذَاكَ التَّمَنِّي لِلنَّفَّوسُ	عُودٌ تُجَلِّي أَوْ عُقَارُ
يَا حَبِذَا عَيْشُ مَوْافِقُ	وَالحَرُّ فِي أُسْرِ الغَلَامُ
الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي اشْتَكَى	شَكْوَى المَعْنَى لِلطَّيِّبُ
فَقَلَّتْ لَمَّا أَنهَكَا	قَلْبِي نَحْوَالاً بِالوَجِيبُ
لَا تَعْدِلُونِي فِي البَكَا	إِنْ زَرْتِ رَبْعاً لِلحَبِيبُ
لَا حَتَّ عَلَى قَلْبِي بِوَارِقُ	وَأدْمَعِي مِثْلُ الغَمَامُ

ابن الزقاق البلنسي: أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عطية (ت 530 هـ - 1135 م)، لم تذكر المصادر شيئاً من موشحاته سوى موشحة يتيمة (37) ذكرها الصفدي في كتاب "التوشيح" (38)، يقول فيها:

خُذْ حَدِيثَ الشُّوقِ عَنِ نَفْسِي

36 - نفسه.

37 - ابن الزقاق: الديوان، تحقيق عفيفة ديراني، بيروت 1965، ص 299.

38 - الصفدي: توشيح التوشيح، ص 147.

وعن الدمع الذي همعا

وهمى بالدمع واطردا

واغتدى قلبي عليك سدى

آه من ماءٍ ومن قَبَسِ

بين طرفي والحشا جمعا

بأبي ريم إذا سَفَرا

أطلعت أزراره قمرا

فاحذروه كلما نظرا

فبالحافظ الجفون قسي

أنا منها بعض من صرعا

أرتضيه جار أو عدلا

قد خلعت العذر والعدلا

إنما شوقي إليه فلا

كم وكم أشكو إلى اللعس

ظمأي لو أنه نفعنا

ضل عيب الله بالحور

وبطرف فاتر النظر

حكّمه في أنفُس البشر

مثل حكم الصبح في الغلس

إن تجلّى نورهُ صدعا

شبهته بالرشا الأمم

فلعمري إنهم ظلموا

فتغنى من به السقم

أين ظبي القفر والكُنس

من غزالٍ في الحشا رتعا

ابن حزمون: أبو الحسن علي بن حزمون المرسي، اشتهر بالهجاء الماجن. وردت أخباره في بعض المصادر⁽³⁹⁾. ولابن حزمون المرسي موشح في رثاء أبي الحملات قائد الأعنة ببلنسية وقد قتله النصارى⁽⁴⁰⁾:

يا عَيْنُ بَكِّي السِّرَاجُ الأَزْهَرَا
النَّيِّيرَا اللّامِعُ
وَكَانَ نِعْمَ الرِّتَاجُ فَكَسِّرَا
كَي تَنْثُرَا مَدَامِعُ
مِنْ آلِ سَعِيدٍ أَعْرُ
مِثْلُ الشَّهَابِ الْمُتَقِدُ
بَكِّي جَمِيعُ البِشْرُ
عَلَيْهِ لَمَّا أَنْ فُقِدُ
والمَشْرِفِي الذِّكْرُ
وَالسُّمَهْرِي الْمُطْرِدُ
شَقَّ الصُّفُوفَ وَكَرَّ
عَلَى العَدُوِّ مُتَّهِدُ
لَوْ أَنَّهُ مُنْعَاجُ عَلِي الوَرَى
مِنْ الثَّرَى أَوْ رَاجِعُ
عَادَتْ لَنَا الأَفْرَاحُ بِلا افْتِرَا
وَلَا امْتِرَا تُضَاجِعُ

39 - ابن خلدون: المقدمة، 397/3. انظر، عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة 1963، ص 295 - 296.

40 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 217/2.

نَضًا لِبَاسِ الزَّرْدِ

إهداء من شبكة الألوكة وَأَخَاصِ مَوْجِ الْفَيْلِقِ

وَلَمْ يَرَعُهُ عَدَدُ

ذَاكَ الْخَمِّ يَسِ الْأَزْرَقِ

وَالْحُورِ تَلِثْمُ خَدِّ

أَدِيمِهِ الْمَمَّزِقِ

وَكَانَ ذَاكَ الْأَسْنَدُ

فِي كُلِّ خَيْلٍ يَلْتَقِي

إِذَا رَأَى الْأَعْلَاجُ وَكَبِيرًا

ثُمَّ أَنْبَرَى يُمَاصِعُ

رَأْيَتَهُمْ كَالدِّجَاجِ مَنْفَرًا

وَسَطَ الْعَرَا الْوَاسِعِ

جَالَتْ بِتَلْكَ الْفَجْجُوجِ

تَحْتَ الْعِجَاجِ الْأَكْدَرِ

خِيُولُهُمْ فِي بُرُوجِ

مِنَ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرِ

يَا قِفْلَ تَلْكَ الْفُرُوجِ

وَلِيَتِهِ لَمْ يُكْسِرِ

جَعَلَتْ أَرْضَ الْعُلُوجِ

مَجْرَى الْجِيَادِ الضُّمْرِ

سَلَكَتْ مِنْهَا فِجَاجٌ فَلَا تَرَى

إِلَّا الْقَرَى بِلَاقِعِ

وَالْخَيْلُ تَحْتَ الْعِجَاجِ لَهَا أَنْبَرَا

وَاللُّبُّرَى قَعَّاقِعِ

عَهْدِي بِتَلْكَ الْجَهَّاتِ

أَبَى الْهَوَى أَنْ أَحْصِيَهُ

يَا حَادِي الرُّكْبِ هَاتِ

حَدِّثْ لَنَا بِمُرْسِيهِ

أُودَى أَبُو الْحَمَلَاتِ

يَا وَيْحَهَا بِلِنْسِيهِ

فِي طَاعَةِ اللَّهِ مَاتِ

حَاشَا لَهُ أَنْ يُعْصِيَهُ

مَضَى بِنَفْسٍ تَهَاجُ مُصْبِرًا

مُضْطَبِّرًا وَطَبَّائِعُ

وَبَاعَهَا فِي الْهِيَاجِ لَقَدْ دَرَى

مَاذَا اشْتَرَى ذَا الْبَائِعِ

مَاءُ الْمَدَامِجِ صَّابُ

عَلَيْكَ أَوْلَى أَنْ يَجُودَ

سَقَى الْبَرِيَّةَ صَّابُ

رُزْءُ أَحْلَاكَ اللَّحُودُ

فَكُلَّ خَلْقٍ أَصَابُ

إِلَّا النَّصَارَى وَالْيَهُودَ

نَادَيْتُ قَلْبًا مُصَّابُ

يَجْرِي عَلَى الْمَيْتِ الْعُهُودُ

يَا قَلْبِي الْمُهْتَاجُ تَصْبِرًا

زَانَ الثَّرَى مُدَافِعُ

ابْنُ أَبِي الْحَجَّاجِ فَهَلْ تَرَى

لَمَّا جَرَى مُدَافِعُ

ابن مالك السرقسطي: أبو بكر أحمد بن مالك السرقسطي، شاعر

وشاح، كان كاتباً لدى ابن مردنيش المتوفى سنة (567 هـ -

فؤاد الشجي يوم ودعوا	ماذا حماوا
يد تستطاع	مالي بالنوى
يدكيها الوداع	ونار الجوى
بالدمع يذاع	وسر الهوى
عيون وتلتاع أضلع	بالحب تهمل
لعهد الحباب	هل يرجى إياب
مطلول الجواب	إذ عصن الشباب
مبذول لطالب	ووصل الكعاب
بالوصل ولا الصب يقنع	فلا تبخل
أصغي للاحى	لا أسلو ولا
هضم الوشاح	بل أصبو إلى
ما بين الأقاح	يجيل الطالا
لما بت أظما وينقع	فالو يعدل
وجفني ساهر	كم ذا تهجع
في الصبح لناظر	بدر يطالع
من سود الضفائر	له برقع
فشمس بليل تقنع	إذا تسبل
منه الغصن اللدن	قد ذو اعتدال
بنا ثم يرنو	معشوق الدلال
فأحذر حين يدنو	بعيني غزال
سهاما لها القلب موقع	لحظ يرسل

41 - المصدر نفسه، 446/2. انظر، لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشح،

مُنِي النَّفْسُ كَمْ تَزْهَى بِالتَّجْنِي
فِيهَا بَدْرٌ تَمُّ الأَلْوَكُ صِلْ بَعْضَ التَّمْنِي
لَمَنْ لَمْ يَنْمُ وَبَاتَ يَغْنِي
أَسَيِّمَرُ حَلْوُ كُلِّ عَاشِقٍ بَيْتٌ مَعُ

ابن نزار: أبو الحسن بن نزار، من بيوتات وادي آش، من وشاحي القرن السادس الهجري، أدخله ابن مردنيش السجن بسبب موشحة نظمها وحفظها لإحدى الجواري، ثم أفرج عنه. له موشحة في "المغرب" وتروى لابن حزمون، يقول فيها⁽⁴²⁾:

اشْرَبْ عَلَى نَعْمَةِ المِثَانِي ثَانِ
وَلَا تَكُنْ فِي هَوَى الغَوَانِي وَإِنِ
وَقُلْ لَمَنْ لَامٌ فِي مَعَانِ عَانِ
مَاذَا مِنَ الحُسْنِ فِي بُرُودِ رُودِ
يَهِيحُ وَجَدِي إِذَا الأَنَامُ تَامُوا
قَوْمٌ إِذَا عَسَّسَ الظَّلَامُ لَامُوا
وَمَا بِهِ هَامٌ مُسْتَهَامٌ هَامُوا
فَقُلْ لَعَيْنٌ بِلَا هَجُودِ جُودِي
أَفْنَيْتُ فِي الرُّوْنُقِ الصَّقِيلِ قِيلِي
يَا رَبَّةَ المَنْظَرِ الجَمِيلِ مِيلِي
فَإِنَّمَا أَنْتِ والرَّسُولِ سُولِي
رَأَيْتُ فِي وَجْهِكَ السَّعِيدِ عِيدِي
وَلَيْلَةٌ قَدْ لَثِمْتُ شَارِبَ شَارِبِ
سُرِّ قَتِي فِي عُلَى المَرَاتِبِ رَاتِبِ
فَقُلْتُ وَالنَّجْمُ فِي المَغَارِبِ غَارِبِ

42 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 147/2.

ابن الفضل: أبو الحسن علي بن الفضل، وشاح مشهور سكن مدينة إشبيلية وتوفي سنة (627 هـ - 1229 م). له موشحات متناثرة في المصادر الأندلسية، ومنها قوله⁽⁴³⁾:

ألا هل إلى ما تقضى سبيل
فيشقى الغليل وتوسى الكلوم
رعى الله أهل اللوى واللوى
ولا راع بالبين أهل الهوى
فوالله ما الموت إلا النوى
عرفت النوى بتوالي الجوى
ومما تخلل جسمي النحيل
لقد كدت أنكر حشر الجسوم
فواحسرتنا لزمان مضى
عشية بان الهوى وانقضى
وأفردت بالرغم لا بالرضا
وبت على جمرات الغضا
أعائق بالفكر تلك الطلول
وألثم بالوهم تلك الرسوم
حببيبة النفس أم العلى
سقاك الهوى كأسه سلسلا
وخص به عهدنا الأولا
فيا ما ألد وما أجملا
إذ الوصل ظل علينا ظليل

43 - المصدر نفسه، ص 288.

تقينا القطيعة وهي السموم

إهداء لأصميت يوم النوى مقتلي

بلحظك والثغر والأنمل

وأشمت عند الجفا عدلي

وبعد التعتب غنيت لي

أطلت التعتب يا مستطيل

ولحظي يغنيك قالت ظلوم

ابن سعيد: أبو جعفر أحمد بن عبد الملك الأندلسي (ت 550 هـ - 1155 م)، أحد مصنفي كتاب "المغرب في حلى المغرب". أحب حفصة الشاعرة، فقتله عثمان بن عبد المؤمن غيراً، وله في "المغرب" موشحة واحدة في وصف حور مؤمل⁽⁴⁴⁾:

فِضَّةُ النَّهْرِ	ذَهَبَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ
	أَيُّ نَهْرٍ كَالْمُدَامَةِ
	صَيْرَ الظِّلَّ فِدَامَةَ
	نَسَجَتْهُ الرِّيحُ لَامَةً
	وَوَثَّتْ لِلْغَصْنِ لَامَةً
حُفَّ بِالسَّمْرِ	فَهُوَ كَالْعَضْبِ الصَّقِيلِ
	مُضْحِكًا ثَغْرَ الْكِمَامِ
	مُبْكِيًا جِضْنَ الْغَمَامِ
	مُنْطِقًا وُرْقَ الْحَمَامِ
	دَاعِيًا إِلَى الْمُدَامِ
خَطَّ كَالسَّطْرِ	فَلِهَذَا بِالْقَبُولِ
	حَبِّذَا بِالْحَوْرِ مَغْنَى

44 - المصدر نفسه، ص 103.

هي لفظٌ وهو معنى

أهـ مُذْهَبُ الْأَشْجَانِ عِنَّا

كَمْ دَرِينَا كَيْفَ سَرِنَا

لم تكن تدري

ثُمَّ فِي وَقْتِ الْأَصِيلِ

قَلْتُ وَالْمَزْجُ اسْتَدَارَا

بَدْرِي الْكَأْسِ سَوَارَا

سَالِبًا مِنَّا الْوَقَارَا

دَائِرًا مِنْ حَيْثُ دَارَا

شيك الخمر

صَادَ أَطْيَارَ الْعُقُولِ

وَعَدَ الْحَبُّ فَأَخْلَفَا

وَاشْتَهَى الْمَطْلَ فَسَوَّفَا

وَرَسُولِي قَدْ تَعَرَّفَا

مِنْهُ مَا أَدْرِي فَحَرَّفَا

لش يغب بدري

بِاللَّهِ قَلْ يَا رَسُولِي

ابن المريني: أبو الحسن علي بن المريني، مات في مدة المنصور بن عبد المؤمن. له موشحة في "المغرب"، وتروى لليكي⁽⁴⁵⁾، يقول فيها:

مِنْ فَوْقِ أَعْصَانِ

شَوْقِي وَأَحْزَانِي

نَهْتَفُ أَوْصَابِي

هُوَآءُ يُغْرِي بِي

لِلْهَائِمِ الصَّابِي

فِي دَعْصِ كَثْبَانِ

مَا لَبَّنَاتِ الْهَدِيدِ

هَيَّجْنَ عِنْدَ الصَّبَاحِ

بِهَاتِفَاتِ الْغُصُونِ

بِكُلِّ سَاجِي الْجُضُونِ

فِي مَقْلَتِيهِ مَنُونِ

غُصْنٌ وَلَكِنْ يَمِيلُ

45 - المصدر نفسه، ص 218.

مِنْ وَجْهِهِ لِلصَّبَاحِ
 هَيْهَاتَ أَيْنَ الأَمَلِ وَحِجَّةِ
 تَزْهُو بوردِ الخَجَلِ
 أَصَمَتْ بِهِم المَقْلُ
 فَكَمْ لَهَا مِنْ قَتِيلِ
 وَمُتَخَنٍ مِنْ جِرَاحِ
 هَيْهَاتَ لَوْ أَنْصَفُوا
 يَرْنُو بِهِ أَوْطَفِ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ يَوْسُفُ
 يُجِيرُ صَبَاً عَلِيلِ
 يَرْنُو بِمَرَضِي صِحَاحِ
 يَا دَهْرُ عَنِي فَقَدْ
 مِنْ مَا جَدِ يَعْتَمِدُ
 مَا حَاتَمَ فِي الصَّفْدِ
 قَدْ صَحَّ مَا عَنهُ قِيلُ
 كَفَاهُ عِنْدَ السَّمَاحِ
 وَغَادَةَ مَا بَهَا
 تَهِيمٌ مِنْ حَيْهَا
 غَنَّتْ إِلَى صَبِيهَا
 أَرْفَقَ عَلَيَّ قَلِيلُ
 وَاللَّهِ يَا مَوْلَى المَلِاحِ
 وَالقَدِيدَ لِلبَّيَانِ
 مِنْ غَادَةِ رُودِ
 وَقَدِيدِ أَمَلِ رُودِ
 فَرُودٍ مَعْمُودِ
 بِسِحْرِ أَجْفَانِ
 رَهِينِ أَحْزَانِ
 مِنْ طَرْفِ مَكْحُولِ
 عَمَّاداً لَتَتَكِيلِ
 تَجَلُّ البِهَائِيلِ
 مِنْ جَوْرِ قَتَانِ
 تَثِيرُ أَشْجَانِي
 ظَفَرْتُ بِالمَرْغُوبِ
 عَلَيْهِ عِنْدَ الخَطُوبِ
 إِلَّا أَبُو يَعْقُوبِ
 هَذَا هُوَ الثَّانِي
 وَالغَيْثُ سَيَّانِ
 إِلَّا هَوَى وَاذْكَارِ
 بِيُوسُفِ بِنِ خِيَارِ
 إِذْ رَامَ حَلَّ الإِزَارِ
 بِحَلِّ هَمِيَّانِي
 مَا تَدْرُ مَا شَانِي

ابن أبي حبيب: أبو الوليد من أعيان شلب، كان حكيم زمانه، ذكر له ابن سعيد أبياتا من موشحة، أولها (46):

46 - المصدر نفسه، 387/1.



عسى لديك يا ربّة القلب زاد لراحل
اهفودعي فديتك هيماننا
لا يستطيع دونك سلوانا
إذا تذكر البين أو بانا
بكي وحن إلى شلب
حنين ثاكل

ابن حبيب: القصري الفيلسوف، عاش في عهد الموحدين. قُتل بسبب اتهامه بالزندقة وله موشحة في "المغرب"، أولها⁽⁴⁷⁾:

أشرب على ضفة الغدير
وبهجة الروض في المطر
وانظر إلى الكوكب المنير
يسعى بكاس لها شرر
لا تشرب الكاس دون ساق
تسبيك من وجهه فتن
مهفوف الحصر ذو نطاق
يجول منه بكل فن
وقف على اللثم والعناق
يصلح في مذهب الحسن
يهتز في قده النضير
على كتيب يسبي البصر
يا قوم هل فيه من مجير
فليس لي عنه مضطبر

ابن مهلهل: أبو الحسن علي بن مهلهل الجلياني، عاصر نزهون بنت القليعي، وعاش في عهد ابن سعيد صاحب أعمال غرناطة في

47 - المصدر نفسه، ص 297.

مدة المرابطين ومدحه. له موشحة في "المغرب" منها⁽⁴⁸⁾:

النَّهْرُ سَلَّ حَسَامًا عَلَى قُدُودِ الْغُصُونِ
وَالنَّسِيمُ مَجَالٌ
وَالرَّوْضُ فِيهِ اخْتِيَالٌ
مُدَّتْ عَلَيْهِ ظِلَالٌ
وَالزَّهْرُ شَقَّ كِمَامًا وَجِدًّا بَتَلَكَ اللَّحُونَ
أَمَا تَرَى الطَّيْرَ صَاحَا
وَالصَّبْحَ فِي الْأَفْقِ لَاحَا
وَالزَّهْرَ فِي الرَّوْضِ فَاحَا
وَالبَرْقَ سَاقَ الْغَمَامَا تَبْكِي بَدْمَعِ هَتُونَ

نزهون بنت القليعي: ورد اسمها في "المغرب" نزهون بنت القلاعي، شاعرة ماجنة كثيرة النوادر⁽⁴⁹⁾، تنظم الموشحات والأزجال. ولها موشحة جميلة وردت في "عدة الجليس" لابن بشري، تقول فيها:

بَأبِي مَنْ هَدَّ مِنْ جَسْمِي الْقَوَى
وَسَقَانِي مَا سَقَى يَوْمَ النَّوَى
كَلِمَا رُمْتُ خَضُوعَا فِي الْهَوَى
يَا لَهْ مِنْ شَادِنٍ صَيَّرَنِي
لَمْ يَدَعْ فِي الْحُورِ مِنْهُ عَوْضَا
مَرَّبِي فِي رَبْرَبٍ مِنْ سَرْبِهِ
وَهُوَ يَتْلُو آيَةَ مِنْ حَزْبِهِ
بَعْدَ مَا ذَكَرَنِي مِنْ حَيْبِهِ
طَرَفَهُ الْأَحُورُ
وَيَحْ مِنْ غَرَّرُ
تَاهُ وَاسْتَكْبِيرُ
رَهْنِ أَشْجَانِي
عِنْدَ رِضْوَانِ
يَقْطُفُ الزَّهْرَا
يَبْتَغِي الْأَجْرَا
آيَةَ أُخْرَى

48 - المصدر نفسه، 151/2.

49 - المصدر نفسه، ص 121.

والذي لو شاء ما ذكرني
قلب القلب على جمر الغضا
حفظ الله حبيبا نرحا
جاءت البشري به فانشرحا
واستطار القلب مني فرحا
أمن الإنس الذي بشرني
غير أني شمت برقا أو مضا
قلت لما زارني طيف الخيال
مرحبا بالزائر الحلو الخلال
والذي أنشاك من ماء الجمال
ما برى جسمي ولا غيرني
إنما غير جسمي مرضا
لم تزل تظهر فيك الكلفا
غادة لو رام منها النصفا
فهو يهواها وييدي الصلفا
يتمناني اذا لم يرني
فاذا رأني تولى معرضا
بعد نسياني
فهو في شان
خشية الهجر
عندها صدري
ثم لا أدري
أم من الجان
حين حيائي
من رشا الإنس
مخجل الشمس
واحد الجنس
خوف هجراني
لحظك الرائي
كلما غنت
غيره ضنت
ولذا غنت
يتمناني
كن ما رأني

ابن حنون: هو أبو العباس أحمد الإشبيلي، عاش في مدة المنصور
بن يوسف بن عبد المؤمن. وله موشحة مشهورة في "المغرب"
يقول فيها⁽⁵⁰⁾:

أبى أن يجود بالسلام
فكيف يجود بالوصال
من كانت تحية الوداع

منه قبلة عند الزوال

أثاب إليه أو تجنى

يروقك منظرًا وحسنا

كالغصن التضير في القوام

كالبدن المنير في الكمال

يروعك وهو ذو ارتياح

كالليث الهصور كالغزال

تذكر عهدي الملول

وقد أخذت منه الشمول

فجاد بزورة بخيل

أتى حين عب في المدام

كالغصن هفت به الشمال

يمشي بين ميل واضطلاع

فمنه اثنا واعتدال

محمد عبدك المنيب

يدعوك وأنت لا تجيب

لقد شقيت منك القلوب

بسهل الهوى صعب المرام

هي الشمس نيلها محال

تلقي العيون بالشعاع

فيمنعها من أن تُنال

ألم يأن أن يلين قلبك

فيلتد بالكري محبك

فلو أنه ينام صبك

وتعتنقان في المنام

لأقنع ذلك الخيال

من بات بذاك الاجتماع

على ثقة من الليال

تفوق سهم كل حين

بما شئت من يدٍ وعين

وتنشأ في القضيتين

خلقت مليح علمت رام

فلس نخله ساعه عن قتال

وتعمل بذئ العينين متاع

ما تعمل أرباب النبال

ابن غياث: أبو عمرو بن غياث الشريسي، شاعر مشهور
(ت 620 هـ - 1223 م). ذكر له صاحب "المغرب" قطعة من
موشحة يقول فيها⁽⁵¹⁾:

طال عنكم مغيبى	فلم تراعوا ودادي
ذاك شأن الغريب	يُنسى بطول البعاد
لم يكن باختياري	لكن بحكم القضاء
رحلتي عن ديارى	فصرت في الغرباء
إن سلوت نهاري	أطلت ليلى بكائي
ليس لي من مجيب	في الليل حين أنادي
غير دمع سكيب	ولاعج في ازدياد

ابن حريق: أبو الحسن علي بن حريق (ت 622 هـ - 1225 م).

51 - المصدر نفسه، ص 306.

كان يتردد على مدينة سبته. له موشحة يقول فيها (52):

سل حارسِي روضةِ الجمالِ
من توجِ الغصنِ بالهلالِ
أي أقحاحٍ وجُلنارِ
وأي صليين من عذارِ
وأي ماءٍ وأي نارِ
فقل حيا مَوردِ زلالِ
وقل جنانٌ وقل لآلِ
من لي به والمني غرورِ
النورُ من خده منيرِ
يا نفس ما منك بالوصالِ
فقد دعا جفنه نزالِ
يا قلبي المبتلى بحبه
من باخل في الهوى بقربه
صبرا على هجره وعتبه
لعل رفقا من الوصالِ
أو بعض ما تحدث الليالِ
وناصح قال يا غريبُ
للمرء من دمه نصيبُ
ويحك لا عيشة تطيبُ
فخل عيني في انهمالِ
وابك معي رقة لحالي
جعلت لبس الهوى شعارا

52 - المصدر نفسه، 339/2.

ولي حبيبٌ سَطَا وجارا
بالنفس أفديه من حبيب
شدوت إذ مرّ بي سرارا
من خشية السامع الرقيب
محمد اللنقُ يا غزال
يا صاحب العينين الكبار
قطفت قلبي ولم تبال
لسُ ذا عليك يا حبيبي عارُ

ابن الصابوني: أبو بكر محمد بن أحمد الإشبيلي الملقب بالحمار
توفي سنة (638 هـ - 1240 م)⁽⁵³⁾. ولم يبق له سوى بعض
الموشحات في "المقتطف" و"النفح"، ومن ذلك قوله⁽⁵⁴⁾:

ما حالُ صبّ ضئي وَاكْتئابُ
أمرضه يا ويلتاهُ الطبيبُ
عامله محبوبه باجتئابُ
ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيبُ
جفا جفوني النومُ لكنني
لم أبكه إلا لفقد الخيالُ
وذو الوصالِ اليومُ قد غرني
منه كما شاء وِشاء الوصالُ
فلستُ باللائمُ من صدتي
بصورة الحق ولا بالمحالُ

ابن عتبة: أبو الحجاج يوسف (ت 638 هـ - 1240 م) بالقاهرة.
له موشحة مشهورة في "المغرب"⁽⁵⁵⁾، يقول فيها:

الروضُ في حُلِّ خُضِرِ عروسُ
والليلُ قد أشرقَ فيه الكئوسُ

53 - المصدر نفسه، 268/1.

54 - المقري: فح الطبيب، 236/9.

55 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 281/1.

وليس إلا حميَّاهَا شَموسُ
تُجَلِّى بِكفِّى غُلامٌ وحده كالقُصْنِ لَدُن القِوامِ
رِيقُهُ سلسبيلٌ يشفى لَهيبِ أوامى
يا حَبِذا يَوْمنا يَوْمُ الخَلِيجِ
والموجُ تَرَكُضُ أطرافَ المَروجِ
أحِبُّبُ بِهِ وبمِراءِ البهيجِ
يفتِرُ ثَغْرُ الكِمامِ عن باكياتِ الغمامِ
والغصونُ تَميلُ سَكْرًا بغيرِ مدامِ
فقمِ نَبَاكَرْها للافطباحِ
والشُهْبُ تُنثَرُ من خِيطِ الصباحِ
والقُضْبُ ترقصُ في أيدي الرياحِ
على غناءِ الحمامِ والكاسُ ذاتُ ابتسامِ
والظلامُ قَتيلٌ والصبحُ دامي الحسامِ

ابن عيسى الإشبيلي: هكذا ورد في "المغرب"، ولم يذكر ابن سعيد ترجمته، وأورد له موشحة يقول فيها⁽⁵⁶⁾:

عَرَفَ الرِوضِ فَاحٌ والطيرُ قد غَنَى
والصبحُ أضاً فباكرِ الدنا
خُذْها كالرِجاءِ في عَقَبِ الياسِ
إذا صَبَّها الإبريقُ في الكاسِ
مشعشةٌ تضيءُ للناسِ
كالنجمِ الأَحِ في أفقه وهنا
هَوَى فمضى أن يخطفَ الجِنَّا
ألا بأبي نورية البُرْدِ

56 - المصدر نفسه، ص 282.

إهداء من تطوف بها مليحة القناد
بليتها لألى العفد

تخال الصباح في وجهه عتاً
وإن أعرضاً حسبته غصناً
غزال كأن البدر يحكيه
أدوب حذاراً من تجنيه
فمن لي به حتى أدانيه
قليل السماح ويكثر المنأ
وقد ارتضى في الحب أن أفنى
تلفت به في الهجر إذ جداً
ولم ألف من صبر له بدأ
لو شاء من كنت له عبداً
كثير المزاح يقتلني ظناً
فهلا قضى علي إذ ضناً
أجر هوى في الحب أذيالي
وما إن دنا والموت أدنى لي
ولكنما أشدو لعذالي
سلطان الملاح يا قد رضى عتاً
ولو الرضا ولش كن يكون منا

المنتاني: أبو العباس أحمد المنتاني، كان كاتباً لعثمان بن أبي حفص صاحب إفريقية، وله موشحة في "المغرب"، منها⁽⁵⁷⁾:

أشرب على مبسم الزهر حين رق الأصل
والشمس تجنح للغرب والنسيم على

وكلنا مثل ورق لها لدينا هديل
والكأس في كف ساق حبه قد ماس مثل القضيب
فيه خلعت عذارى يا حسنه من حبيب

ابن مسلمة: هو أبو الحسن بن مسلمة القرطبي (ت 585 هـ -
1186 م). لم يبق من موشحاته سوى موشحة أوردتها ابن سعيد
في "المغرب"⁽⁵⁸⁾، نظمها في وصف وادي رية، وهي:

بوادي رية
اخلع عذار التصابي
أما تراه مفرع
مثل الصباح المرصع
بالروض عاد مجزع
من صفو ماء السحاب
سقاء رية
عليه حث المدامه
وانظره في شكل لامه
خاف الرياض حمامه
فكم خطيه
مدت له كالحراب
دعني من العشق دعني
فكم به هاج حزني
فالآن أعشق دني
مع المنى والرباب
وأقصي ميه
الكاس أعشق عمري
لله ساعات سكري
ما بين ورد وزهر
في غير هذا الحساب
فما لي نيه

58 - المصدر نفسه، 424/1.

إلا إذا كان شادن

حلو الهوى متماجن

يا عم احرز ثيابي

ينادي سيه

ابن الصباغ الجذامي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الصباغ الجذامي. شاعر صوفي أندلسي، عاش في الحقبة الأخيرة من دولة الموحدين في المغرب. اشتهر بالمدائح النبوية والزهد. أورد له المقرئ بعض الموشحات في "أزهار الرياض"، ومنها قوله:

ألف المضمنى الشجونا	وارتضى الأحزان دينا
فوق صفح الوجنتين	أهمل الدمع الهتونا
يقطع الأيام حزنا	وبكاء وعويلا
فارحموا صبا معنى	قلبه يذكي غليلا
مُلهب الأحشاء مضمنى	بالنوى أضحى عليلا
ذاب شوقا وحتينا	وسقاما وأتينا
يا له من حلف بين	يرتضى فيك المنونا
أترى عهدا تقضى	منكم هل لي يعود
فمتى عنى ترضى	قد برى جسمي الصدود
لم أطق والله نهضا	فبحق الحب جودوا
وارحموا صبا مهينا	كم شكأ البين سنينا
وشئون المقلتين	تسكب الدمع المعينا
قد ذوى غصن الشباب	ومضى عمري وولى
أن لي وقت الإياب	كم أسلى النفس جهلا
هذه عرس المتاب	في قباب الوصل تجلى
حسبنا فيها الظنونا	وادخلوها آميننا

قد وصلنا كل بين
نحو هاتيك الربوع
وإلى قبر الشفيح
إن تكن خلي مطيعي
كن لي يا رب معينا
قبل أن يحين حيني
نم ريحان التّداني
قد صفا ورد الأمانى
صاح كم هذا التواتي
قد بلينا وابتلينا
قم بنا يا نور عيني
وعفونا ورضينا
فاجهدوا كد الحمول
أعملوا سير الرحيل
يممن خير رسول
وصل الصب الحزينا
وأرى الموت يقينا
وسرت ريح الوصال
فانتفض نحو المعالي
فاستمع عذب المقال
واش يقول الناس فينا
نجعل الشك يقينا

ابن عربي: الشيخ الأكبر أبو بكر محي الدين بن عربي، ولد
بمُرسية وتوفي - رضي الله عنه - سنة (638 هـ - 1240 م)
بدمشق. شاعر صوفي نظم القصائد والموشحات والأزجال. وله
كتب عديدة في العرفان الصوفي. ومن موشحاته قوله (59):

عندما لاح لعيني المتكا
ذبتُ شوقاً للذي كان معي
أيها البيت العتيق المشرف
جاءك العبد الضعيف المسرف
عينه بالدمع شوقاً تذرف
غرابة منه ومكراً فالبكا
ليس محموداً إذا لم ينفع
كلما عددت فيه قال لي

59 - محي الدين بن عربي: الديوان، ص 365.

ليس هذا في بل في أيلي
سأرى حكم قلب قد بلي
بهواها مستغيثاً قد شكا
وأنا أعلم شكوى الجزع
أشرقتم شمس له ما شرقتم
فرايناها بها إذ أشرقتم
أرعدتم سحب لها ما أبرقت
فعلمنا أنه حين بكى
ما بكى إلا لأمرٍ موجه
مر بي في ليلة ليس لها
آخر والصبح قد جللها
والذي حرّمها حللها
وانتدى يطلب وصى واتكى
ومضى إذ ومضاً لم يرجع
أيها السّاقى اسقني لا تأتل
فلقد أتعب فكري عذلي
ولقد أنشده ما قيل لي
أيها السّاقى إليك المشتكى
ضاعت الشكوى إذا لم تنفع

الشُّشْتري: أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الشُّشْتري (ت 668 هـ - 1269 م)، متصوّف أندلسي من أهل شُشْتَر بوادي آش، تنقل كثيراً في البلاد. من كتبه "العروة الوثقى في بيان السنن"، و"المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية"، وله ديوان شعر جمع فيه قصائد وموشحات وأزجال ومزّمّات. ومن موشحاته قوله:

قَدْ لَاحَ لِيَا مَنِّي

سِرَّ بَدَأَ عَجِيبُ

حَتَّى رَأَيْتُ أَنِّي

عَنْ حَضْرَتِي لَا نَعِيبُ

أَنَا مَا زِلْتُ حَاضِرُ

حَاضِرٍ فِي كُلِّ حِينٍ

عَيْنِي إِلَيَا نَاطِرُ

نَاطِرٍ طَوَّلَ السِّنِينَ

وَالْحَقُّ فَيَا ظَاهِرُ

ظَاهِرٍ لِدِي يَقِينُ

مَنْ قَالَ أَنَا وَإِنِّي

قَدْ أَوْفَى بِالْمَغِيبُ

إِنْ قِيلَ هَذَا عَنِّي

قَدْ أَحْرَمَ النَّصِيبُ

مَنْ هُوَ يَا قَوْمَ وَلَدِي

وَلَدِي يَا قَوْمَ أَنَا

أَوْ تَدْرُوا مَنْ هُوَ جَدِّي

جَدِّي سَبَقْتُوا أَنَا

أَنَا مَا زِلْتُ وَحْدِي

وَحْدِي مَا زِلْتُ أَنَا

وَمَنْ حَكَّمْ بَعَيْنِي

أَخْطَا وَلَمْ يُصِيبُ

قُلُّوا إِلَيْكَ عَنِّي

مَا أَنْتَ لِي نَسِيبُ

يَا مَنْ يَرَانِي شَفَعَا

الشَّفَعُ بِي ظَهَرَ

رَدَّ الْوُجُودَ جَمْعَا

فَالْفَرْقُ فِي الصُّورُ

وَاحْكَمْ بِهِذَا قِطْعَا

أَنَا مَا لِي آخِرُ

مَلَأْتُ كُلَّ أَيْنٍ

وَلَمْ نَزَلْ مُجِيبُ

لِكُلِّ مَنْ هُوَ مَدَنِي

مَنْ حَضْرَتِي قَرِيبُ

إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ تَحْقُقُ

فِي الْكُونِ قَوْلَ كُونُ

صِحُّ فِي الْوُجُودِ مُطْلَقُ

خَفَى عَنِ الْعَيُونِ

نُورِ الْحَقِيقَةِ يَشْرُقُ

وَسَرَّهَا مَصُونُ

لَمْ قَطُّ يَسْعَهَا أَيْنِي

وَلَا لَهَا مَغِيبُ

وَقَدْ وَسِعَهَا كَوْنِي

وَعِيرِي قَدْ حُجِيبُ

لَا تَحْسِبُونِي نَبِلا

أَنْ نَسُكُنُ الْقُبُورُ

سِرٌّ مَا زَالَ يَجْلَا

فِي بُسْتَانِ الصُّدُورُ

وَالْحَضْرَةُ بِيَا أَوْلَى

مَا بَيْنَ بَنِينَ وَحُورُ

وهذا هو في ظني وقصدي لا يخيب

متى ترى يا عيني منازل الحبيب

أبو مدين التلمساني: هو أبو مدين شعيب بن الحسن الغوث الأندلسي التلمساني (ت 594 هـ - 1198 م) من مشاهير الصوفية. أقام بفاس، وسكن بجاية وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور. توفي بتلمسان وله ديوان شعر. ومن موشحاته قوله⁽⁶⁰⁾:

لَمَّا بَدَأَ مِنْكَ الْقَبُولُ	أَخْرَجْتُ مِنْ سَجْنِ الْأَسَا
وَزَجَّ بِي عَيْنَ الْوَصُولُ	وَصَرْتُ بِكَ مَوْئَسَا
وَلَسْتُ مِنْ قَلْبِي تَزُولُ	بَيْنَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَا
النُّظْرَةَ فَيْكَ يَا جَمِيلُ	نَعَشُ بِهَا عَيْشًا رَغْدُ
أَنْتَ الْمَحَجَّةُ وَالِدَلِيلُ	مَنْ ذَا يُطِيقُ عَنْكَ الْبِعَادُ
يَا رَاحَةَ الْقَلْبِ الْعَلِيلُ	فَيْكَ اجْتَمَعَ كُلُّ الْمُرَادُ
أَوْقَدْتَ فِي قَلْبِي هَوَاكَ	وَقَلْتَ لِي إِيَّاكَ تَبْوَحُ
أَمْ كَيْفَ لِي أَرَى سَوَاكَ	وَأَنْتَ لِي جِسْمٌ وَرَوْحُ
وَلَا يَخْفَى نَوْرُ سَنَاكَ	وَقَدْ بَدَأَ لِلنَّاسِ يَلْوَحُ

أبو حيان: محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي المتوفى سنة (654 هـ - 1256 م) الملقب في المشرق بأثير الدين⁽⁶¹⁾. كان عالما وأديبا وشاعرا ينظم القصائد والموشحات، ولم يبق من موشحاته سوى اثنتين. له ديوان شعر ودراسات في علم الحديث

60 - أبو مدين التلمساني: الديوان، طبعة 1357 هـ، ص 82. بعض موشحاته وأزجاله تنسب أيضا إلى أبي الحسن الششتري.

61 - لسان الدين بن الخطيب: الكتيبة الكامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ص 81.

لو رآه الآن قد عَنَدَا
 غصن من فوقه قمر
 ثغر في فيه أم درر
 خمرة من ذاقها سكرًا
 ريقة بالثغر أم عسل
 كحل بالعين أم كحل
 جلبت لناظر السهرا
 ما أذيقا لذة الوسن
 عجباً ضدان في بدن
 وبعيني الماء منفجرا
 إذ دنا مني أبو الفرج
 كيف لا يخشى من الوهج
 ظنه من حره شررا
 فانتنى والقلب قد ملكا
 قال لي يوماً وقد ضحكا
 نحو مصر تعشق القمرَا

عاذلي في الأهيف الأنس
 رشا قد زانه الحور
 قمر من سحبه الشعر
 حال بين الدر واللعس
 رجة بالردف أم كسل
 وردة بالخد أم ججل
 يا لها من أعين نعس
 مد نأى عن مقلتي سني
 طال ما ألقاه من شجن
 بضوادي جذوة القيس
 قد أتاني الله بالفرج
 قمر قد حل في المهج
 غيره لو صابه نفسي
 نصب العينين لي شركا
 قمر أضحي له فلكا
 أتجي من أرض أندلس

الشاب الظريف: هو محمد بن سليمان بن علي شمس الدين بن
 الشيخ عفيف الدين التلمساني، توفي سنة (688 هـ - 1289 م)
 بدمشق. وهذه الموشحة التي عارضها أبو حيان الأندلسي⁽⁶³⁾:

قمر يجلو دجى الغلس
 بهر الأبصار من ظهرا

62 - المقري: نفع الطيب، 301/3.

63 - المصدر نفسه، ص 302.

آمِنٌ مِّنْ شُبُهَةِ الْكَلْفِ
 ذُبْتُ فِي عَيْنِهِ بِالْكَافِ
 لَمْ يَزَلْ يَسْعَى إِلَى تَلْفِي
 بِرِكَابِ الدَّلِّ وَالصَّافِ
 أَهْ لَوْلَا أَعْيُنُ الْحَرَسِ نَلْتُ مِنْهُ الْوَصْلَ مُقْتَدِرًا
 يَا أَمِيرًا جَارَ مَدَنٍ وَوَلِيَا
 كَيْفَ لَا تَرِثِي لِمَنْ بَلِيَا
 فَبِتَغْرِ مَنْكَ قَدْ جَلِيَا
 قَدْ حَلَا طَعْمًا وَقَدْ حَلِيَا
 وَبِمَا أَوْتَيْتَ مِنْ كَيْسٍ جُدْ فَمَا أَبْقَيْتَ مُصْطَبِرًا
 لَكَ خَدَّ يَا أَبَا الضَّرَجِ
 زَيْنَ بِالتَّوْرِيْدِ وَالضَّرَجِ
 وَحَدِيثَ عَاطِرِ الْأَرْجِ
 كَمْ سَبَى قَلْبًا بِلَا حَرَجِ
 لَوْ رَأَى الْغَصْنَ لَمْ يَمْسِ أَوْ رَأَى الْبَدْرَ لَأَسْتَتَرَ
 يَا مَدِينِيَا مَهْجَتِي كَمَدَا
 فُقُتَ فِي الْحُسْنِ الْبُدُورَ مَدَا
 يَا كَحِيلًا كَحْلُهُ اعْتَمَدَا
 عَجَبًا أَنْ تَبْرِي الرَّمَدَا
 وَبِسُقْمِ النَّاطِرِينَ كُسِي جَفْنُكَ السَّحَارُ انْكَسَرَا

ابن خاتمة: أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري المتوفى سنة (770 هـ - 1368 م)، له ديوان شعر يضم عددا من الموشحات. ومن محاسن قوله موشحة يتغزل فيها بغلام نصراني⁽⁶⁴⁾:

64 - ابن خاتمة: الديوان، ص 160.

فِي طَاعَةِ النَّدِيمِ
 عَصَيْتُ كُلَّ عَاذِلٍ وَحِجَّةٍ
 أَمَا أَنَا فَمَا لِي
 فَتَنْتُ فِي غَزَالٍ
 ظَلْتُ عَلَى احْتِيَالِي
 ذُو مَنْظَرٍ وَسَيْمِ
 يَخْتَالُ فِي غَلَائِلِ
 يَا مَنْ لِمَسْتَهَامِ
 يَغْتَالِنِي مَنْأَمِي
 قَدْ عَاتَ فِي الْأَنَامِ
 أَجُورٌ مِنْ سَدُومِ
 عَلَى فُؤَادِ ذَاهِلِ
 عَلَّقَتْهُ غَزَالَا
 زَنَارُهُ اسْتَمَالَا
 إِنْ قَالَ لِي مَقَالَا
 أَوْ اشْتَكِي هُمُومِي
 فَالْقَلْبُ فِي حَبَائِلِ
 أَقْسَمْتُ بِالْأَنَاجِلِ
 مَا إِنْ أَطِيعُ عَاذِلِ
 فَكَمْ وَكَمْ تَمَاطِلِ
 قَدْ امْحَتِ رُسُومِي
 فَارْحَمِ أَنْيْنَ نَاحِلِ
 قُلْ كَيْفَ يَسْتَرِيحُ
 لِسَانُهُ فَصِيحُ
 هَا حَالْتِي تَلُوحُ
 وَفِي هَوَى الْحِسَانِ
 وَدَنْتُ بِافْتِتَانِ
 عَنِ الْهَوَى مَحِيصِ
 صَعِبِ الرِّضَى حَرِيصِ
 فِي كَفِّهِ قَنِيصِ
 مِنْ فَوْقِ خُوطِ بَانَ
 مَا لِي بِهَا يَدَانِ
 مِنْ جُورِ ذَا الْغَلَامِ
 يَسُومُنِي سَقَامِ
 بِأَضْرِبِ الْقَرَامِ
 يَعْدُو مَدَى الزَّمَانِ
 أَطْوَعُ مِنْ عِنَانِ
 لِلرُّومِ مُنْتَهَاهِ
 حِلْمِي إِلَى صِبَاهِ
 لَمْ أُدْرِ مَا عَنَاهِ
 لَمْ يَدْرِ مَا عَنَانِ
 أَيْدِي هَوَاهُ عَانِ
 وَحَرَمَةَ الْمَسِيحِ
 فَيْكَ وَلَا نَصِيحِ
 ذَا لَوْعَةِ قَرِيحِ
 سَقَمًا عَنِ الْعِيَانِ
 لَوْلَاهُ مَا اسْتَبَانَ
 صَبَّبَ مَتَيْمِ
 وَالْحَبِّ أَعْجَمِ
 فَهَلْ مَتَّرَجِمِ

صَبِيَّ عَشَقْتُ رُومِي وَشُ نَحَفَظَ اللِّسَانُ

السَّاعَ مَا نَشَاكِلُهُ عَاشِقٌ بِتَرْجُمَانٍ

ابن سهل: أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإشبيلي الأندلسي، شاعر يهودي اشتهر بالغزل. خالط المسلمين في الأندلس والمغرب وقرأ معهم حتى أسلم ومدح النبي محمد (ص) بقصيدة شعرية. نظم القصائد والموشحات، ومات غريفا سنة (646 هـ - 1248 م) على الأرجح. له موشحة مشهورة عارضها ابن الخطيب والعديد من الشعراء⁽⁶⁵⁾:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى
قلب صبٍ حلّه عن مكسٍ
فهو في حرٍّ وخفق مثلما
لعبت ریح الصبا بالقبسِ
يا بدورا أطلعت يوم النوى
غررا تسلك في نهج الغرر
ما لقلبي في الهوى ذنب سوى
منكم الحسن ومن عيني النظر
أجتني اللذات مكلوم الجوى
والتذاذي من حبيبي بالفكر
كلما أشكوه وجدأ بسما
كالربا بالعارض المنبجس
إذ يقيم القطر فيها ماتما
وهي من بهجتها في عرس
غالب لي غالب بالتؤده

65 - المقري: نفع الطيب، 286/9.

بأبي أفيده من جاف رقيق
 ما رأينا مثل ثغر نضده
 أقحواناً عصرت منه رحيق
 أخذت عيناه منه العريده
 وفؤادي سكره ما إن يفيق
 فاحم الجمّة معسول اللمي
 أكحل اللحظ شهى اللعس
 وجهه يتلو الضحى مبتسما
 وهو من إعراضه في عبس
 أيها السائل عن ذلي لديه
 لي جزاء الذنب وهو المذنب
 أخذت شمس الضحى من وجنتيه
 مشرقاً للصب فيه مغرب
 ذهبت أدمع أجزاتي عليه
 وله خد بلحظي مذهب
 يطالع البدر عليه كلما
 لاحظته مقلتي في الخلس
 ليت شعري أي شيء حرما
 ذلك الورد على المعترس
 كلما أشكو إليه حرقى
 غادرتني مقلتهاه دنفا
 تركت الحاظه من رمقى
 أثر النمل على صم الصفا
 وأنا أشكره فيما بقي
 لست ألهاه على ما أتلفا

فهو عندي عادلٌ إن ظلما

إهداء من شبكة الألوكة وعمدولي نطقه كالخرس

ليس لي في الحبِّ حكمٌ بعدما

حلَّ من نفسي محلَّ النفسِ

منه للنارِ بأحشائي اضطرأ

يلتظي في كلِّ حينٍ ما يشا

وهي في خديهِ بردٌ وسلامٌ

وهي ضرٌّ وحرِّقٌ في الحشا

أنقي منه على حكم الغرامِ

أسد الغابِ وأهوادِ رشا

قلتُ لَمَّا أن تبدي معلما

وهو من ألاحظه في حرسِ

أيها الأخيدُ قلبي مغنما

اجعل الوصلَ مكانَ الخمسِ

لسان الدين بن الخطيب: أبو عبد الله محمد بن سعيد السلماني، من مشاهير الأدباء والمؤرخين بالأندلس، كان وزيرا بغرناطة في عهد بني الأحمر. قُتل في سجنه بالمغرب وأحرقت جثته سنة (776 هـ - 1374 م). ألف كتبا كثيرة من بينها "جيش التوشيح" الذي أورد فيه تواشيح أهل الأندلس، وله ديوان شعر وموشحات متناثرة في المصادر الأندلسية. ومن بديعه قوله في مستهل موشحة مشهورة مطلعها⁽⁶⁶⁾:

رُبَّ ليل ظفرتُ بالبدرِ ونجومُ السماء لم تدرِ

وقال أيضا معارضا ابن سهل (67):

يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما
في الكرى أو خلسة المختلس
إذ يقود الدهر أشتات المني
ينقل الخطو على ما يرسم
زُمرًا بين فرادى وثنا
مثلما يدعو الوفود الموسم
والحيا قد جلل الروض سنا
فتغور الزهر منه تبسم
وروى النعمان عن ماء السما
كيف يرؤي مالك عن أنس
فكساه الحسن ثوبا معلما
يزدهي منه بأبهى ملبس
في ليالٍ كتمت سر الهوى
بالدجى لولا شمس الغرر
مال نجم الكأس فيها وهوى
مستقيم السير سعد الأثر
وطر ما فيه من عيب سوى
أنه مر كلمح البصر
حين لذ أنس شيئا أو كما
هجم الصبح هجوم الحرس

غَارَتِ الشُّهُبُ بِنَا أَوْ رَبَّمَا
 إهداء من شبكة الألوكة
 أَثَّرَتْ فِينَا عَيْنُ النَّرْجَسِ
 أَيُّ شَيْءٍ لَامِرٍ قَدْ خَلَصَا
 فَيَكُونُ الرُّوْضُ قَدْ مَكَّنَ فِيهِ
 تَنْهَبُ الْأَزْهَارُ مِنْهُ الْفُرْصَا
 أَمِنْتُ مِنْ مَكْرِهِ مَا تَتَّقِيهِ
 فَإِذَا الْمَاءُ تَنَاجَى وَالْحَصَى
 وَخَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ
 تُبْصِرُ الْوَرْدَ غَيُورًا بَرَّمَا
 يَكْتَسِي مِنْ غِيْظِهِ مَا يَكْتَسِي
 وَتَرَى الْأَسَّ لِبَيْبَا فَهَمَّا
 يَسْرِقُ السَّمْعَ بِأَذْنِي فَرَسِ
 يَا أَهْيَلِ الْحَيِّ مِنْ وَادِي الْغَضَا
 وَبِقَلْبِي سَكَنَ أَنْتُمْ بِهِ
 ضَاقَ عَنِ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبَ الْفَضَا
 لَا أَبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ
 فَأَعِيدُوا عَهْدَ أَنْسٍ قَدْ مَضَى
 تَعْتَقُوا عَانِيَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَحْيُوا مَعْرَمَا
 يَتَلَاشَى نَفْسًا فِي نَفْسِ
 حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا
 أَفْتَرَضُونَ عَفَاءَ الْحَبْسِ
 وَبِقَلْبِي مِنْكُمْ مُقْتَرِبُ
 بِأَحَادِيثِ الْمَنَى وَهُوَ بَعِيدُ
 قَمَرٌ أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ

شَقَوَّةَ الْمَغْرَى بِهِ وَهُوَ سَعِيدٌ

www.alukah.net قد تساوى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبٌ

فِي هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدٍ

سَاحِرُ الْمُقْلَةِ مَعْسُولُ اللَّمَى

جَالَ فِي النَّفْسِ مَجَالَ النَّفْسِ

سَدَدَ السُّهُمِ وَسَمَى وَرَمَى

فَفِؤَادِي نُهْبَةُ الْمُفْتَرَسِ

إِنْ يَكُنْ جَارًا وَخَابَ الْأَمَلُ

وَفِؤَادِ الصَّبِّ بِالشُّوقِ يَذُوبُ

فَهُوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ

لَيْسَ فِي الْحُبِّ لِمُحِبِّبٍ ذُنُوبُ

أَمْرُهُ مُعْتَمِلٌ مُمْتَثِّلٌ

فِي ضُلُوعٍ قَدْ بَرَّاهَا وَقُلُوبُ

حَكَمَ اللَّحْظَ بِهَا فَاحْتَكَمَا

لَمْ يِرَاقِبْ فِي ضِعَافِ الْأَنْفُسِ

مِنْصَفِ الْمَظْلُومِ مِمَّنْ ظَلَمَا

وَمَجَازِي الْبِرِّ مِنْهَا وَالْمُسِي

مَا لِقَلْبِي كَلِمَا هَبَّتْ صَبَا

عَادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشُّوقِ جَدِيدُ

كَانَ فِي اللُّوْحِ لَهُ مَكْتُبَا

قَوْلُهُ إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدُ

جَلَبَ الْهَمَّ لَهُ وَالْوَصَابَا

فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جَهْدٍ جَهِيدُ

لَاعَجٌ فِي أَضْلَعِي قَدْ أَضْرَمَا

فَهِيَ نَارٌ فِي هَشِيمِ الْيَبْسِ

لَمْ يَدَعْ فِي مُهْجَتِي إِلَّا ذَمًّا

إهداء من شبكة الألوكة

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

سَلِّمِي يَا نَفْسُ فِي حُكْمِ الْقَضَا

وَاعْمُرِي الْوَقْتَ بَرُجْعَى وَمَتَابُ

دَعَكَ مِنْ ذِكْرِي زَمَانٍ قَدْ مَضَى

بَيْنَ عَتَبِي قَدْ تَقَضَّتْ وَعِتَابُ

وَاصْرِفِي الْقَوْلَ إِلَى الْمَوْلَى الرِّضَا

مُلْهُمِ التَّوْفِيقَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ

الْكَرِيمِ الْمُتَنَهَى وَالْمُنْتَمَى

أَسَدِ السُّرُجِ وَبَدْرِ الْمَجْلِسِ

يُنْزِلُ النُّصْرَ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا

يُنْزِلُ الْوَحْيَ بِرُوحِ الْقُدْسِ

مِصْطَفَى اللَّهِ سَمِي الْمِصْطَفَى

الْغَنِيِّ بِاللَّهِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ

مَنْ إِذَا مَا عَقَّدَ الْعَهْدَ وَفَى

وَإِذَا مَا فُتِحَ الْخُطْبُ عَقْدُ

مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ وَكَفَى

حَيْثُ بَيْتِ النَّصْرِ مَرْفُوعُ الْعَمَدِ

حَيْثُ بَيْتِ النَّصْرِ مُحَمَّدِي الْحَمَى

وَجَنَى الْفَضْلِ زَكِيِّ الْمَغْرَسِ

وَالْهَوَى ظِلَّ ظَلِيلٍ خَيْمَا

وَالنَّدَى هَبَّ إِلَى الْمَغْتَرَسِ

هَاكِهًا يَا سَبْطَ أَنْصَارِ الْعُلَا

وَالَّذِي إِنْ عَثَرَ الدَّهْرُ أَقَالَ

غَادَةً أَلْبَسَهَا الْحَسَنُ مُلَا

تبهّر العين جلاءً وصقالٌ

www.alukah.net

عارضت لفظاً ومعنى وحلى

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

قول من أنطقه الحب فقال

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى

قلب صبّ حله عن مكّس

فهو في حرّ وخفق مثل ما

لعبت ريح الصبا بالقبس

ابن زُمرك: أبو عبد الله محمد بن يوسف الصريحي، من تلاميذ
لسان الدين بن الخطيب وهو الذي تولّى الوزارة بعد فرار هذا
الأخير من غرناطة إلى المغرب، كما شارك في تحريض الغني
بالله على لسان الدين، غير أنه قُتل هو كذلك سنة (793 هـ -
1391 م). ولابن زُمرك عدة موشحات متناثرة في "نضح الطيب"
و"أزهار الرياض". ومن موشحات الوصف قوله⁽⁶⁸⁾:

نسيمُ غرناطةٍ عليلٌ

لكنه يبرئ العليلُ

وروضها زهره بليلٌ

ورشفه ينقع الغليلُ

سقى بنجدٍ ربا المصلّى

مباكراً روضه الغمامُ

فجفنه كلما استهلاً

تبسم الزهر في الكمامُ

والروض بالحسن قد تجلّى

وجرد النهر عن حسامُ

68 - المصدر نفسه، 97/10.

ودوحها ظلّه ظليل
 اهداء من شبكة الألوكة يحسن في ربه المقيّل
 والبرق والجو مستطيل
 يلعب بالصارم الصقيّل
 عقيلة تاجها السبيكة
 تطل بالمراقب المنيّف
 كأنها فوقه مليكة
 كراسيها جنة العريف
 تطلع من عسجد سبيكة
 شموسها كلما تطيف
 أبدعك الخالق الجميل
 يا منظرًا كله جميل
 قلبي إلى حسنه يميل
 وقبلنا قد صبا جميل
 وزاد للحسن فيك حسنا
 محمد الحمد والسماح
 جدد للفخر فيك معنى
 في طالع اليمن والنجاح
 تدعى دشاراً وفيك معنى
 يخصك الفأل بافتتاح
 فالنصر والسعد لا يزول
 لأنه ثابت أصيل
 سعد وأنصاره قبيل
 أبأوه عترة الرسول
 أبدى به حكمة القدير

وتوجّ الروضَ بالقبابِ
 ودرعَ الزهرِ بالغديرِ
 وزيّنَ النهرَ بالحبابِ
 فمن هديلٍ ومن هديرِ
 ما أوعَ الحسنُ بالشبابِ
 كبت على روضها القبولُ
 وطرفها بالسرى كليلُ
 فلم يزلَ بينها يجولُ
 حتى تبدّت له حجولُ
 للزهرِ في عطفها رقومُ
 تلوحُ للعين كالنجومِ
 وللندى بينها رسومُ
 عقدُ الندى فوقه نظيمُ
 وكلُّ وادٍ بها يهيمُ
 ولم يزلَ حولها يحومُ
 شنيئها مدّ منه نيلُ
 والشينُ ألفٌ لمستئيلُ
 وعينُ وادٍ بها تسيلُ
 من فوق خدّه له أسيلُ
 كم من ظلالٍ به ترفُ
 تَضفُو له فوقها ستورُ
 ومن زجاجٍ به يشفُ
 ما بين نورٍ وبين نُورِ
 ومن شمسٍ بها تُصَفُ
 تديرها بينها البدورُ

مزاجها العذب سلسبيل

اهداء من شبكة الوديا هل إلى رشفها سبيل

وكيف والشيب لي عذول

وصبغته صفرة الأصيل

يا سرحة في الحمى ظليله

كم نلت في ظلك المنى

روضك الله من خميله

يُجنى بها أطيب الجنى

وبرقها صادق المخيله

ما زال بالغيث محسنا

أنجز لي وعدك القبول

فلم أقل مثل من يقول

يا سرحة الحي يا مطول

شرح الذي بيننا يطول

ابن لسان الدين بن الخطيب: هو علي بن محمد، ابن لسان الدين بن الخطيب، من شعراء غرناطة مات في بداية القرن التاسع الهجري، له موشحة عارض بها موشحة ابن سهل وموشحة أبيه، يقول في مطلعها:

رُبَّ بَدْرِ قَدْ تَدَانَى مِنْ سَمَا خَدَّهُ مَسْتَرْقٍ لِلْمَسِ
وَمِنَ اللَّحْظِ دَحُورٌ رَجْمًا بِشَهَابٍ مِنْ شَدِيدِ الْحَرَسِ

السدراتي: سعيد بن إبراهيم السدراتي (ت 770 هـ - 1368 م)، شاعر من فاس ورد ذكره في كتاب "نثر الجمان" للأمير أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي. اشتهر بالزجل، ومن موشحاته في مدح صاحب "نثر الجمان" قوله:

نشرت فيكم بني نصر
أي شهم وأي صنيدي
حاز إرث السّماح والجود
شيدّ المجد أي تشييد
لم تحدّ عنه ألسن الشّكر
فهو في الدهر طيب الذّكر
ثاقب الذهن وافر العقل
عالم بالعلوم والنقل
جعل النّصر منه في النّصل
ضيق الحزم واسع الصّدر
بارع الحسّن باسم الثغر
أي بدر بطالع السعد
صعدت منه رتبة المجد
لم تحدّ راحتاه عن رفد
صاّدق الوعد سابق الفجر
جالب النفع دافع الضّر
رافع الحقّ باسط العدل
قاهر الظلم قاتل المحل
مانع البغي مانع البذل
مذهب الضيم عاجل البر
ناجح الفعل ذاهب العسر
يا أبا الصّدق أنت مولانا
كم نوال بذلت أغنانا
رقت حسناً وفقّت إحسانا

التلايبي: أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة (ت 780 هـ - 1378 م)، طبيب أبي حمو من ملوك بني زيّان بتلمسان. أورد له المقرّي موشحة في "الأزهار" قالها بمناسبة مولد سنة سبع وستين وسبع مائة للهجرة:

يتهلّ مثل الدرر	لي مدمع هتان
ما إن لها من أثر	قد صير الأضان
دماً على طول الدوام	حق له يجري
ناس إلى خير الأنام	مذ جد في السير
يا صاح عن ذلك المقام	وعاقتني وزري
يُحدي بها في السحر	وسارت الأظعان
بقرب نيل الوطر	فاستبشر الركيان
قبر النبي المصطفى	يا سعدة من زار
قُطب المعالي والوفا	محمد المختار
الخلق طراً وكفى	في مدحه قد حار
وشرحه والسير	في مُحكم القرآن
على جميع البشر	فضله الرحمن
بالله إن جئت البقيع	يا حادي الركب
بلغ إلى الهادي الشفيع	تحية الصاب
عن ذلك المعني الرفيع	غرّبت بالغرب
ينهضني للسفر	وليس لي إيمان
الملك المظفر	إلا من السلطان
إلى المعالي كل حين	من لم يزل يسمو

ذاك أبو حمّو
 طاعتُه ليه غُشِقْتُمْ
 أظهرَ في البلدانُ
 وعمَّ بالإحسانُ
 قابلهُ إسعادُ
 قبيلُ عبدِ الوادِ
 أيامُه أعيادُ
 ملكُ بني زيانُ
 أحياءُ إذا قد كانُ
 تاهتْ تلمسانُ
 صار لها شانُ
 قد ضلَّ إنسانُ
 ليلُ الهوى يقظانُ
 والصبرُ لي حوانُ
 المولى أميرُ المسلمينُ
 نلتا بها دنيا ودينُ
 من عدله المشتهرُ
 لبدو ثم الحضرُ
 تكلَّ عنه الألسنةُ
 به عدتْ في سلطنتهُ
 يا ليتها ألفا سنةُ
 بالمشرفي الذكُرُ
 ليس له من خبرِ
 بملكه على البلادُ
 وسعدُها حلفُ ازديادُ
 قال بها يشكو السُّهادُ
 والحبُّ تربُّ السُّهرُ
 والنومُ من عيتي بري

الناصر بن الأحمر: يوسف بن محمد بن يوسف النصرى أبو
 الحجاج، من بني الأحمر (ت 820 هـ - 1418 م). شاعر غرناطي
 من ملوك الأندلس. ومن موشحاته قوله:

يا من رمى قلبي عن سهم
 لحظ مصيب
 صل مدنفاً ذا مقلة تهمي
 دمعا سكيب
 من منصفِي من شادن غر
 مهفوفِ كالغصنِ النضرِ
 قد لجَّ في بعدي وفي هجري

لَمْ يَخْشَ مَا فِي ذَاكَ مِنْ إِثْمٍ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

وَلَا أَشْتَفِي مِنْ نَاحِلِ الْجِسْمِ
بَادِي الشُّحُوبِ

حَازَ الْجَمَالَ فَمَنْ يُسَامِيهِ
حُلُوٌّ حَالٌ لَوْلَا تَجَنِّيهِ
وَافَى الْكَمَالَ سَبْحَانَ بَارِيهِ
بَدْرٌ سَمَا فِي لَيْلَةِ التَّمِّ

عَلَى قَضِيبِ

قَدِ اشْرَفَا فِي نَاعِمِ ضَخْمِ
ظَبِيًّا رَبِيبِ

قَدِ فَتِنَا بِسِحْرِ أَجْفَانِهِ
لَوْ أَمَكْنَا وَالصَّدِّ مِنْ شَأْنِهِ
تَلَّتِ الْمُنَى مِنْ حَلِّ هَمِيَانِهِ
أَرَوَى ظَمًّا صَدْرِي عَلَى رَعْمِ

أَنْفِ الرَّقِيبِ

فَهُوَ شَفَا مَا بِي مِنْ سَقَمِ
وَمِنْ وَجِيبِ

كَمْ مِنْ لَيْالٍ أَنَا لِي الْأَمْنَا
وَبِالْوَصَالِ أَحْلَنِي عَدْنَا
أَبْرِي اعْتَلَالِ فَوَادِي الْمَضْنَى
بِذِي لَمَّا مَسْتَعَذِبِ الظُّلْمِ

عَذَبِ شَنِيبِ

وَكَمْ شَفَا بِاللِّثْمِ وَالضَّمِّ
قَلْبِي الْكُثِيبِ

لَمَّا رَنَا كَالشَّادِنِ الْفَرْدِ
 وَوَقَمَدِنَا جَنَّةَ السَّوَادِ قَتَلَنِي عَلَى عَمَدِ
 ثُمَّ انْتَنَى نَادِيْتُ مَنْ وَجَدِ
 يَا مَنْ رَمَى قَلْبِي عَلَى سَهْمِ
 لِحْظِ مَصِيبِ
 صُلِّ مَدْنَفًا ذَا مَقْلَةٍ تَهْمِي
 دَمْعًا سَكِيبِ

العربي العقيلي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله، من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، شاهد محاصرة النصارى لغرناطة، وقال شعرا في سقوط الحمراء. قال المقرئ: وله في الموشحات اليد الطولى، فمن ذلك قوله يعارض موشحة الأعمى التطيلي المشهورة⁽⁶⁹⁾:

هل يصح الأمانُ	من شبيه البدرِ
وهو مثل الزمانُ	منتم للغدرِ
لم يقرّ الأغرُّ	غير غمرِ جاهلِ
عيشهُ الحلو مرُّ	وهو فيه ناهلِ
والصبا الغض مرُّ	وهو عنه ذاهلِ
مرشفاً البهرمانُ	فوق ثغرِ الدرِّ
مطمعٌ للأمانُ	بإقترابِ الدرِّ

المنصور السعدي: أبو العباس السعدي المنصور بالله، الذهبي (ت 1012 هـ - 1603 م)، رابع سلاطين الدولة السعدية في المغرب الأقصى. كان محباً للعلم والأدب، ومن موشحاته معارضا

69 - المقرئ: نفح الطيب، 305/6.

ولياي الشُّعورُ إذ تسري ما لنهرِ النهارِ من فجرٍ
حبذا الليلُ طال لي وحدي
لو تراني جعلته بُردِي
فاطمياً في خلعة الجعدي
هي ليلي أختُ بني بشرٍ فأين أنت يا أبا بدرٍ
كم سقتنا أطفاً من طلٍ
واجتمعنا وما درى ظلي
واسترحنا من كاشح نذلٍ
رُبَّ ليلٍ ظفرتُ بالبدرِ ونجومُ السماء لم تدرِ
وبنفسِي مهفهفاً أُمى
ومطيعٌ قد غرني لما
سألته وقانعي مما
في رباطِ قسمتي صدري لحنين وناظري بدرِي
وهلالٍ في حُسْنِهِ اكتملا
هو شمسٌ وأضلعي الحملاً
قام يشدو وينثني في مُلا
قسماً بالهوى لذي حجرٍ ما ليلِ المشوقِ من فجرٍ

وبهذا نكون قد أوردنا أهم الشعراء الوشاحين الذين ظهروا في بلاد الأندلس والمغرب منذ نشأة فن التوشيح إلى عهد النضج والازدهار. ويمكن اللجوء إلى المصادر الأدبية الأندلسية والمشرقية المطبوعة والمخطوطة، التي أشرنا إليها، للتعرف على أخبارهم وموشحاتهم.

أهداء من شبكة الألوكة
www.alukah.net
أبن راشد: هو يخلف بن راشد، من أوائل الزجالين الأندلسيين،
وقد سبق ابن قزمان، ومن أجزاله، قوله:

كلّ مَنْ يَعِيبُ حَبِيَّ إِيشُ يَفِيدُو
 ذَا هَمْ لَيْشُ يَلُومُ كَذَاكَ نَرِيدُو
 كلّ مَنْ يَعِيبُ حَبِيَّ لَسْ نَسْمَعُ لُو
 وَنَدَارِي مَنْ نَهْوَى وَنَخْضَعُ لُو
 بَدَ لِلْغَلَامِ مَيْمُونُ يَخْضَعُ لَسِيدُو
 إِنْ تَعْبَهُ فِي عَيْنِي إِيشُ لَكَ فِي صَدْرِي
 هُو طَلَعَ لِي بِالْقَرَعَةِ وَأَنَا وَسَعْدِي
 سَمَجْ هُو تَزْعَمُ آتْ مَلِيحْ هُو عِنْدِي
 الْقَمَرُ هُو فِي عَيْنِي وَالنَّاسُ عَبِيدُو
 عَيْشِي بَعْدَ مَحْبُوبِي عَيْشُ مَنْكَدُ
 أَنْ رَقَدْتَ تَنْبَهْنِي مَرَاعِدُ الصَّدُ
 مِثْلَ مَا قَطَعَ قَلْبِي وَقَدِّدُ
 غِي لظَاظِلَةَ الْهَجْرَانِ شُوي قَدِيدُو
 كلّ أَحَدٍ فِي ذَا الْعَيْدِ حَصَلَ لُو فَايِدُ
 الْمَلَاخُ مَعَ الْعِشَاقِ يَمْشُوا الْوَاحِدُ
 يَعْملُوا سَلَامَ لِلْعَيْدِ وَأَبْنُ رَاشِدُ
 وَحَدُو يَشْكِي الْغَرْبَةَ فِي عَيْدُو
 كلّ حَدٍ فِي ذَا الْعَيْدِ شَرَحُ وَمَلْحُ
 وَعَمَلُ عَلَى جَنَابُو مَبْزُورُ مَمْلَحُ
 وَأَنَا فَلَيْسَ عِنْدِي كَبِشُ فَيَنْطَحُ
 وَلَا مَا نَجُولُ السَّكِينُ عَلَى وَرِيدُو

ابن قزمان: أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان القرطبي الأصغر المتوفى سنة (555 هـ - 1160 م) إمام الزجالين على الإطلاق⁽⁷¹⁾. اشتهر بالأزجال في الأندلس ونظم كذلك الموشحات. عاب على متقدميه أزجالهم ووصفها بالبرودة. ويُعد ديوانه المطبوع من أنفس الآثار الأدبية في الأندلس ولم يصل إلينا كاملاً. وهناك قصائد ومزونات وأزجال ومقطعات وردت في مصادر أخرى أندلسية ومشرقية. ومن محاسن أزجاله التي يسخر فيها من الفقيه ويتغنى بالطبيعة، قوله⁽⁷²⁾:

تدرِ أش قال لي الفقى تب
 إن ذا فضولي أحقق
 كف نتوب والروض زاهر
 والنسيم كالمسك يعبق
 والربيع ينشر اعلام
 مثل سلطاناً مؤيد
 والثمار تنثر حليها
 بثياب بحل زبرجد
 والرياض تلبس غلالا
 من نبات فحل زمرد
 والبهار مع البنفسج
 أي جمال ابيض وأزرق
 والندى والخير والأس
 والراح والظل والما

71 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 100/1.

72 - المصدر نفسه، ص 174. انظر، ابن قزمان: الديوان، زجل (148)، ص 920.

والمليحُ خاطي مهأودُ
 إهداء من شبكة الألوكة والرقيبُ أصمُّ أعمى
 وزميرٌ من فمِّ ساحرٍ
 وغنا من كفا سلمى
 والزجاجُ مليحٌ مجزَعُ
 والشرابُ أصفرُ مروقُ
 يا شراباً مُرّاً ما أحلاك
 علقمُ إتّ ممزوجٌ بسكرٍ
 بالذي رزقنِ حبّك
 من نثرٍ عليك جوهرٍ
 وتري لَشَّ تشتكي ضُرِّ
 لَشَّ نراك رقيقُ أصفرُ
 ما أظنّ إلا ألمٌ بيك
 أو مليحٌ لا شك تعشقُ
 ذا الطريقُ يعجبينِ يا قومُ
 ما أملحُ وما أجلُ
 أي نبلُ أقلُّ لو خليه
 وسمعُ مما أقلُّ لو
 يا صديقي لسُ نراعُ
 يا صديقي لسُ نملُ
 قل لي كفا نتركُ ذا الأشياءِ
 قصةٌ حقيقٌ بالحقُ

ولم يذكر ابن قزمان معاصريه، غير أن ابن سعيد أورد بعضهم ضمن حكاية، قوله: وكان ابن قزمان مع أنه قرطبي الندار كثيرا ما يتردد على إشبيلية وينتاب نهرها، فاتفق أن اجتمع ذات

يوم جماعة من أعلام هذا الشأن وقد ركبوا في النهر للنزهة،

وكانوا مجتمعين في زورق للصيد، فنظّموا في وصف الحال وبدأ

منهم عيسى البليدي، فقال (73):

يطمع بالخالص قلبي وقد فاتُ
وقد ضمّني العشقُ لشهماتُ
تراه قد حصل مسكينٌ في محنابُ
ويقلق وكذاك أمرٌ عظيمٌ صابُ
توحش الجفون الكحالُ أن غابُ
وذلك الجفون الكحالُ ابلاتُ

ثم قال أبو عمر بن الزاهر الإشبيلي:

نشب في الهوى من لج فيه ينشبُ
تري إيش دعاه يشقى ويتعذبُ
مع العشق قام في بالوان يلعبُ
وخلق كثير من ذا اللعب ماتُ

ثم قال أبو الحسن المقرّي الداني:

نهار مليح يعجبني أوصافُ
شراب وملاح من حولي قد طافُ
والمقلين يقول نعم في صفصافُ
والبوري يقول أخرى في مقلاتُ

ثم قال أبو بكر بن مرتين:

الحق تريد حديث بقالي عادُ

73 - ابن سعيد: المقتطف، ص 484 وما بعدها.

في الواد تحير والنزها والصيد

قلوب البوري هي في شبكات

ثم قال أبو بكر بن قزمان:

إذا شمّر أكمامو ليرميها

ترى البوري يرشق لذيك الجيها

ولس مرادو أن يقع فيها

إلا أن يقبل يديات

وهؤلاء الزجاجون لا نعرف أخبارهم باستثناء ابن الزاهر وابن

مرتين. أما ابن الزاهر فهو من أعلام الزجاجين في إشبيلية، ذكره

ابن سعيد في "المغرب" وأورد له ثلاثة مقاطع من أزجال

مختلفة نقلها عن ابن الدبّاع المالقي من كتابه "ملح

الزجاجين"⁽⁷⁴⁾، ومن ملحه قوله:

إش عليك آت يا بن يقلق

دعن نشرب دعن نعشق

حتى نمشي سكران أحقق

في دراعي مقبض خماس

وفي صدري قيس المجنون

وقوله أيضا:

إذا وصفت جمال ذاك الخد

قلت الحسن على كاس يتشد

وإن مدحت شعرك الأسود

74 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 1/284 وما بعدها.

وأما أبو بكر بن مرتين الذي كان قائداً في قرطبة في عهد المعتمد بن عباد أمير إشبيلية، فقد وأورد له ابن سعيد مقطوعتين في "المغرب" (75).

يخلف الأسود: جاء في "المقدمة" أن هذا الزجال كان بشرق الأندلس ظنه بعض الباحثين ابن راشد، وهو ليس كذلك لأن ابن راشد جاء قبل ابن قزمان. أورد له ابن خلدون مقطوعة زجلية واحدة (76). فمن ذلك قوله:

قد كنتُ منشوبٌ واختشيتُ النشِبُ
وردني ذا العشق لأمرٍ صعبُ
حتى تنظرُ الخدَّ الشريق البهي
تنتهي في الخمرِ لما تنتهي
يا طالبَ الكيمياء في عيني هي
تنظر بها الفضة وترجع ذهبُ

مدغليس: عبد الله بن الحاج الزجال المعروف باسم مدغليس (ت 554 هـ - 1160 م) عاش في عصر الموحدين. ولمدغليس قصائد زجلية على أوزان العرب أوردها الحلي في "العاطل". وله أزجال في كتاب "المغرب"، ومنها قوله (77):

ثَلَاثَ أَشْيَا فَالْبَسَاتِينُ	لَسْتُ تُجِدُّ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ
النَّسِيمَ وَالْخَضِرَ وَالطَّيْرَ	شَمًّا وَاتَّنَزَّهُ وَأَسْمَعَ
قَمًّا تَرَى النَّسِيمَ يُولُو	وَالطَّيْرَ عَلَيْهِ تَغَرَّدُ

75 - المصدر نفسه، ص 248.

76 - ابن خلدون: المقدمة، 407/3.

77 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 220/2.

والثَمَارُ تُتَثَّرُ جَوَاهِرُ
وَبِوَسْطِ الْمَرْجِ الْأَخْضَرِ لَوْحَةٌ
شَبَّهَتْ بِالسَّيْفِ لَمَّا
وَرَدَاذَا دَقَّ يَنْبُزُ
فَتَرَى الْوَاحِدَ يَفْضُضُ
وَالنَّبَاتَ يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ
وَتَرِيدُ تَجِي إِيْنَا
وَجَوَارُ بَحْلِ حُورِ الْعَيْنِ
وَعَشِيَّةٌ قَصِيرَا
لِشْ تَرِيدُ نْفَارِقُوهَا
وَكَأَنَّ الشَّمْسَ فِيهَا
اسْتَمَعَ أُمَّ الْحَسَنِ كَفَا
بِنَعْمِ تَرُدُّ الْأَشْيَاخَ
عَرَدَتْ مِنْ عُدُوِّ لَيْلِ
يَسْمَعُ الْخَلِيعُ غِنَاهَا

فِي بَسَاطٍ مِنَ الزُّمُرِدِ
سَقَى كَالسَّيْفِ الْمَجْرَدِ
شَفَّتِ الْغَدِيرَ مَدْرَعُ
وَشَعَاعِ الشَّمْسِ يَضْرَبُ
وَتَرَى الْآخِرَ يَذْهَبُ
وَالغُصُونُ تَرْقِصُ وَتَطْرَبُ
ثُمَّ تَسْتَحِي وَتَرْجَعُ
فِي رِيَاضٍ تُشَبِّهُ لُجْنَا
تَنْظُرُ الْخَلْعَ تَجْنَا
وَهِيَ تَحْمَلُ طَاقَا عَنَا
وَجْهَ عَاشِقٍ إِذْ يُوَدِّعُ
تَلْهَمُكَ إِلَى الْخَلَاعَا
لِلْمَجُونِ وَلِلرَّقَاعَا
وَمَا كَرَّرْتَ صِنَاعَا
وَيَحْسُ قَلْبُ يَخْلَعُ

ابن غرلة: شاعر مجهول لم تذكره المصادر سوى ما جاء في "العاطل الحالي" للحلي ونقله الحموي في "بلوغ الأمل". كان ينظم الموشحات والأزجال ويزنم فيها عاش في عهد الموحدين. قتله عبد المؤمن الموحي بسبب نظمه موشحة موسومة بالعروس تغزل فيها برميلة (أو رميكة) أخت عبد المؤمن⁽⁷⁸⁾.

وزعم الحلي أن ابن غرلة لما أخرجته الملك لقتله نظر إلى

78 - صفي الدين الحلي: العاطل الحالي، ص 14. انظر، ابن حجة الحموي: بلوغ الأمل في فن الزجل، ص 55.

الناس وارتجل بيتا يستنجد به عشيرته لأخذ ثأره (79):

أهداء من شجرة الألوكة
www.alukah.net

خَدَّهَا الْأَسِيلُ	بَدَتْ مِنْهُ أَنْوَارُ
طَرَفُهَا الْكَحِيلُ	سَلَّ مِنْهُ بَتَارُ
هَا أَنَا الْقَتِيلُ	فَهْلُ يُؤَخِّدُ الثَّارُ
قَدْ أُسِرْتُ عَبْدًا	وَلَمْ أَكُ بِالْعَبْدِ
مُتُّ لَا مَحَالَهُ	فَاطْلُبُوا دَمِي بَعْدِي

وكانت رميلة، يضيف الحلي، أيضا تنظّم فيه الأزجال الجميلة،
ومن نظّمها فيه الزجل المشهور الذي مطلعُه:

مَشَى السَّهْرُ حَيْرَانُ حَتَّى رَأَى إِنْسَانُ
عَيْنِي وَقَفَّ

وفي خرجته تصف خالاً كان بخده:

أَسَّيْمِرُ جَنَانَ فِي شُقَّةٍ مِنْ نَعْمَانُ
قَدْ التَّحَفُ

وهذا الزجل ليس لرميلة وإنما لابن قزمان، وهو آخر زجل
مثبت في ديوانه، الذي خرجته (80):

قَمَ جَيْشُ الْغَزْلَانُ فَانْتِ السُّلْطَانُ
يَا بِنَ عَاطِفُ

والخرجة التي ذكرها الحلي هي القفل ما قبل الأخير من
زجل ابن قزمان وهذا إنما يدل على أن ما جاء به الصفي حول ابن
غرلة لا يتعدى أن يكون خلطاً إن لم نقل وهما.

79 - صفي الدين الحلي: العاطل الحالي، ص 15 - 16.

80 - ديوان ابن قزمان، زجل (149)، ص 962.

ابن الزيات: قال ابن سعيد: وكان في عصر مدغليس، ابن الزيات

زجال غرناطي كان أبو الحسن بن سهل ينشد له: www.al-ashja.com

مشيت لدار قل بره ثم بكيت حتى قل تمه

ابن جحدر: ثم جاء بعده ابن جحدر الإشبيلي الذي فضل على الزجالين في فتح ميروقة، بالزجل الذي أوله:

من عاند التوحيد بالسيف يحق
أنا بري ممن يعاند الحق

اليعيع: ثم يضيف ابن سعيد بقوله: لقيته ولقيت تلميذه اليعيع صاحب الزجل المشهور الذي أوله⁽⁸¹⁾:

بالنبي إن ريت حبيبي أقتل أذن بالرسيل
ليش أخذ عنق الغزيل واسرق هم الحجيل

أبو بكر الحصار: أما في "المغرب" فقد ذكر ابن سعيد عدة زجالين، وأورد لهم بعض المقطوعات نقلها من كتاب "ملح الزجالين" للدبأغ منهم أبو بكر الحصار، وذكر له مقاطع من أزجاله، منها قوله⁽⁸²⁾:

الذي نعشق مريح والذي نشرب عتيق
الملح أبيض سمين والشراب أضر رقيق
لا شراب إلا قديم لا مريح إلا وصول
إذ نقول روحك نريد لس يخالف ما نقول
والزياره كل يوم لا ملول ولا بخيل
من زيارة بعد قد رجع بحل صديق

81 - ابن سعيد: المقتطف، ص 486.

82 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 285/1.

ابن خاطب: وهناك زجال آخر ذكره ابن سعيد هو أبو عبد الله بن

خاطب، وأورد له مقطوعتين زجليتين⁽⁸³⁾. يقول من الأولى:

إِنْ كَانَ تَسَافِرُ أَنْتَا يَزِيدُ مَالَكَ
لِصَّحْرًا تَمْضِي خَفَّ أَحْمَالَكَ
فَمَنْ جَمَالَكَ تَكُونُ أَجْمَالَكَ
وَمَنْ وَقَارَكَ تَكُونُ أَوْقَارَكَ

ابن صارم: أبو بكر بن صارم الإشبيلي، زجال مشهور اتهم
بالزندقة فهرب، لكنه احترق في بيت مهجور. ومن أزجاله⁽⁸⁴⁾:

حَقًّا نَحَبُ الْعَقَّارِ
فَالدَّيْرُ طُولُ النَّهَارِ
نُرْتَهَنُ

خَلَعَ أَنَا لَسْ قَدًّا عَن فُلَانٍ
نَشْرَبُ بِشَقْفِ الْقَدْحِ كَمَا كَانَ
لِلدَّيْرِ مَرُّ وَتِرَانِي عِيَانٍ
قَدِ التَّوَيْتُ فَالْغَبَارُ
وَمَاعِ كَانُونَ بِنَارِ
فَالدَّكَانُ

وَمَدَّهَبِي فَالشَّرَابُ الْقَدِيمُ
وَسَكْرًا مَن هُوَ الْمُنَى وَالنَّعِيمُ
وَلَسْ لِي صَاحِبٌ وَلَا لِي نَدِيمُ
فَقَدْتُ أَعْيَانَ كِبَارِ
وَاخْلَطَنِي مَعَ ذَا الْعِيَارِ

83 - نفسه.

84 - المصدر نفسه، ص 286.

وانظر حقيق الخبر والعيان
بحال خيالي رجع ذا الزمان
فأحلى ما يوريك ديار
غيبها وأخرج جوار
اليمن

الدبّاغ: أبو علي الحسن بن أبي نصر الدبّاغ صاحب كتاب "ملح الزجالين" الذي نقل منه ابن سعيد في "المغرب". وهو إمام الهجو على طريقة الزجل والقول في المجون، ومن أجزاله⁽⁸⁵⁾:

لا شراب إلا مروق	لا مليح إلا مهاود
بالخلاعا والمُعِشِقْ	أتكى واربح زمانك
والربيعُ قد فاح نوار	لا شراب إلا في بستان
أقحوان مع بهار	يبكي الغمام ويضحك
فذاك السّواق دار	والمياه مثل الثعابين
قد نحل جسمو وقد رق	والنسيم عذري الأنفاس
عنها المسك ينشق	وعشيةً مليحه فتن
وتسقى أحسن سيقا	الطيور تحكي المثاني
لزمان العشق طاقا	في ثماراً يلهمون
وقضيب لآخر يعنق	فغصن لآخر يقبل
وبقا فالجو نور	وشعاع الشمس قد غاب
قد كتب بزنجفور	والشفق فالغرب ممدود
فتراهم في سطور	أحرفاً تقرى وتفهم

85 - المصدر نفسه، ص 438.

السَّمَاءُ مَيْمًا مَدُورٌ وَالْهَلَالُ نُونًا مَعْرَقٌ
وَنَحْنُ فِي طَيْبِ مَدَامِهِ قَوْمٌ جُلُوسٌ وَأَخْرُ يَمِيلُ
وَنَدِيمٌ يَسْقِي نَدِيمٌ وَخَلِيلٌ يَهْوَى خَلِيلُ
وَعَذَارُ اللَّيْلِ قَدْ شَابَ لَمَّا أَنْ دَنَا رَحِيلُ
وَدَلِيلُ الصَّبْحِ قَدَامُ قَدْ رَكِبَ جَوَادًا أَبْلَقُ

المكادي: أبو العباس أحمد المكادي من ضواحي طليطلة، له قصائد وأزجال ومن زجله المشهور في الزجال القرطبي قوله⁽⁸⁶⁾:

يا قرطبيّ يمسيكُ نَحْسًا مَعْجَلُ
إذا خَرَجَ رُوْحُكَ بي زَحْفًا تُحْمَلُ
إنْ كانَ ذِرَاعِي فِيكَ قَدْ جَالَ صَيْقَلُ

البحبضة: يحيى بن عبد الله بن البحبضة كان في المائة السابعة يشتغل بأعمال السلطان، وله أزجال يغنون بها على البوق. ومن ذلك قوله⁽⁸⁷⁾:

دَعَنْ نَشْرَبُ قَطِيعُ صَاحٍ
مَنْ دُنَّا سَتَّ الْمَلاحِ
دَعَنْ نَشْرَبُ وَنَرُخِي شُفَا
وَتَصَاحِبُ مَنْ لَسَّ فِيهِ عَضَا
يا زُغَلًا شَدُّوا الْأَكْفَا
مَنْ بَابِ الْجَوْزِ يَسْمَعُ صِيَاحِي
واللّهِ إنْكَ صَرَفَ مَلْحَلًا
وَسَمِينًا بِحَالٍ بِخِلًا
وَخَفِيفًا بِحَالٍ بَوَلَّلًا

86 - المصدر نفسه، 46/2.

87 - المصدر نفسه، 177/1.

حَن تَطِرُ لِي مَعَ الرِّيحِ

اللورقي: أبو عبد الله بن ناجية اللورقي، عاش في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وهو من أئمة الزجالين في زمانه كان رقّامًا بالمرية⁽⁸⁸⁾. ومن أزجاله، قوله:

قالوا عني والحق ما قالوا	إن نعشق فلان
واتهمنا بسرقة الكتان	وكذاك بالله كان
سبحان الله لغز في ذا الأشياء	أي للسائلين
سر في قلبي قلب في صدري	صدري حصنا حصين
وعليه من ضلوع سبع أفعال	وهو تم في كمين
وبحال من يحل أفعال	ويراه ثم عيان
ويبين أموري للإخوان	بأشد البيان

ابن رجلون: ويذكر ابن سعيد زجالة آخرين منهم عبد الغافر بن رجلون المرواني، صاحب الزجل المستحسن الذي أوله⁽⁸⁹⁾:

أوقد في قلبي النار	ولس يريد يطفئيه
وسد باب الدار	أي خذل فيه وأي تيه
يا أحسن الغزلان	يا كوكب دري
لك تسجد الأغصان	ويمدح القمري
ويخجل النعمان	وأنت لا تدري
والعقل فك قد حار	والوصف والتشبيه

الحداد البكازور: ومنهم أيضا الزجال أبو زيد الحداد البكازور

88 - المصدر نفسه، 283/2 - 284.

89 - المصدر نفسه، 226/1.

البلنسي، له زجل يقول منه (90):

أيش تستر يا بن أبي العافية
لس تخفى عن حد هذا الخافية
اش تستر لس بها شي أن يستتر
ذا القصا لا بد لها أن تشتهر
أي صفا كان يشتريها من حضر
بصبا ولس تكون لي غالية
لأنك من الفلك العالیه
إيش تذهب عند البطون من العقول
جج الكاس ومد ساقك لا تزول
وإليس يضحك يجيها ويقول
اطمن قد أن الشريب باليه
والفتيان عزاب ودارا خاليه

قاسم بن عبود الرياحي: ذكره المقرئ في "النفح" وله زجل في
سد الأرحا بقرطبة، يقول فيه (91):

من لس لي فيه نصيب	بالله أين نصيب
ومع رقيب	محبوباً مخالفاً
يقم في المقام	حين ن قصد مكانو
بإرد السلام	ويبخل علينا
روحك في زحام	أدخلت يا قلبي
هي شي عجيب	سلامتك عندي
من هو في لهيب	وكف بالله يسلم

90 - المصدر نفسه، 341/2.

91 - المقرئ: نفح الطيب، 23/2.

بِاللَّهِ يَا حَبِيبِي
وَاعْمَلْ أَنْ تَطِيبَ وَجْهَهُ
وَأَخْرَجْ مَعِيَ لِلوَادِي
تُتَمِّمَ نَهَارَنَا
فِي الْأَرْحَا وَإِلَّا
أَوْ عِنْدَ النَّوَاعِرِ
أَوْ قَصْرَ الرِّصَافَةِ
رَجِحُ وَاللَّهُ دُونَكَ
وَفِي حَبِّكَ أَمْسَيْتُ
وَمَا الْمَوْتُ عِنْدِي
أَتَكَلُّ عَلَى اللَّهِ
وَإِنْ رَيْتَ قُضُولِي
كَمَشُّ عَنِّي وَجْهَكَ
يَهْرَبُ عَنكَ خَائِفًا
وَأَمْسِ أَنْتَ مُوقِرًا
مَا أَعْجَبَ حَدِيثِي
نَطْلَبُ وَنُدَبِرُ
وَكَمْ ذَا نَهْوَنَ
وَإِشْ مَقْدَارُ مَا نَصْبِرُ
رَبِّ أَجْمَعْنِي مَعُو

أَتْرَكَ ذَا النَّفَارِ
فِي هَذَا النَّهَارِ
تَشْرَبُ الْعَقَارِ
فِي لَيْلِهِ وَطَيْبِ
فِي الْمَرْجِ الْخَصِيبِ
وَالرُّوْضِ الشَّرِيقِ
أَوْ وَادِي الْعَقِيقِ
هُوَ عِنْدِي الْحَرِيقِ
فِي أَهْلِي غَرِيبِ
إِلَّا حِينَ تَغِيبِ
وَكُنْ قَطْرَ جَسُورِ
وَقَلْ أَيْنَ تَمُورِ
فَإِنْ رَاكَ نَقُورِ
وَيَبْقَى مَرِيبِ
كَأَنَّكَ خَطِيبِ
أَشْ هَذَا الْجَنُونِ
أَمْرًا لَا يَكُونُ
شَيْئًا لَا يَهْوُونَ
لِبُعْدِ الْحَبِيبِ
عَاجِلًا قَرِيبِ

ابن عربي: الشيخ محي الدين بن عربي الأندلسي من أكبر المتصوفة في العالم الإسلامي المتوفى بدمشق، وقد مر ذكره، ينظم القصائد والموشحات والأزجال، وله عدة كتب ورسائل في

تري جميع الناس عبيد عبيدك
قعدت في ساحل البحر الأخضر
أرمت لي أمواجه الدر الأزهر
فقلت لا تفعل يا قوتي الأصفر
وارم فيه تطلع إلى محيدك
أرمت لي فالحين مع در أكهـب
فقلت أوفيني عنبرك الأشهب
قالت نعم إن كان تعمل لي مركب
من عودك الفواح وخذ نزيدك
زبرجدك أخضر ومسك أذفر
ودرياق الأكبر الله أكبر
فأنا والمطلوب وقال وعزر
لمن تروني قل إليك نريدك
وأمشي على الساحل وأطلب وأفتش
ياقوتي الأحمر لعل تنعش
فإن لقيت إنسان أعمى أو أعمش
وقال لمن تطلب فقل لسيدك
يا طالب الصنعة دبّر حياتك
وانظر إلى الإكسير على صفاتك
تجده من ذاتك يسري لذاتك
مربع التركيب على وجودك

كبريتك الأمرُ لقد معلوم
وهو على التحقيق وجه أجمل معلوم
خفي ظهر للعين مرموز ومفهوم
فذاب قد بانث حوار وزيدك
وعمت أسراره أركان جديدك
العبد إذا فرط لا بد يندم
ويعمل الحيلة ولا يفيد ثم
فقلت قال قبلك من قد تقدم
من أول العاشور انظر فعيدك
الحيلة وقت الضيق ما ليس يفيديك

الشَّشْتَرِي: أبو الحسن علي بن عبد الله الفقيه الصوفي الأندلسي،
المتوفى بمصر سنة (668 هـ - 1269 م)، نشأ بوادي آش،
واشتهر بالزجل الصوفي. وهو صاحب قصائد وموشحات وأزجال
صوفية، وله كتب ورسائل في التصوف، وقد مر ذكره. ومن
أزجاله قوله:

شَوَيْخٌ مِنْ أَرْضِ مَكْنَسٍ	وَسَطَ الْأَسْوَاقِ يَغْنِي
أَشُّ عَلِيًّا مِنَ النَّاسِ	وَأَشُّ عَلَى النَّاسِ مِنِّي
أَشُّ عَلِيًّا يَا صَاحِبَ	مِنْ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ
أَفْعَلِ الْخَيْرِ تَنْجُو	وَاتَّبِعْ أَهْلَ الْحَقَائِقِ
لَا تَقُلْ يَا بَنِي كَلْمَهْ	إِلَّا إِنْ كُنْتَ صَادِقٌ
خَذْ كَلَامِي فِي قَرطَاسٍ	وَاطَّعُوا حِرْزَ عَنِّي
أَشُّ عَلِيًّا مِنَ النَّاسِ	وَأَشُّ عَلَى النَّاسِ مِنِّي
ثُمَّ قَوْلٌ مَبِينٌ	وَلَا يَحْتَاجُ عِبَارَةَ
أَشُّ عَلَى حَدٍّ مِنْ حَدٍّ	أَفْهَمُوا ذِي الْإِشَارَةِ

وَانظُرُوا كِبْرَ سِنِّي
هَكَذَا عَشْتُ فِي فِاسِ
أَشْ عَلِيًّا مِنَ النَّاسِ
وَمَا أَحْسَنَ كَلَامُوا
وَتَرَى أَهْلَ الْحَوَانِتِ
بَغْرَارَةَ فِي عُنُقُوا
شُوَيْخِ مَبْنِي عَلَى أُسَاسِ
أَشْ عَلِيًّا مِنَ النَّاسِ
لَوْ تَرَى ذَا الشُّوَيْخِ
التَّفْتِ لِي وَقَالَ لِي
أَنَا تَنْصِبُ لِي زَنْبِيلِ
وَأَقَامُوا بَيْنَ أَجْنَاسِ
أَشْ عَلِيًّا مِنَ النَّاسِ
مَنْ عَمَلُ يَا بَنِي طَيْبِ
لِعُيُوبُوا سَيَنْظُرُ
وَالْمُقَارِبُ بِحَالِي
مَنْ مَعُوا طَيِّبَةَ أَنْفَاسِ
أَشْ عَلِيًّا مِنَ النَّاسِ
وَكَذَاكَ إِشْتِغَالُوا
وَالرِّضَا عَنْ وَزِيرُوا
وَعَمْرُ قَائِلِ الْحَقِّ
وَعَلِي مُفْتِي الأَرْجَاسِ
أَشْ عَلِيًّا مِنَ النَّاسِ
يَا إِلَهِي رَجَوْتُكَ
بِالنَّبِيِّ قَدْ سَأَلْتُكَ

وَالعَصِي وَالغَزَارَةَ
وَكَذَاكَ هُونُ هُونِي
وَأَشْ عَلَى النَّاسِ مِنِّي
إِذْ يَخْطُرُ فِي الأَسْوَاقِ
تَلْتَفِتْ لَوْ بِالأَعْنَاقِ
وَعَكِيكَزِ وَأَقْرَاقِ
كَمَا أَنْشَأَ اللهُ مَبْنِي
وَأَشْ عَلَى النَّاسِ مِنِّي
مَا أَرْقُوا بِمَعْنِي
أَشْ نَرَاكَ تَتَبَعْنَا
يَرْحَمُوا مِنْ رَحْمَتِنَا
وَيَقُولُ دَعْنِي دَعْنِي
وَأَشْ عَلَى النَّاسِ مِنِّي
مَا يُصِيبُ إِلَّا طَيْبِ
وَقَعَالُوا يُعَيِّبُ
يَبْقَى بَرًّا مُسَيِّبِ
يَدْرِي عُذْرَ المَغْنِي
وَأَشْ عَلَى النَّاسِ مِنِّي
بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدِ
أَبِي بَكْرِ المَمَّجِدِ
وَشَهِيدِ كُلِّ مَشْهَدِ
إِذَا يَضْرِبُ مَا يِثْنِي
وَأَشْ عَلَى النَّاسِ مِنِّي
جُدْ عَلِيًّا بِتَوْبَتِهِ
وَالكِرَامِ الأَحِبِّهِ

الرجيم قد شغلني وأنا معوا في شبه
 قد ملأ قلبي وسواس^{وحه} مما هو يبغي مني
 أش عليا من الناس وأش على الناس مني
 تم وصف الشويخ في معاني نظامي
 وإني خواص ونقري لأهل فني سلامي
 وإذا جـوزوني نقل أول كلامي
 شويخ من أرض مكناس وسط الأسواق يغني
 أش عليا من الناس وأش على الناس مني

أبو مدين: أبو مدين شعيب الأندلسي التلمساني الصوفي، ممن نظموا القصائد والموشحات والأزجال، وقد مر ذكره. ومن أزجاله قوله:

أنا يا مديرا أفرام أفناني الغرام
 ويوم تراك ترتاح يا بدر التمام
 وجهك يغني عن مصباح ليلة الظلام
 قل لي كيف نطبق نصبر يا صديق
 بفضلك يا نور عيني تكون لي رفيق
 مليح الحمى قد زار وانعم بالوصال
 وروحي قد تمطر يا بدر الكمال
 بعد الغيب يا حضار طلع الهلال
 بوجه شريق تجلى كل ضيق
 بفضلك يا نور عيني تكون لي رفيق
 يا معشر الفقرا طبيبي حكيم
 أطلعني على الحضرة كان لي نديم
 سقاني مزيد خمره من خمر قديم

عمر الزجال: ذكره المقرّي في "النفح" فقال: "أديب الأندلس الفقيه عمر صاحب الأزجال، إذ هو من فرسان هذا المجال، وقد وطأ لها بنثر، وجعل الجميع مقامة ساسانية، سماها (تسريع النصال إلى مقاتل الفصال)"⁽⁹³⁾، ولم يذكر له أي زجل.

ابن الخطيب: أما ابن خلدون فقد أضاف بعض الزجالين في "المقدمة" وهم من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، منهم لسان الدين بن الخطيب الذي سبق ذكره، وذكر له ثلاثة مقاطع زجلية على طريقة الصوفية، ينحو منحى الشّستري كالزجل الذي أوله⁽⁹⁴⁾:

بين طلوع وبين نزولُ اختلطت الغزولُ
ومضى من لم يكنُ وبقي من لم يزولُ

ولسان الدين بن الخطيب اشتهر بالقصائد والموشحات أما أزجاله فلم تصل إلينا سوى ما جاء في "المقدمة" ونقله المقرّي في كتابه "نفح الطيب" الذي خصّ جزءاً منه للشاعر.

محمد بن عبد العظيم: وشاح أندلسي عاصر الوزير ابن الخطيب وهو من أهل وادي آش كان إماماً في هذه الطريقة، وله من زجل يعارض به مدغليس بقوله⁽⁹⁵⁾:

حلّ المجونُ يا أهلَ الشطارا

93 - المقرّي: نفح الطيب، 37/7.

94 - ابن خلدون: المقدمة، 409/3.

95 - المصدر نفسه، ص 410.

مذ حلت الشمس في الحمل
لا تجعلوا بينها ثمل
إليها يتخلعوا في شنبل
على خضورة ذاك النبات
وحل بغداد واجتاز النيل
أحسن عندي من ذيك الجهات
وطاقتها أصلح من أربعين ميل
إن مرت الريح عليه وجاءت
لم تلتق الغبار أمارا
ولا بمقدار ما يكتحل
وكيف ولاش فيه موضع رقاعا
إلا ونسرح فيه النحل

اللوشي: وظهر بعدهم أبو عبد الله اللوشي، وقد اشتهر بالشعر الزجلي الذي يُنظم على سائر الأوزان العربية، لكنه باللغة العامية كما يقول ابن خلدون. وكان اللوشي من المجيدين لهذه الطريقة في الأندلس، وله فيها قصيدة يمدح فيها السلطان ابن الأحمر يقول منها⁽⁹⁶⁾:

طلّ الصباح قم يا تديمي نشربو
ونضحكو من بعدما نظربو
سبيكة الفجر أحكت شفق
في ميلق الليل فقم قلبو
تري عيارها خالص أبيض نقي

96 - المصدر نفسه، ص 411.

فضة هو لكن الشفق ذهبو

نور الجفون من نورها يكسبو

فهو النهار يا صاحبي للمعاش

عيش الغني فيه بالله ما أطيبو

والليل أيضا للقبل والعناق

على سرير الوصل يتقلبو

جاد الزمان من بعدما كان بخيل

ولش ليفلت من يديه عقربو

كما جرع مرو فما قد مضى

يشرب بيننو وياكل طيبو

ابن عمير: ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فناً آخر من الشعر، في أعاريض الموشح، نظّموا فيه بلغتهم الحضرية أيضاً وسمّوه عروض البلد، وكان أول من أحدثه فيهم، حسب ابن خلدون، رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير. فنظّم قطعة بطريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذاهب الإعراب إلا قليلاً يقول منها:

أبكاني بشاطي النهر نوح الحمام

على الغصن في البستان قريب الصباح

السحر يمحو مداد الظلام

وماء الندى يجري بثغر الاقحاح

وقوله منها أيضاً:

قلت يا حمام لو خضت بحر الضنى

كنت تبكي وترثي لي بدمع هتون

ولو كان بقلبك ما بقلبي أنا
أهد ما كان يصبر تحتك فروع الغصون

اليوم نقاسي الهجر كم من سنا
حتى لا سبيل جملته تراني العيون
ومما كسا جسمي النحول والسقام
أخفاني نحوئي عن عيون اللواح
لو جنتي المنايا كان يموت في المقام
ومن مات بعد يا قوم لقد استراح

وبهذا تكون قد أوردنا أهم الشعراء الزجالين الذين ظهرُوا في بلاد الأندلس والمغرب. وهناك زجالة آخرون وصلت إلينا بعض قصائدهم التقليدية لكن لا نملك شيئاً من أزجالهم.

3 - مصادر الموشحات والأزجال:

المصادر التي تناولت الموشحات والأزجال الأندلسية متنوّعة، منها المغربية ومنها المشرقية، غير أن البعض منها ضاع، وفيما يلي أهم الكتب التي وصلت إلينا:

- المغرب في حلى المغرب، صنّفه أفراد أسرة ابن سعيد وانتهى عند علي بن موسى بن سعيد، وقد اعتمد في الكثير من الأخبار على كتاب المسهب لأبي محمد الحجاري. غير أن معظمه ضاع ولم ينشر منه إلا أجزاء قليلة. يضم الكتاب جملة من الموشحات والأزجال الأندلسية.

- المقتطف من أزاهير الطرف، لعلي بن موسى بن سعيد، الفصل الأخير من الكتاب يتحدث عن الموشحات والأزجال الأندلسية.

- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، لعلي بن

جيش التوشيح، تصنيف لسان الدين بن الخطيب، هذا الكتاب من أهم مصادر الموشحات الأندلسية، يضم توشيح ستة عشر وشاحاً أندلسياً وقد ترجم ابن الخطيب لكل هؤلاء الوشاحين.

- نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب، تأليف لسان الدين بن الخطيب، ليس في الكتاب سوى موشحتين من نظم ابن الخطيب.

- نصح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تأليف أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، ألفه في تاريخ وأدب الوزير الشاعر لسان الدين بن الخطيب، يضم الكتاب عدداً من الموشحات والأزجال للأندلسيين والمغاربة، وقد اعتمد فيه المقرئ على كتاب مدد الجيش للقشتالي.

- أزهار الرياض في أخبار عياض، تأليف أحمد بن محمد المقرئ، ترجم فيه للقاضي عياض بن موسى اليحصبي وذكر أخبار الأدباء الذين أحاطوا به. يضم الكتاب عدداً من الموشحات والأزجال لأهل الأندلس والمغرب.

- روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مُرّاكش وفاس، تأليف أحمد بن محمد المقرئ، يضم الكتاب بعض الموشحات لوشاحين مغاربة.

- العذارى المايسات في الأزجال والموشحات، وهي مختارات أندلسية ومشرقية عن سفر قديم مخطوط بالحرف المغربي وجده الشيخ فيليب الخازن في إحدى خزائن روما.

- عدة المجلس ومؤانسة الوزير والرئيس، لعلي بن بشري الفرناطي، اشتمل على أكثر من ثلاثمائة موشحة من مختلف

- دار الطراز في عمل الموشحات، تأليف أبي القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء المُلْك، يتناول الكتاب خصائص فن التوشيح، ويضم مجموعة من الموشحات الأندلسية وموشحات المؤلف نفسه، غير أن موشحات أهل المغرب لم تُنسب إلى أصحابها.

- توشيح التوشيح، لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، اعتمد فيه المؤلف على كتاب دار الطراز لابن سناء المُلْك، وهو يضم مجموعة من الموشحات المشرقية والأندلسية.

- المقدمة، لعبد الرحمن بن خلدون، يتناول الفصل الأخير من الكتاب موضوع الموشحات والأزجال وقد اعتمد فيه المؤلف على كتاب المقتطف لابن سعيد، غير أن ابن خلدون توسّع قليلاً في فن الزجل وجاء ببعض الأزجال للمتأخرين.

- عقود اللال في الموشحات والأزجال، تصنيف شمس الدين النواجي، يضم الكتاب موشحات وأزجال لمشاركة ومغاربة.

- العاطل الحالي والمرخص الغالي، لصفى الدين الحلبي، تناول فيه المؤلف خصائص الأزجال الأندلسية، كما أورد بعض الأزجال والمقطّعات لأهل الأندلس والمشرق.

- بلوغ الأمل في فن الزجل، لابن حجة الحموي، تناول فيه المؤلف خصائص الزجل الفنية، وأورد فيه بعض الأزجال إلا أنه اعتمد في تأليفه حرفياً على كتاب العاطل الحالي للحلي.

- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، تأليف ابن أبي أصيبعة، كتاب في تاريخ الطب، يضم بعض الموشحات للشعراء الأطباء.

- مدد الجيش، لعبد العزيز القشتالي، وهو ذيل على جيش

التوشيح، يضم موشحات أندلسية ومغربية وهو مخطوط.

الكواكب السبع السيارة، وهي مجموعة من الموشحات الأندلسية مجهولة المؤلف.

- نثير الجمان، لأبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر من أمراء غرناطة، وهو يضم مجموعة من الموشحات الأندلسية لأعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري.

- سفينة الملك ونفيسة الفلك، لأحمد بن مبارك شاه، تناول المؤلف الموشحات والأزجال في المجلد الرابع.

- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، يضم بعض الموشحات للأندلسيين ممن ترجم لهم الصفدي.

- فوات الوفيات، لابن شاکر الکتبي، يضم الكتاب بعض الموشحات لأندلسيين ومغاربة.

- سجع الورق المنتخبة في جمع الموشحات المنتخبة، للسخاوي، وهو كتاب جمع فيه المؤلف الموشحات الأندلسية والمشرقية منذ نشأتها حتى عصره وهو القرن التاسع الهجري.

- الدر المكنون في السبع فنون، لابن إياس، يضم الكتاب موشحات وأزجال لمغاربة ومشاركة.

- المنهل الصافي، لابن تغري بردي، يضم الكتاب مجموعة من الموشحات الأندلسية.

- الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، تصنيف محمد بن مرابط، يضم الكتاب موشحات وأزجال أهل تلمسان والأندلس، وبعض هذه الأشعار جاء مجهول المؤلف.

- الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض، لمحمد بن

زكّور، يضم موشحات أهل المغرب. www.alukah.net

- الدراري السبع الموشحات الأندلسية، لبطرس كرامة.
 - مجموع الأغاني والألحان من كلام الأندلس، تصنيف يدمون يافيل، والمصنّف كان من أعلام الموسيقيين في الجزائر.
 - الموشحات والأزجال، لجلول يّلس والحفناوي أمقران، يضم الكتاب مجموعة من الموشحات والأزجال لأهل الأندلس والمغرب.
 - الأغاني التونسية، تأليف الصادق الرزقي، يضم الكتاب مجموعة نغيسة من الموشحات والأزجال لبلاد المغرب العربي والأندلس.
 - الحائك، تصنيف محمد بن الحسين التطواني، والكتاب يضم منتخبات من موشحات وأزجال أهل المغرب.
 - ديوان الموشحات الأندلسية، جمعه سيّد مصطفى غازي وهو يضم مجمل توشيح أهل الأندلس تقريبا، مرتبة حسب العصور. وقد نشر محمد زكريا عناني مستدركا على هذا الديوان ضم موشحات أندلسية تنشر لأول مرة.
- هذه أهم المصادر المغربية والمشرقية التي تناولت الموشحات والأزجال الأندلسية بالإضافة إلى دواوين الوشاحين والزجالين التي وصلت إلينا.

1 - البناء الشعري:

أ - نظام القافية:

لم يعرف الشعر الأوربي نظام القافية إلا بعد مطلع القرن الثاني عشر الميلادي على يد الشعراء التروبادور (Troubadours). إذ لم ترد القافية في الشعر اللاتيني والإغريقي⁽¹⁾؛ وإن أوفيدوس (Ovide)، الذي يعتقد الأوربيون أن التروبادور البروفنسيين قد تأثروا بأفكاره في حبهم الكورتوازي (Amour courtois)، لم نجد في كل كتبه ولو قصيدة واحدة مقفاة على الأقل⁽²⁾.

إن رواد الأدب الروماني وعلى رأسهم هوراس (Horace)، لم يهتموا بالقافية في شعرهم، شأنهم في ذلك شأن الشعراء الإغريق الذين قيّدوا علومهم بالشعر لكنهم لم يراعوا نظام القافية في نظمهم. وإن الأمم الأوربية التي جاءت بعدهم لم تعرف هي أيضا الشعر المقفّى إلى غاية بداية القرن الثاني عشر الميلادي، وهو العصر الذي ظهرت فيه القافية لأول مرة في الشعر الأوكسيتاني (Poésie occitane) الذي نظّمه شعراء التروبادور في منطقة البروفنس (Provence) بجنوب فرنسا.

يُعد غيوم التاسع (1074 م - 1127 م) كونت بواتيه ودوق

1 - Pierre Guiraud : La versification, P.U.F., 3^e éd., Paris 1978, pp. 10 - 30.

2 - Cf. Ovide : L'art d'aimer, Paris 1924. - Id. Remèdes à l'amour, 2^e éd., Paris 1961.

أكيثانيا السابع (Guillaume IX) أول شاعر من جنوب فرنسا
أدخل نظام القافية بكل أنواعها إلى الشعر الأوربي. وبما أن الشعر
العربي قد عرف القافية قبل غيره من أشعار الأمم الأخرى، فإن
نظام القافية في الشعر الأوربي قد استورد من العرب، وكان
غيوم التاسع أول من نظم القافية الموحدة التي اشتهر بها الشعر
العربي، وذلك في ثلاث قصائد من ديوانه⁽³⁾.

طرق الشعراء البروفسيون الشعر المصروع في الكثير من
قصائدهم، وهذا النوع من النظم نجده عند العرب منذ العصر
الجاهلي. لقد نظم التروبادور برنار مارتي (Bernart Marti)
قصيدة من هذا اللون⁽⁴⁾:

Farai un vers ab son novelh
E vuelh m'en a totz querelar
Qu'a penas trobi qui m'apelh
Ni sol mi denhe l'uelh virar
Trobat m'an nesci e fadelh
Quar no sai l'aver ajustar

وترجمتها:

سأنظم أغنية بإيقاع جديد
وأريد أن ألوم فيها جميع الناس
لأنني لم أجد أحدا يكلمني

3 - انظر هذه القصائد في:

Alfred Jeanroy : Les chansons de Guillaume IX, Ed. Champion, 2^e
éd., Paris 1972, pp. 1 - 5.

4 - Ernest Hoepffner : Les poésies de Bernart Marti, Ed. Champion,
Paris 1929, pp. 19 - 20.

لأنني فقير ولم أقدر على الغنى

استخدم القافية (أ ب، أ ب، أ ب)، فجعل صدر الأبيات على قافية وعجزها على قافية أخرى وهذا النوع من الشعر يُعد من الشعر التقليدي عند الشعراء العرب في المشرق والمغرب، وهو من الأراجيز.

لقد تطرق شعراء الأوكسيتانية إلى الشعر المزدوج الذي قافيته (أ، ب، ج، س)، وقد استخدموه في القصائد التعليمية والرسائل التي تسمى (Ensenhamens)، ومن الشعر المزدوج قصيدة طويلة لأرنو دي ماراي (Arnaut de Mareuil)، وهي رسالة غرامية، يقول في أولها⁽⁵⁾:

Lo premier jorn, domna, que 'us vi,
M'entrer el cor vostr' amors si
Qu'ins en un foc m'aves assis,
C'anc no mermet, pos fon empris :
Focs d'amor es qu'art e destrenh,
Que vins ni aigua no'l destenh.

وترجمتها:

من أول يوم رأيتكم سيدتي
دخل حبكم بعمق في قلبي
لقد رميتني في نار

5 - Joseph Anglade : Anthologie des Troubadours, Paris 1953, p. 94.

لم تهدأ يوماً منذ اشتعلت

إهداء هي نار الحب التي تحرق وتخنق www.alukah.net

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

لا ماء قادر على إطفائها ولا شراب

كما استعمل هؤلاء الشعراء التسميط الشعري بكل أنواعه،
ومنه المثلث الذي جاء عندهم بأشكال مختلفة، كالقصيدة التي
نظّمها بيار دوفرن (Peire d'Auvergne) على القافية (أ ب، ج ج
ب، س س ب)، أولها⁽⁶⁾:

Cantarai d'aquestz trobadors
Que canton de maintas colors
E'l pieger cuida dir mout gen ;
Mas a cantar lor er alhors
Qu'entrametre 'n vei cent pastors,
Qu'us non sap que's mont 'o 's dissen.

وترجمتها:

سأغني عن هؤلاء التروبادور
الذين ينظمون الأغاني من كل نوع
حتى الشاعر الرديء منهم يفتخر بشعره
لكن عليه أن يغني في مكان آخر
لأنني أرى مائة راع يشتغلون مثلهم
ولا أحد منهم يدري طبيعة صوته

هذه الأشكال الشعرية التي وردت عند التروبادور، لم ترد في
الشعر الأوربي الذي سبقهم.

6 - Pierre Bec : Anthologie des Troubadours, U.G.E., Paris 1979,
p. 122.

وقد استخدم البروفنسيون ومن نظم بلغتهم القصائد المربعة والمخمسة وغيرها من الأشكال التي نجدها في المسمطات العربية والموشحات والأزجال. وفي نهاية القرن الثاني عشر الميلادي أدخل الشعراء الإيطاليون إلى الشعر الأوكسيتاني القصائد المسدّسة (Sextine) وقد اشتهر بها الشاعر صورديلو (Sordel) الذي نظم بلغة أوك (Oc). هذه الأشكال الشعرية ظهرت عند الشعراء العرب قبل ظهور الشعر الأوكسيتاني في البروفنس.

ب - بناء القصيدة:

المطلع: في الشعر الأوكسيتاني يستهل الشعراء قصائدهم بالمطلع مثلما يرد في الموشحات والأزجال عند الأندلسيين. وقد استخدم البروفنسيون مختلف الأشكال الاستهلالية، من المطلع المتكون من شطر واحد إلى المطلع المركب من عدة أشطر. كما استخدم البروفنسيون المطلع المركب من شطرين (أ أ) في بعض أشعارهم. ويرد في الشعر الأوكسيتاني المطلع المركب من ثلاثة أشطر، كما أكثر الشعراء كذلك، من المطالع المتكونة من أربعة أشطر في أشعارهم. وهذا النوع الأخير يغلب على الموشحات الأندلسية.

لقد تطرق الشعراء البروفنسيون إلى مختلف المطالع في قصائدهم، إلا أن هذه النماذج وردت عند الشعراء الأندلسيين في الموشحات والأزجال قبل عصر التروبادور.

البيت: تسمى المقطوعة الواحدة من القصيدة عند التروبادور بيتا (vers) وهي التسمية نفسها التي نجدها في الموشحات والأزجال. ترد الأبيات في الشعر الأوكسيتاني متفاوتة الأقسمة، فمنها ما جاء مركباً من أربعة أشطر مع قفل من شطر واحد، وهذا الشكل

استخدمه الأندلسيون في الأزجال. وقد استخدم البروفنسيون أيضا

البيت مع القفل المتركب من شطرين. www.alukah.net

كما نظم البروفنسيون البيت المتكون من خمسة أشطر مع قفل من شطر واحد ومنهم التروبادور سركامون (Cercamon)⁽⁷⁾. ولم يكتفوا بنظم المقطوعة ذات القفل المتكون من شطر أو من شطرين، بل نظموا الأقفال المركبة من ثلاثة وأربعة أشطر على غرار ما نجده في الشعر الأندلسي.

لقد برع الشعراء الأوكسيتانيون في القوافي ولم يكتفوا بما نقلوه عن الأندلسيين بل أضافوا أشكالاً أخرى إلى شعرهم، كما غيروا في الكثير من عناصر القصيدة. فمثلاً نجد ماركبرو (Marcabrun) ينظم الأبيات على قافية واحدة وفي كل المقطوعات، وهذا نادراً ما نصادفه عند الأندلسيين. غير أن ماركبرو قد نظم قصائد عديدة على منوال الموشحات، ومنها قصيدته المشهورة "الزرزور"⁽⁸⁾، التي جاءت مطابقة لموشحة أبي بكر الأبيض من حيث الشكل، وقد مر ذكرها.

القفل: الأقفال عند الشعراء البروفنسيين منها ما يكون عدد أشطره عدد أشطر المطلع نفسه، ومنها ما يكون عدد أشطره نصف عدد أشطر المطلع. وكان غيوم التاسع أول شاعر أوربي استخدم الأقفال في الشعر إلا أنه أحدث تغييراً طفيفاً خرج بها خروجاً

7 - نظم سركامون مرثية قافيتها (5 أ، ب، 5 ج، ب) انظر:

A. Jeanroy : Les poésies de Cercamon, Ed. Champion, Paris 1966, p. 19.

8 - André Berry : Anthologie de la poésie occitane, Stock, Paris 1979, p. 14.

قليلًا عن النماذج الأندلسية، فمن ذلك قصيدته⁽⁹⁾ التي رسم قافيتها (أ أ أ أ، ب أ ب). ومن خلالها نلاحظ أن غيوم التاسع قد أحدث بعض التغيير على القفل الأندلسي، بأن أدخل على القفل شطرا آخر قافيته من قافية أشطر البيت. والقفل يسمّى (vuelta) عند الشعراء التروبادور.

وفي الشعر الأوكسيتاني يلجأ الشعراء التروبادور إلى تفريق الأقفال عن غيرها من عناصر القصيدة بواسطة القصر أو الطول. وقد تخلو القصيدة الأوكسيتانية من المطلع وتكتفي بالأقفال، شأنها في ذلك، شأن الموشحات والأزجال الأندلسية.

ومن هذا النوع أيضا، "الفجرية" (Alba) التي تخلو من المطلع والتي تكون مقطوعاتها على رسم (أ أ ب، ج ج ج ب)، فهي تتخذ شكلا مربعا، ويعتقد جماعة من الباحثين الأوروبيين أن شعر التروبادور الأوكسيتاني قد تأثر في شكله المربع بالأشكال اللاتينية القديمة محتجين في ذلك بقطعة شعرية يتيمة كتبت في حدود القرن الثامن الميلادي على الأرجح.

غير أن الشكل المربع وُجد في أشعار العرب قبل هذا العصر، استخدمه الشعراء في الأراجيز والمسمطات. ولعل أول من ذهب بهذا النوع من النظم إلى أبعد الحدود في بلاد الأندلس هو ابن قزمان الذي جاءت أغلب أزجاله مبنية على هذا الشكل⁽¹⁰⁾.

ويُعد التروبادور غيوم التاسع أول من أدخل الشكل المربع إلى الشعر الأوكسيتاني لتأثره العميق بالأزجال الأندلسية، وهذا يتجلى في قصيدته الأخيرة المثبتة في ديوانه، والتي رسم قافيتها

9 - A. Jeanroy : Les chansons de Guillaume IX, p. 13.

10 - ابن قزمان: الديوان، زجل (3)، ص 20.

Farai un vers, don sui dolenz
Mais non serai obedienz
En Peitau ni en Lemozi
Qu'era m'en irai en eisil
En gran paor, en gran peril
En guerra laisserai mon fil
E faran li mal siei vezi

وترجمتها:

بما أن الرغبة تدفعني إلى الغناء
سأنظم قصيدة في موضوع يحزنني
أبدا لن أكون خاضعا لسيدة
لا في بواتو ولا في ليموزي
سأرحل هكذا إلى المنفى
بخوف شديد وخطر كبير
إلى الحرب، وسأترك ابني
لكنتي أخشى من جيرانه عليه

وليس صدفة إذا وجدنا بعض الشعراء البروفنسيين المحدثين قد نظموا قصائد باللغة الأوكسيتانية ذات أفضال باللغة اللاتينية، لأن هذه الطريقة أول من اخترعها، كما نعلم، الوشاحون الأندلسيون، وقد حاكاهم البروفنسيون منذ التروبادور الأول الكونت غيوم التاسع الذي كان يستخدم فقرات برمتها بلغة غير

11 - A. Jeanroy : op. cit., pp. 26 - 27.

الخرجة: تعود الشعراء البروفنسيون على تذييل قصائدهم بقفل يُسمى (finida) بمعنى الخرجة. ظهرت الخرجة لأول مرة في الموشحات ثم في الأزجال، ولم يعرف الشعر الأوربي الخرجة قبل شعراء التروبادور الذين عاصروا أشهر الوشاحين والزجالين الأندلسيين.

ترد الخرجة في الشعر الأوكسيتاني عند التروبادور بأشكال مختلفة، لكن أغلبها لم يخرج عن نطاق الشكل الأندلسي. فالخرجة عند الأندلسيين هي القفل الأخير من الموشحة أو الزجل، أما في الشعر الأوكسيتاني فقد تكون بعض الخرجات القفل الأخير من القصيدة، والبعض الآخر يأتي بعد القفل الأخير مباشرة وبالقفية نفسها.

جاءت الخرجة في القصائد الأوكسيتانية شطرا مفردا كما جاءت أيضا مركبة من عدة أطر، وهذا هو الشائع عندهم. فقد تكون الخرجة مركبة من ثلاثة وأربعة أطر. غير أن البروفنسيين لم يكتفوا بخرجة واحدة فمنهم من نظم خرجتين متتاليتين في آخر القصيدة، وهذا ما لم نره عند الأندلسيين. وكان غيوم التاسع أول من نظم القصيدة ذات الخرجتين.

إن ختم البروفنسيين قصائدهم بالخرجات ليؤكد مدى تأثير هؤلاء الشعراء الأوربيين في نظمهم بالشعراء الأندلسيين من وشاحين وزجالين. لقد تطرقت الخرجات الأوكسيتانية إلى المواضيع نفسها التي طرقها الأندلسيون في خرجاتهم، وأن الخرجات الأوكسيتانية أيضا جاءت مطابقة تماما للخرجات الأندلسية من حيث الشكل.

تُبنى القصائد الحوارية على عدد من المقطوعات، يتناوب على نظمها شاعران وهي المساجلات التي تختلف شكلا ومضمونا عن أشعار الحوار الأوربية التي سبقتها كالمأدبات وغيرها من أشعار اليونان والرومان التي تختلف عن الشعر الغنائى الأوكسيتانى.

والشرط في قصيدة المساجلة أن تكون مقطوعة الشاعر الثانى مطابقة لمقطوعة الشاعر الأول من حيث القافية والوزن وعدد الأبيات. وقد تُنظّم المساجلة في مجلس بحضور الشاعرين كما تُنظّم أيضا بالمكاتبة مقطوعة بمقطوعة، وفي أحيان أخرى، يكون الشاعر الثانى وهميا وتُنظّم القصيدة كلها من قبل شاعر واحد فقط. ففي هذه الحالة، قد لا يكون الطرف الثانى شاعرا، وقد يكون الشاعر الثانى امرأة كما قد يكون ملكا أو أميرا. ويُعد التروبادور رامبو دورانج (Raimbaut d'Orange) من أكثر الشعراء الذين نظموا المساجلات. ومن القصائد التي نظمها في هذا الموضوع، التانسو الذي كتبه بالاشتراك مع الشاعر غيرو دي بورناي، والذي أوله⁽¹²⁾:

- Era'm platz Giraut de Bornelh,
Que sapcha per c'anatz blasman,
Trobar clus ni per cal semblan,
Aisso 'm digatz.
Si tan prezat
So que vas totz es comunal,
Car adonc tuch seran egal.

12 - J. Roubaud : Les Troubadours, pp. 158 ss.

- Senher Linhaure no-m corelh,

www. Si quecs se trob'a so talan, إهداء من

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

Mas me eis volh jutjar d'aitan,

Qu'es mais amatz.

Chans e prezatz.

Qui-l fai levet evenansal,

E vos no m'o tornetz a mal.

وترجمتها:

- يعجبني يا غيرو دي بورناي

أن أعرف لماذا توبخون

الأسلوب المغلق، ولأي سبب

قل لي إذا ما كنتم

تحبذون كثيراً

ما يراه الناس عادياً

فبهذه الصفة هم متساوون.

- سيدي لينور، أنا لا أشتكي

إذا ما نظم كل حسب رغبته

لكنتي أحكم، فيما يخصني

على ما هو محبوب أكثر

الغناء وما يُرغب فيه

إذا كان الغناء مفهوماً

لا ينبغي التحامل عليه.

يرد في شعر أوك نوع آخر من شعر المحاوراة وهو

المناظرة، التي يشترك في نظمها شاعران فأكثر. وفي الشعر

الحواري، طبيعة الموضوع تلزم التفريق بين قصيدتي المساجلة

والمناظرة اللتين تتميزان بشكلهما من الأشعار الأخرى.

ظهر شعر المحاورة عند الأندلسيين قبل نشأة الشعر الأوكسيتاني وهو مستمد من شعر المساجلات والمناظرات العربي. وفي الشعر الأندلسي نجد طُرقاً مختلفة في نسج هذا النوع من الشعر، فقد يشترك في نظم القصيدة شاعران أو أكثر، وقد يكون الشاعر الثاني امرأة شاعرة، أو ملكاً أو أميراً، وقد تُنظَّم هذه القصائد في مجلس أنس، كما قد تحدث بالمكاتبة.

غير أن الشاعر الأندلسي لا يلتزم بالضرورة طريقة نظم الطرف الآخر لهذا النوع من الشعر، فقد تكون قوافي مقطوعات الشاعر الثاني مغايرة لقوافي مقطوعات الشاعر الأول، كما قد تختلف أشطر المقطوعة الواحدة عن أشطر المقطوعات الأخرى من حيث العدد. بيد أن هناك قصائد جاءت فيها مقطوعات الشاعر الثاني مطابقة لمقطوعات الشاعر الأول، ولكن أغلب شعر المحاورة عند العرب لم يكن من الموشحات والأزجال.

وقد يلتزم الشعراء في تناوبهم على النظم بشكل القصيدة المقطعية، فيتفقون على الوزن وعدد الأبيات والقافية الأساسية. ومثل هذا النظم لم يختلف عنه في شيء ما جاء به البروفنسيون إلا في الغرض. ومن ذلك الزجل الذي اجتمع على نظمهِ الإمام ابن قزمان ورفاقه⁽¹³⁾ وقد مر ذكره. هذا الزجل الذي نظمهُ جماعة من زجالي إشبيلية، والذي قافيته رسمها (أ، ب، ب، ب، أ، ج، ج، ج، أ، س، س، س، أ)، يظهر وكأنه من نظم شخص واحد، لالتزام مقطوعاته وحدة البناء والعدد. والجدير بالذكر، أن القصيدة الحوارية ظهرت عند البروفنسيين في أواخر القرن الثاني عشر

13 - ابن سعيد: المقطف من أزهير الطرف، ص 484 وما بعدها.

الميلادي. وبما أن ابن قزمان الأندلسي قد عاصر غيوم التاسع،
فمعنى ذلك أن النموذج الحوارى الحقيقى فى الشعر الأندلسى قد
سبق إلى الظهور النماذج الأوكسىتانية.

إن شعر المحاوره من مساجلات ومناظرات بين الشعراء، وهو
نوع من الشعر المقطعى الذى ظهر عند العرب قبل الموشحات
والأزجال، كان من بين الأشكال الشعرية الأخرى التى تأثر بها
الشعر الأوكسىتانى، وإن أكثر الطرق والمناسبات التى نُظِمَ فيها
هذا النوع من الشعر عند الأندلسيين قد حاكها الشعراء
البروفنسيون فى نظمهم. أما الشعر الأوربى فلم يعرف هذا النوع
من النظم قبل التروبادور. ومع ذلك، نجد هؤلاء الشعراء
البروفنسيين الذين كتبوا بلغة أوك قد هذبوا شعرهم الحوارى
تهذيباً رائعاً، ويتجلى ذلك فى التزامهم طرُقاً مُحَكَّمة فى نظمهم
هذا النوع من الشعر وتخصيصه مواضيع معيَّنة لم ترد فى الشعر
الحوارى الأندلسى.

د - الاستعمال اللغوى:

إلى جانب اللغة الأوكسىتانية أو لغة أوك التى نظم بها
التروبادور قصائدهم، استعمل بعض الشعراء مفردات أجنبية فى
شعرهم، منها ما يعود أصله إلى اللهجات الأيبيرية واللغة العربية
واللغة الإيطالية القديمة وكذلك الفرنسية. جاءت هذه المفردات
متناثرة فى ثنايا قصائدهم على غرار ما ذهب إليه ابن قزمان فى
أزجاله إذ كان يستخدم أحياناً اللفظ العجمى فى نظمهم.

ومن الشعراء من يستخدم مقطوعات كاملة بلغة أجنبية،
وكان أول من ذهب فى هذا الطريق غيوم التاسع الذى ضمَّ
قصيدته مقطوعة برمتها صَعَبَ على الدارسين تفسير معناها،

Mais que lur dis aital lati

Tarrababart

Marrababelio riben

Saramahart

يجمع الباحثون المحدثون على أن لغة هذه المقطوعة الشعرية ما هي إلا لغة عربية محرفة. لكن غيوم أراد من خلال هذه اللغة المبهمة السخرية من اللغة اللاتينية التي هي أيضا غير مفهومة في بلاده⁽¹⁵⁾. أما ابن قزمان فقد استخدم في أزجاله هو أيضا مقطوعات تكاد تكون كلها بالعجمية. ومن المؤكد أنه ورث هذه الطريقة عن الزجالين الذين سبقوه أو الوشاحين الذين كانوا يستعملون العجمية في خرجات موشحاتهم، فمن ذلك يقول ابن قزمان من زجل له⁽¹⁶⁾:

يا مُطَرَّنْ شَلْبَاطُ
تَنْ حَزِينُ تَنْ بِنَاطُ
تِرا اليَوْمِ واشْطَاطُ
لم نَذِقْ فيه غير لقيمه

لقد نظّم شعراء الأوكسيتانية بعض الأقفال بلغات أجنبية نقلًا عن الأندلسيين الذين نظّموا بعض الخرجات بالعجمية. وممن

14 - A. Jeanroy : op. cit., p. 35.

15 - للإشارة، عاش غيوم التاسع وسط عدد من الجواري العربيات اللاتي أسرهن أبوه غيوم الثامن الذي قاد الحملة الصليبية على الحاضرة الإسلامية الأندلسية بربرشتر سنة (456 هـ - 1064 م). لذا، نعتقد أن التروبادور الأول كان يعرف العربية.

16 - ابن قزمان: الديوان، زجل (10)، ص 78.

نظّموا الخرجات بالعجمية في موشحاتهم، قول يحيى السرقسطي

www.alukah.net

شبكة
الألو
www.alukah.net
خاتمة موشحة له (17):

بئس ما رام الرقيب وما سعى
كلما يبدو الحبيب بدا معا
قلما أشدو نجيب من ودعا
كذا أمي فلمولي البين إب
كذل ميت طاري سر الرقيب

استعمال العجمية عند الشعراء الأندلسيين جاء لدواع مختلفة منها الثقافية والاجتماعية، وقد تستعمل العجمية لإخفاء الأسرار عن الآخرين كما فعل السرقسطي في هذه الخرجة لما كتم السر عن الرقيب. أما الشعراء البروفنسيون فقد استعملوا الألفاظ الأجنبية عن لغتهم تقليدا للأندلسيين، بفضل الخرجات العجمية التي تأثروا بها في مواضيع شتى.

إن شعراء اللغة الأوكسيتانية ذهبوا إلى أبعد من ذلك، عندما نظّموا القصائد بأكثر من لغة أجنبية. لقد نظّم رامبو دي فاكيرو (Raimbaut de Vaqueiras) قصيدة بلغات مختلفة، منها الأوكسيتانية والإيطالية والفرنسية والغسكونية والجليقية والبرتغالية⁽¹⁸⁾. والذي ساعدهم في إتقان هذه اللغات هو كون بعضهم ترجع أصولهم إلى أمم أخرى غير الأمة البروفنسية.

استخدم التروبادور البروفنسيون ألفاظا مشتركة بينهم، استهلوا بها مقدمات قصائدهم، من بينها لفظة "رفاقي" أو "خليلي" (companho) التي تداولها أكثر من شاعر في مقدمة

17 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 155.

18 - P. Bec : Anthologie des Troubadours, p. 254.

قصيدته، وكان أول من استخدمها، الكونت غيوم التاسع الذي بدأ بها قصائده الثلاث الأولى. هذه الألفاظ المألوفة عند الشعراء الجاهليين، تعود الشعراء الأندلسيون على استخدامها في شعرهم قبل الشعراء البروفنسيين. يقول الكونت غيوم التاسع في مستهل قصيدته الثانية⁽¹⁹⁾:

Compaigno, non puosc mudar qu'eo no m'effrei
De novellas qu'ai auzidas e que vei

وترجمتها:

خليلي، لقد أقلقنتني كثيرا
هذه الأخبار التي أسمعها وأراها

وقد تشبه لفظة "رفاقي" الأوكسيتانية لفظة "صاحبي" التي انتشرت كذلك في مقدمات الشعر العربي من قصائد وموشحات، ومن ذلك يقول الوشاح ابن زُهر في مستهل موشحة له⁽²⁰⁾:

يا صاحبي، نداءً مغتبط، بصاحب
لله ما ألقاه من فقد الحباب
قلب أحاط به الهوى من كل جانب
أي قلب هائم
لا يستفيق من اللواح

لقد تعود الشعراء العرب أن يخاطبوا المرأة بصيغة المذكر، وذلك منذ العصر الجاهلي، كأن يقال لها: سيدي ومولاي وحببي، بدلاً من سيدتي ومولاتي وحببتي. وقد استخدمها

19 - A. Jeanroy : Les chansons de Guillaume IX, p. 3.

20 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 1/273.

الأندلسيون أيضا في شعرهم من موشحات وقصائد. هذه الصيغ

استلطفها البروفنسيون ونقلوها حرفيا عن الأندلسيين إجلالاً

للمرأة واحتراما لها. وكان التروبادور غيوم التاسع كونت بواتيه أول من استخدم لفظة "سيدي" في الشعر الأوكسيتاني عند مخاطبته المرأة. لقد تعودّ غيوم أن يذكر لفظة (mi dons) في بعض قصائده⁽²¹⁾ بمعنى سيدي أو مولاي، وظفها لأول مرة في الشعر الأوربي. وقد استعذبها الشعراء التروبادور واستخدموها في شعرهم الكورتوازي⁽²²⁾.

كما استخدم البروفنسيون لفظة حبيبي وصديقي عند مخاطبتهم سيداتهم في قصائدهم. وقد جاءت أشعار كثيرة من هذا النوع يخاطب فيها أصحابها سيداتهم بصيغة المذكر، على غرار ما هو شائع في الشعر العربي من قصيد وموشح وزجل. لكنه ليس كل ما جاء بصيغة المذكر عند الأندلسيين موجه إلى المرأة، لقد تغزل هؤلاء، في الكثير من الأحيان، في قصائدهم وموشحاتهم وأزجالهم بالغلمان، وهذا ما لم نعر عليه في الشعر الأوكسيتاني، وخاصة شعر الأجيال الأولى، على الرغم من أن هذا النوع من الشعر كان سائدا في عصر قدماء اليونان، وقد تحدث عنه أفلاطون⁽²³⁾، ومعنى ذلك أن الحب الذي جاء به شعراء أوك لا يمت بأي صلة إلى فلسفة قدماء اليونان.

إن العرب وصفوا المرأة بصيغ المذكر نتيجة ظروف

21 - A. Jeanroy : op. cit., pp. 22 - 23.

22 - انظر قصائد الشعراء التي تضمنت هذه اللفظة:
Jacques Roubaud : Les Troubadours, Ed. Seghers, Paris 1980, pp. 152 - 154.

23 - Platon : Le banquet, Ed. Flammarion, Paris 1964, p. 31 ss.

اجتماعية منها الخوف من تفضي السر أو الغيرة وتأثير الإسلام في أخلاق المجتمع من حيث احترام المرأة. لكن الفرد في المجتمع الأوربي، وخاصة مجتمع القرون الوسطى، لم تكن تحرجه مثل هذه الظروف، مما يدل على أن هذه الصيغ التي وردت في الشعر الأوكسيتاني عند التروبادور، هي تقليد لم يعكس مقومات المجتمع الأوربي في تلك الفترة.

2 - الموضوعات الغزلية:

أ - الحب المؤانس:

الحب المؤانس أو الكورتوازية (Courtoisie) هو الحب الذي يسمو بقيمه على أي حب فروسي آخر. هذا المفهوم يتميز بتمجيد المرأة والخضوع لها حتى وإن لم تبادل العاشق الشعور نفسه. ولهذا الأسباب أطلق الشعراء التروبادور الكورتوازيون على هذا النوع من التقديس "الحب الصافي" (Fin' amor).

ولا شك أن الحب الأوكسيتاني بدأ بطوليا أو فروسيا عند غيوم التاسع قبل أن يصبح كورتوازيا عند غيره. فالعاشق الفروسي يعمل المستحيل من أجل إرضاء سيده، لكنه ينبغي أن يلتزم بقوانين الحب إذا ما أراد أن يصبح كورتوازيا. فالقيام بالمستحيل لا يعني فعل أي شيء كان، وحب السيدة ينبغي أن يكون حبا نظيفا.

إن الحب المؤانس يظهر وكأنه عقيدة أو قانون يلتزم به الشاعر العاشق لينال رضا سيده. وهذا القانون قاس جدا، قد لا يحصل الفارس على مبتغاه إلا بالعطف والصبر. ومن مميزات هذا الحب أيضا، أن يتجنب العاشق الابتدال والإسفاف في الكلام حين

يخاطب سيدته. لكن هذا الحب يكاد يكون مقصوراً على النساء المتزوجات، أو أرامل أمراء الإقطاع. وقد ورد هذا الموضوع في الشعر العربي واشتهر به العذريون الذين لم يكتب لهم الزواج بمعشوقاتهم، ومع ذلك، ظل هؤلاء الشعراء العرب يتغزلون بهن إلى آخر أيامهم. غير أن حب العذريين لصاحباتهم بدأ قبل زواجهن. لكن الحب الأوكسيتاني قصد سيدات متزوجات من قبل أو أرامل، وهو تأويل خاطئ لا اعتقادهم أن العذريين لا يتغزلون إلا بالنساء المتزوجات.

إن الحب الكورتوازي الذي يسمو على أي رغبة أخرى، أصبح في القرون الوسطى، من ضرورات الشعر الأوكسيتاني، التزم به الشعراء مدة قرون من الزمن، وقد ذهب فريق من الدارسين إلى أن ما ورد في الشعر الأوكسيتاني نقل عن العرب في الأندلس، أما فريق آخر فأرجعه إلى أصول رومانية محتجاً في ذلك ببعض المقطوعات التي يُشير فيها بعض الشعراء إلى أفكار أوفيدوس أو يستشهدون بها. وفي الحقيقة، إن شعراء أوك لم يتعلموا فن الكورتوازية من كتب هذا المفكر الروماني، لأن تعاليمه بعيدة كل البعد عن الكورتوازية. ومن الممكن أن يكون بعض الشعراء قد أخذوا بأفكاره لكن في موضوع آخر غير الحب النبيل.

إن شعر الحب المؤانس الذي جاء به شعراء التروبادور البروفنسيون لا يعكس واقع المجتمع الأوربي في ذلك الوقت، وليس له أية صلة بالأدب الأوربي الذي سبق القرن الثاني عشر الميلادي، وإنما هو جزء من مقومات العرب، وهذا بشهادة الأوربيين أنفسهم إذ يقول الكاتب الفرنسي ستاندال (Stendhal):
"إن البحث عن نوع الحب الحقيقي وموطنه يجب أن يكون في

لقد ورد في شعر التروبادور أيضا موضوع الحب الطاهر الذي ظهر في مرحلة من مراحل تطور الكورتوازية. غير أن المتقدمين من الشعراء لم يتطرقوا إلى هذا النوع مثلما ورد عند العرب، وحتى وإن كانوا يذكرون خضوع العاشق لسيدته والتضحية من أجلها والقدرة على تحمل العذاب، إلا أنهم غالباً ما تتغلب عليهم الرغبات فيخرجون من إطار الحب النبيل إلى حب جمال المرأة ومفاتها. فالقصائد الأربع التي جسّد فيها غيوم التاسع الحب المجامل ليس فيها من العفة ما يُذكر.

يُعد برنار دي فنتادور (Bernart de Ventadorn) من بين الشعراء البروفنسيين الأوائل الذين طرّقوا باب الحب الطاهر وهو من المجددين لشعر الحب الموانس⁽²⁵⁾. فالحب الذي جاء به لا يختلف كثيراً عن الحب العذري الذي ورد عند العرب.

إن هذا الحب الذي ظهر لأول مرة عند الشعراء التروبادور في القرون الوسطى، لم نعثر عليه في كتب أوفيدديوس الذي غالباً ما يتخذه بعض الدارسين الأوروبيين مصدراً للشعر الأوكسيتاني، بل إن أفكار هذا الأديب الروماني جاءت معاكسة تماماً لهذا النوع من الحب، لقد كان يحث الرجال على التظاهر بحب المرأة من أجل المحافظة مدة أطول على مودتها⁽²⁶⁾.

لقد طرّق العرب باب الحب العفيف منذ زمن بعيد، وقد انتقل هذا اللون من الشعر إلى بلاد الأندلس ونظّم فيه الكثير من

24 - Stendhal (Henri Beyle) : De l'amour, Ed. Garnier Flammarion., Paris 1966, p. 190.

25 - A. Berry : Anthologie de la poésie occitane, p. 29.

26 - Ovide : l'Art d'aimer, L. 2, p. 42.

الشعراء. ثم انتقل إلى بلاد الإفرنج بالطرق نفسها التي انتقلت بها أغراض الشعر الأخرى من الأندلس إلى أوروبا. ومهما يكن من أمر، فإن طهارة الحب المؤانس الذي ورد في الشعر الأوكسيتاني عند التروبادور لم تسم إلى درجة العفة العربية التي يتميز بها هذا اللون من الحب عند العرب.

لكن ليس معنى ذلك أن الشعراء البروفنسيين لم يتطرقوا إلى الحب العفيف كما عرفه العرب، بل نجد البعض منهم، وخاصة المتأخرين، قد طرّقوا هذا الباب واشتهروا به. ولعل غيوم دي مونتانياغول (Guilhem de Montanhagol)، الذي كان قد نظم بعضاً من أغانيه في هجاء رجال الدين المتواطئين مع الفرنسيين، هو أول تروبادور يتطرق إلى العفاف في الشعر الأوكسيتاني، فهو لا يسمي عاشقاً "من يخدع في الحب ويدعو سيده إلى ارتكاب الخطأ، لأن العاشق الحقيقي لا يقبل المساس بشرف سيده" (27).

يرى غيوم دي مونتانياغول الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي وعاصر محاكم دواوين التفتيش أثناء الصليبية الألبيجية (Croisade albigeoise)، أن التروبادور القدامى لم يقولوا شيئاً في الحب، لأنهم لم يتطرقوا إلى العفاف. ويعتقد هذا الشاعر أنه لم يأت في شعره إلا بالجديد، ومن هذا القبيل، الحب العفيف (28). لذلك يجمع مؤرخو الشعر الأوكسيتاني على أن الحب العفيف بدأ مع غيوم دي مونتانياغول.

27 - A. Jeanroy : La poésie lyrique des Troubadours, Ed. Privat - Didier, Toulouse - Paris 1934, T. 2, p. 168.

28 - Henri - Irénée Marrou : Les Troubadours, Ed. du Seuil, Paris 1971, p. 159.

أما العرب فقد وردَ عندهم هذا الموضوع منذ الجاهلية، فالعفاف عندهم لا يتجزأ من مقوماتهم، ثم إن الإسلام أيضاً يحثّ المسلمين على العفاف، قال الله سبحانه وتعالى: "وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله"⁽²⁹⁾. لذلك نجد الشعراء العرب قد اشتهروا أكثر من غيرهم بهذا النوع من الحب وأكثروا منه في شعرهم، وقد وردَ في القصائد إلا أنه يقلّ في الموشحات والأزجال الأندلسية لارتباطها بالغناء واللهو. ولعل أكثر الشعراء الأندلسيين شهرةً بالعفاف وإكثاراً منه في شعره هو ابن فرج الجياني صاحب كتاب "الحدائق" الذي جمع فيه مختارات من الشعر⁽³⁰⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن الحب العفيف الذي ورد في الشعر الأوكسيتاني استورده التروبادور بوساطة الجونغلير من الأندلس، وكان يمثل ثورة فكرية في وجه الكنيسة، فحاربه رجال الدين وعزموا على القضاء عليه بكل الطرق الممكنة، ذلك لأنهم اعتبروه ديناً جديداً، رفع به الشعراء المرأة الأوروبية من وضعها الرديء إلى مستوى راق، يكمن في حريتها واعتبارها إنساناً لا يختلف عن الرجل من حيث حقوقه. وكانت الكنيسة لا تريد هذا التقديس والتبجيل للمرأة واعتبرت ذلك خارجاً عن تعاليمها، فحاولت صرف الشعراء تجاه السيدة العذراء، ولاحقت كل من تجرأ على القول في العفاف ونفت بعضهم، وكان غيوم دي مونتانياغول أول من نفي إلى أراغون⁽³¹⁾.

29 - سورة النور، الآية 33.

30 - انظر شعره في هذا الموضوع، الحميدي: جذوة المقتبس، ص 170.

31 - Robert Briffault : Les Troubadours et le sentiment romanique, Ed. du Chêne, Paris 1943, p. 134.

ظهر هذا النوع من الغزل لأول مرة في البروفنس على يد التروبادور وهو يسمّى أيضاً بالحب المستحيل والحب البعيد. هذا الشعر يصور هموم الفارس واشتياقه لرؤية حبيبته التي لم يرها في حياته. وكان الشاعر غيوم التاسع أول من تطرّق إلى هذا الموضوع في قصيدة من شعره بقوله (32):

Amigu' ai ieu, no sai qui s'es,
 Qu' anc non la vi, si m'ajut fes ;
 Ni' m fes que' m plassa ni que' m pes,
 Ni no m'en cau,
 Qu' anc non ac Norman ai Frances
 Dins mon ostau

وترجمتها:

عشقتُ امرأةً لا أعرفُها
 ولم أرها في حياتي أبداً
 لا أحسنتُ لي ولا أساءتُ
 وهذا لا يهمني ما دامَ
 ليس في داري أجنبي
 لا نورماني ولا فرنسي

في هذه القصيدة يقصّ علينا التروبادور غيوم التاسع كيف تعلق بحب امرأة، لكنه لم يرها أبداً، وهذا ما لم يقع في الشعر الأوربي من قبل، غير أن العرب كانوا قد تطرقوا إلى هذا الموضوع في مختلف أشعارهم. ومع ذلك، ذهب بدزولا

(Bezzola) إلى القول إن "الحبيبة المجهولة التي جاء بها الشعراء العرب هي امرأة حقيقية، في حين أن الكونت غيوم التاسع تحدّث عن امرأة خيالية"⁽³³⁾. لكن الكونت غيوم التاسع كان يتحدث عن سيدة مجهولة وليس خيالية، وربما يكون قد سمع عنها في أحد القصور فأحبها بالوصف، إذ أنه يريد أن يبعث بهذه القصيدة إلى قصر انجو (Anjou).

في الشعر الأوكسيتاني نجد أكثر من شاعر أحب بالوصف دون أن يرى حبيبته، ومنهم رامبو دورانج الذي هام بحب فتاة لمباردية، هي كونتيسة أورجل (Urgel). ثم يراها رامبو بل أحبها لما سمع عنها من أوصاف حميدة شدته إليها. وقد نظّم فيها عددا من القصائد، وصلت إليها بعضها بواسطة صديقه الجونغلير الذي يسميه "البلبل". تقول أخباره إنه أحب هذه الفتاة مدة طويلة ولم تكن له الفرصة للقائها ومات دون أن يراها⁽³⁴⁾.

ربما نسج المؤرخون قصة هذا الشاعر البروفنسي من خلال أشعاره التي لم تصل إلينا كلها. وقد يكون أحبّ فعلا هذه الكونتيسة دون أن يراها وتظّم فيها الأشعار. وربما أيضا، وهذا الأرجح، نظّم هذا اللون من الشعر تقليدا لمتقدميه، خاصة الأمير جوفري روديل والكونت غيوم التاسع، لأن الشعراء التروبادور البروفنسيين كان أكثرهم من المقلدين.

وممن اشتهروا بهذا الموضوع من التروبادور، الشاعر جوفري روديل (Jaufré Rudel) أمير بلايا الذي هام بحب

33 - Réto Roberto Bezzola : Les origines et la formation de la littérature courtoise en Occident, Ed. Champion, Paris 1944 - 1963, 2° P., T. 1, p. 163.

34 - J. Roubaud : Les Troubadours, p. 142.

كونتيسة طرابلس الشرق، ولم يرها أبدا في حياته ولكنه فعل ذلك لما كان يسمع عن أوصافها وخصالها من الحجاج العائدين من المشرق، فنظّم فيها شعرا كثيرا سماه "الحب البعيد" (Amor de lonh)، ولم يصل إلينا منه في هذا الموضوع سوى ثلاث قصائد فقط. يقول الشاعر من الأولى⁽³⁵⁾:

Nuils hom no' s meravill de mi
S'ieu am so que ja no' m veira,
Que' l cor joi d'autr' amor non ha
Mas de cela qu' ieu anc no vi,
Ni per nuill joi aitan no ri,
E no sai quals bes m'en venra, aa

وترجمتها:

لا تلوموني إذا عشقتُ
مَنْ لَمْ ترثني أبدا
فهي وحدها من يجعلني سعيدا
تلك التي لم أرها أبدا
إنني بهذا الحب مقتنعٌ
وأنا لا أعلم هل سيتحقق أم لا

ولجوفري روديل قصيدة أخرى يتذكر فيها "حب الأرض البعيدة" وقد صدرها بمقدمة في وصف الطبيعة، مطلعها⁽³⁶⁾:

Quan lo rius de la fontana
S'esclarzis, si cum far sol,

35 - A. Jeanroy : Les chansons de Jaufré Rudel, Ed. Champion, 2^e éd., Paris 1974, p. 16.

36 - Ibid., p. 3.

عندما تنساب المياه من النبع
صافية عذبة، مثلما يحدث عادة

ولعل أشهر قصائده عن "الحبيبة المجهولة" تلك التي أولها⁽³⁷⁾:

Lanquan li jorn son lonc en may
M'es belhs dous chans d'auzelhs de lonh,
E quan mi suy partitz de lay
Remembra' m d'un' amor de lonh :
Vau de talan embroncx e clis
Si que chans ni flors d'albepis
No' m platz plus que l'yverns gelatz

وترجمتها:

لما تطول الأيام في شهر مايو
يعجبني غناء العصافير البعيد
وعندما أبتعد وينقطع هذا الغناء
حينها أتذكر حبيبا بعيدا
أغدو مشغول البال مطأطأ الرأس
لا الغناء ولا أزهار الزعرور
تعجبني أكثر من الشتاء البارد

لكن عندما نقرأ المقطوعة الخامسة من هذه القصيدة حول هذا الغرض، نجد جوفري روديل قد قلّد غيوم التاسع حين تطرّق إلى هذا الموضوع، لأنه استعمل الأسلوب نفسه الذي استخدمه غيوم التاسع في قصيدته المذكورة. وهذا ما يدعو إلى القول إن

37 - Ibid., pp. 12 - 13.

ما جاء به جوفري روديل حول هذه الأميرة ما هو سوى شعر
صرف يفتقد كثيرا إلى الواقع. لقد انقطعت أخبار روديل سنة
1147 ميلادية أثناء الصليبية الثانية.

الحب بالوصف نوع من الشعر ظهر في الأندلس قبل عصر
غيوم التاسع وجوفري روديل ورامبو دورانج، وقد وردَ عند
الأندلسيين في مختلف الأشعار، من قصائد ومقطعات وأزجال
وموشحات. وأغلب الظن أن الشعراء المكثوفين هم الذين ساعدوا
على وجوده، لأن الشاعر الضيرير يُثير السؤال عندما يحب وهو لا
يرى. وفي هذا الموضوع نفسه أورد ابن حزم الأندلسي في "طوق
الحمامة" باباً في الحب بالوصف⁽³⁸⁾.

إن التغزل بالحببية المجهولة موضوع عربي خالص، يسميه
العرب "المحبة بالوصف" وقد وردَ في مختلف أنواع الشعر
الأندلسي قبل أن ينتقل إلى أوروبا ويستخدمه الشعراء التروبادور
في قصائدهم باسم "الحب المستحيل" و"الحب البعيد" و"السيدة
المجهولة"، وأن القصص التي استنتجها المؤرخون من شعر رامبو
دورانج وجوفري روديل في هذا الموضوع، تشبه إلى حد بعيد،
القصص التي عاشها شعراء الأندلس.

ولعل سعيد بن جودي الأندلسي أمير البيرة هو من أبرز
الشعراء الفرسان الذين اشتهروا بهذا الموضوع. لقد دخل ذات يوم
مدينة قرطبة، واقترب من قصر الأمير محمد بن عبد الرحمن،
فسمع جارية تغني لابنه الأمير عبد الله، اسمها جيجان (أو جان)،
كانت موصوفة في زمانها بالجمال والحسن، فهام بذكرها،

38 - ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، دار مكتبة الحياة، بيروت 1980،
ص 20.

وبحث عن اسمها، حتى اشترى جارية من قرطبة، وسماها جيجان،
لكن هذا لم يخفف من هموم حبه للجارية الأولى، التي سمعها
تغني ولم يرها، فقال فيها شعرا كثيرا ولم يبق منه سوى هذه
المقطوعة التي يقول فيها⁽³⁹⁾:

سمعي أبا أن يكونَ الرُّوحُ في بدني
فاعتاضَ قلبي منه لوعةَ الحزنِ
أعطيتُ جيجانَ رُوحِي عن تذكُّرها
هذا ولم أرها يوماً ولم ترني
فقلْ لجيجانِ يا سُولِي ويا أَمَلِي
استَوْصِ خيراً بروحِ زالٍ عن بدنِ
كأنني واسمها والدمعُ منسكبُ
من مقلتي راهبٌ صلى إلى وثنِ

لقد ذهب دوزي (Reinhart Dozy) إلى أن البيت الأخير من
هذه المقطوعة كأنه لشاعر تروبادوري، فهو ينطبق وما يحمله
التروبادور من أفكار وواجبات نحو حبيبته⁽⁴⁰⁾. غير أن الشاعر
سعيد بن جودي المتوفى سنة (284 هـ - 897 م)، قد سبق بكثير
شعراء التروبادور الذين ظهرُوا لأول مرة في البروفنس في
مطلع القرن الثاني عشر الميلادي.

ج - قصيدة الفجر:

الفجريات (Alba) موضوع غزلي يتحدث فيه الشاعر عن لقاء

39 - ابن الأبار: الحلة السيرة، 157/1 - 158. وانظر أيضا، ابن حيان: المقتبس
في تاريخ رجال الأندلس، 124/3.

40 - Reinhart Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne, Ed. Brill,
Leyde 1932, Vol. 2, p. 37.

حبيبين في ليل حالك غير أنهما يستقصران الليل ويشتكيان من
طلوع الفجر المبكر. وغالبا ما يكون معهما شخصية ثالثة، هي
الرقيب. إن فكرة استقصار الليل ترد في الشعر العربي منذ
عصوره الأولى، وهو موضوع قديم ارتبط بالغزل⁽⁴¹⁾.

استقصار العاشق لليلة الوصال وحزن الحبيبة بعد الفراق،
وشخصية المنادي، ثم يقظة الأهل (أو الرقيب أو الغيور)، أربعة
عناصر بُنيت عليها قصيدة الألبا في الشعر الأوكسيتاني، ومن
الفجريات الجميلة قصيدة غيرو دي بورناي (Guiraut de
Bornelh) التي يقول منها⁽⁴²⁾:

Bel companho, en chantan vos apel :
Non dormatz plus, qu' eu aug cantar l'auzel,
Que vai queren lo jorn per lo boscatge ;
Et ai paor que 'l gilos vos assatge ;
Et ades sera l'alba

وترجمتها:

أيها الرفيق الجميلُ إنني أناديك
لا تنمُ لقد سمعتُ العصفورَ يغني
وسياتي معهُ النهارُ عبرَ الغابةِ
فيهجم عليكم الغيورُ إن لمحكم
وقريبا سيبزغُ الفجرُ

إن هذا الموضوع الذي ظهر في الشعر العربي قبل ظهور

41 - انظر في هذا الموضوع، رائية عمر بن أبي ربيعة التي يحدثنا فيها عن قصة
وقعت له مع فتاة تدعى "نعم"، والتي مطلعها:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكرُ
غداة غد أم رائح فمهجرُ

42 - A. Berry : Anthologie de la poésie occitane, p. 41.

قسما بالهوى لذي حجرٍ ما ليل المشوق من فجرٍ
حمد الصبح ليس يطرِدُ
ما ليلي فيما أظن غدُ
صبح يا ليل إنك الأبدُ
أو تقضت قوادم النسرِ فنجوم السماء لا تسري

وقال السلطان أحمد المنصور من موشحته (44):

ولياي الشعور إذ تسري ما لنهر النهار من فجرٍ
حبذ الليل طال لي وحدي
لو تراني جعلته بُردِي
فاطمياً في خلعة الجعدي
هي ليلي أخت بني بشرٍ فأين أنت يا أبا بدرٍ
كم سقتنا أطف من طلٍ
واجتمعنا وما درى ظلي
واسترحنا من كاشح نذلٍ
رب ليل ظفرت بالبدرِ ونجوم السماء لم تدرِ

من خلال هذه الأمثلة نرى أن الأندلسيين قد استخدموا هذا الموضوع بكل خصائصه، ومن خلال تصورهم لقدوم الصبح ومحاسناتهم بعضهم بعضاً في نظم هذه الموشحات، يتبين لنا أن هذا الموضوع قديم قديم الشعر العربي، وأنهم أجادوا في تنويعه وصقل معانيه. غير أن الشعراء العرب تطرقوا أيضاً في قصائدهم

43 - ابن سعيد: المقتطف، ص 482.

44 - المقري: نفع الطيب، 297/9.

إلى موضوع الشكوى من طول الليل عند هجران الحبيب.

ولم يفتُ موضوع استقصار الليل الإمام ابن قزمان فقد وظّفه

في زجل من أزجاله الذي منه (45):

الكلام يدورُ والشرابُ يُشربُ
وأنا نَغني وهي تطربُ
وطلبتُ منها الذي يُطلبُ
هي تقولُ نعم وتمنّيني
أصبحَ الصبّاح وهو الظالمُ
لما أصبحُ ؟
قمتُ إلى غفّارتي ولم نمهلُ
قالت أن تمورُ أش تريدُ تعملُ
زولَ الغفّارهُ بعدُ وانزلُ
قلت عن ذهبٍ نمضي خليني
إن ابنَ سُميدعِ أبو القاسمِ
نريدُ نمدحُ

هذا من الأزجال القليلة التي يتغزل فيها ابن قزمان بالمرأة، وفي هذه القطعة التقى بحبيبته في الظلام، تلذذا بوصلها طول الليل إلى حين بزوغ الفجر مما أثار غضب الخليفة. فتهجمت على الصباح، متحسرة على فراق حبيبها الوشيك. ومثل هذا الزجل وغيره من النظم العربي سارت عليه قصيدة الألبا الأوكسيتانية. وكان ابن قزمان قد سبق أول من نظم قصيدة الفجر من البروفنسيين، لأن هذا الموضوع ظهر بعد جيل غيوم التاسع وسركامون وجوفري روديل وهم من معاصري أبي بكر بن

45 - ابن قزمان: الديوان، زجل (141)، ص 888.

تسمى قصيدة الفجر في الشعر الأوكسيتاني آلبا، ومما لا شك فيه، أن الشعراء التروبادور البروفنسيين قد أخذوا المصطلح من خرجات الموشحات والأزجال الأندلسية التي تضمنت هذا اللفظ بحروفه العجمية⁽⁴⁶⁾. ومن أمثلة ذلك، قول الإمام ابن قزمان في الخرجة من زجل له⁽⁴⁷⁾:

لج أنون ذيّه	آلبا آلب إيش ذا
وكذاك من عشيّه	وكذاك يدّ غدوه
وخذ أت منه ميّه	وأر يدك نقبل
وعمل بالمكرّر	شكر الله من أوفى

جاء الجزء الأول من هذه المقطوعة الزجلية بالعجمية، وهو:

Alba, alba es de luce en una día

ومعناها:

يا فجر، يا فجر، أنت من يضيء هذا النهار

وقد كرر ابن قزمان لفظة "آلبا" متلما تأتي في القصائد الأوكسيتانية.

يمكننا القول إن هذه الأمثلة التي هي قليل من كثير، قد تكون المصدر الذي استقى منه شعراء أولئك المصطلح والموضوع معا. وعلى أية حال، فإن فكرة استقصار الليل والتهجم على الصباح عند لقاء الحبيبين، موضوع يكاد ينتشر في الشعر الأندلسي وقد سبق قصيدة الألبا بقرون عدة. وإن التشابه الذي رأيناه في الشعر

46 - د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، ص 240.

47 - ابن قزمان: الديوان، زجل (82)، ص 526.

الأندلسي والأوكسيتاني لا يكمن فقط في الموضوع بل أيضا في العناصر المكونة له، إلا أن الشعراء البروفنسيين يسمون هذا النوع من الشعر "الضجرية"، في حين أطلق عليه الشعراء العرب اسم "استقصار الليل". كما أن شعراء التروبادور استخدموه في قصائد مستقلة، أما الشعراء العرب فقد يأتي عندهم ضمن مواضيع أخرى في ثنايا القصيدة.

3 - خصائص شعر الغزل:

أ - شكوى الفتاة:

لقد ورد في الشعر الأوكسيتاني عند التروبادور أمثلة كثيرة تُصور لنا المرأة وهي تبكي فراق حبيبها. ومن ذلك صور لنا ماركبرو في قصيدة حوارية بكاء الفتاة على فراق حبيبها الذي سيق إلى الحرب، لائمةً في ذلك الملك لويس السابع الذي أمر بهذه الحرب وهي الصليبية الثانية⁽⁴⁸⁾.

وفي الشعر الأندلسي أمثلة كثيرة في هذا الموضوع إلا أن الموشحات تكاد تنفرد به. وقد جعل الوشاحون الكلام على لسان الفتاة في المقطوعة الأخيرة بما فيها الخرجة من موشحاتهم. فمن ذلك قول أبي القاسم المنيشي في الخرجة⁽⁴⁹⁾:

ورب فتاة غنتُ	إذ جاءت لداره
وتشكو له إذ حنتُ	لبعد دياره
وتشدو لما أن غنتُ	بقرب مزاره
غريم أم يامم	أكن يرتاب ذويه

48 - P. Bec : Anthologie des Troubadours, p. 89.

49 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 110.

والخرجة كما نرى بعض كلماتها عجمية يلجأ إليها الوشاح لإخفاء حديث الفتاة مع أمها عن الرقباء. وقد وردت كلمة "مم" بمعنى أمي، بعامية أهل الأندلس وعجميتهم أيضا. وبالطريقة نفسها ورد هذا الموضوع عند عدد من الوشاحين الأندلسيين⁽⁵⁰⁾ وكأنهم كانوا يحاكون بعضهم بعضا في هذا الموضوع، لأنهم اتفقوا على طريقة واحدة في الحديث عن شكوى الفتاة.

لقد ورد هذا الموضوع أيضا في بعض الأزجال، ومن ذلك قول ابن قزمان في الخرجة من زجل له⁽⁵¹⁾:

ولد علي إذ نقول الأبيات
في ذا الطريقه
صبيّه مليحه قد غنات
غنّه رشيقه
غنات ولم يفتضح من سمات
على الحقيقه
عشقت ممّا أذ أشت الجاري
على الخُمّاري

ولم يختلف ابن قزمان عن الوشاحين في توظيف بعض الألفاظ العجمية في هذا الموضوع عند مخاطبة الفتاة أمها، فهي تناديا "ممّا" بالعجمية، كما تشير إلى محبوبها بالإشارة العجمية "إذ أشت" بمعنى هذا، حتى لا يفتضح من سمات كما قال

50 - انظر هذه الموشحات في جيش التوشيح، الصفحات 77 و 78 و 146 و 152 و 184 و 222.

51 - ابن قزمان: الديوان، زجل (76)، ص 490.

ابن قزمان الذي نقل هذا الموضوع من خرجات الموشحات.

إن هذا الموضوع أصيل في الشعر الأندلسي، وقد ورد في الموشحات وفي الأزجال. أما هذه الخرجات فقد كانت تغنيها الفتيات رفقة العود في مجالس الأندلس التي كانت تقام في قصور المسلمين وفي قصور النصارى أيضا بشمال الأندلس. وهذا من جملة الأسباب التي أدت إلى انتقال هذا الموضوع إلى ما وراء البرانس فتناوله الشعراء التروبادور في قصائدهم وتناقله الذين جاءوا من بعدهم من شعراء اللغة الأوكسيانية⁽⁵²⁾.

ب - الشخصون:

الرقيب هو حارس المعشوقة الذي يمنعها من أي اتصال خارجي مما يصعب من مهمة الفارس العاشق الذي يطمح إلى لقاءها. فيقظة الرقيب تزيد من غبن العاشق وشوقه لا سيما بعد استحالة اللقاء. مثل هذه الشخصية حتمتها تقاليد القبيلة في المجتمع العربي القديم حينذاك. وقد تبناها شعراء اللغة الأوكسيانية ووظفوها في شعرهم، ومنهم التروبادور غيوم التاسع كونت بواتيه الذي يحدثنا في قصيدة من قصائد اللهو عن شكوى امرأة من رقبائها⁽⁵³⁾.

في هذه القصيدة التي خصها غيوم التاسع لرقباء الحب، يحاول الدفاع عن السيدة ناصحا رقباءها أن يتخلوا عن فكرتهم، وعدم إرغامها على شيء لا يرضيها مما ينافي قوانين الحب. غير

52 - راجع في هذا المجال:

Juan Luis Alborg : Historia de la literatura española, Ed. Gredos, 2ª ed., Madrid 1981, p. 93.

53 - A. Jeanroy : Les chansons de Guillaume IX, p. 3.

أن هؤلاء الرقباء لم يكونوا قد سمعوا بهذه القوانين من قبل، وربما يندهشون لهذه الفكرة التي جاء بها هذا الشاعر المتمرد. لأن الكونت غيوم التاسع يكون قد نقل هذه الفكرة من خرجات الموشحات الأندلسية التي تحدثت عن شكوى الفتاة العاشقة، إما من فراق الحبيب أو من مضايقة رقيب الحب لها وتشديده الحصار عليها. وقد يأتي في الموشحات موضوع شكوى العاشق عندما يحجب عنه الرقباء حبيبته، كما ورد في موشحة من موشحات أبي القاسم المنيشي⁽⁵⁴⁾.

تكاد الموشحات والأزجال لا تفارقها شخصية الرقيب، وكأن من غيره لا يحلو الحديث عن الحب، لذلك نجد الوشاحين والزجالين قد تطرقوا إلى هذا الموضوع كلما تحدثوا عن همومهم وأشواقهم إلى حبيباتهم.

وقد تطرق شعراء اللغة الأوكسيتانية أيضا إلى الوشاة والعدال والحساد، ذكروهم في قصائدهم وتحدثوا عما يسببونه من متاعب للعشاق، فهم في نظر الشعراء أداة التفريق بين الحبيبين يجب الاحتراس منهم وعدم تصديقهم. فغالبا ما يلوم العاشق حبيبته على تصديقها كلام الرقباء والوشاة والعدال. إن شخوص الوشاة والعدال موضوع ينتشر انتشارا واسعا في الشعر العربي من قصائد وموشحات وأزجال، وإن ما جاء به الشعراء التروبادور ذكره قبلهم الأندلسيون في أشعارهم: وشاة يفرقون بين الأحباب، التوسل إلى الحبيبة للعدول عن موقفها وعدم تصديق أقوال الرقباء.

أما برنار مارتى (Bernart Marti)، فهو لا يرى فرقا ما بين

54 - انظر موشحته، لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 111.

هذه الفئة من الأشخاص والكفار، فكلاهما لا يدخل الجنة، فهو
يتمنى لهم الجحيم لأنهم فرّقوه عن سيده⁽⁵⁵⁾. وكان ابن قزمان
أيضا يتمنى كل المصائب للرقيب كما يتمنى له أن يموت غير
مسلم حتى يدخل نار جهنم⁽⁵⁶⁾.

أورد ابن حزم في "الطوق" أبوابا في هذا المجال، منها "باب
العاذل" و"باب الرقيب" و"باب الواشي"، ولا يستبعد أن يكون
شعراء لغة أوك الأوائل قد ألموا بهذه المضامين التي جاء بها ابن
حزم في كتابه.

إن نظرة كل من الأوربيين والأندلسيين لم تختلف تجاه
شخوص الرقيب والعاذل والواشي والحسود وغيرهم من أعداء
الحب، إلا أن هذه الشخوص وردت عند العرب قبل ظهور حركة
التروادور.

ج - السر والكتمان:

إن شرف المرأة ومكانتها في المجتمع يحتّم على العاشق ألا
يتحدث عنها إلا بألفاظ متسترة، وفي هذا الظرف، يعرض الشاعر
عن ذكر اسم سيده، لكنه يشير إليه بكنية ملغزة، تسمى
(senhal) بمعنى الإشارة أو الرمز. ومن ذلك "الفارس الجميل"
و"الجار الطيب" و"مولاي" وغيرها. هذه التسميات جعلها مذكرة،
وكان هؤلاء الشعراء يخاطبون رجالاً عظاما لا نساء.

كان غيوم التاسع أول شاعر استخدم في الشعر
الأوكسيتاني، الألفاظ الملغزة لمخاطبة سيده، فهو يسميها

55 - Ernest Hœpffner : Les poésies de Bernart Marti, Ed.
Champion, Paris 1929, p. 31.

56 - ابن قزمان: الديوان، زجل (9)، ص 60.

بالجار الطيب⁽⁵⁷⁾. أما رامبو دي فاكيرا فهو يلقب سيدته

بالفارس الجميل⁽⁵⁸⁾. شبكة الألوكة www.alukah.net

إن الغرض من هذه الألفاظ هو التكتّم على اسم السيدة الحقيقي؛ وقد ذهب ألفريد جانروا (Alfred Jeanroy) إلى القول بأن هذا الاستخدام لم يظهر، حسب علمه، في أي أدب⁽⁵⁹⁾. ونحن نتفق مع جانروا على أساس أن فكرة التكتّم على السيدة لم تظهر قبل حركة التروبادور، لكن في الشعر الأوربي، أما في الشعر العربي فقد ظهرت منذ العصر الجاهلي.

لقد تكتّم الأندلسيون عن اسم الحبيبة في شعرهم كما لقبوها بأسماء غير حقيقية، فمن ذلك ما أورده ابن بسّام في كتاب "الذخيرة" عن الشاعر ابن الحدّاد (ت 480 هـ - 1087 م)، قائلاً: "وكان أبو عبد الله قد مُني في صباه بصبيبة نصرانية، ذهبت بلبه كل مذهب، وركب إليها أصعب مركب، فصرف نحوها وجه رضاه، وحكمها في رأيه وهواه، وكان يسمّيها نُويرة كما فعله الشعراء الظرفاء قديماً في الكناية عن أحبوه، وتغيير اسم من علقوه"⁽⁶⁰⁾.

إن الشعراء العرب قديماً، بشهادة ابن بسّام، كانوا يكتّمون عن أحبّون، وقد قلّدهم ابن الحدّاد الذي عاش قبل شعراء لغة أوك، مما يدل على أن ما جاء به التروبادور والذين جاءوا من بعدهم قد نقلوه عن عرب الأندلس الذين استخدموا هذا الأسلوب، ومنهم ابن زُهر الأندلسي الذي كان يتستر على حبيبه خوفاً من الواشي

57 - A. Jeanroy : Les chansons de Guillaume IX, p. 26.

58 - A. Berry : Anthologie de la poésie occitane, p. 52.

59 - A. Jeanroy : La poésie lyrique des Troubadours, T. 1, p. 317.

60 - ابن بسّام: الذخيرة، 693/2.

خوفٍ واشٍ رقيبٍ
أنت تدري الذي بي
خانته الاضطبارُ

لا أسمى حبيبي
يا عليم الغيوبِ
قلبي المستطارُ

فياحا

أما ابن قزمان فهو لا يتجرأ على ذكر اسم محبوبه على الرغم من أن هذه الحالة لا تريحه فيقول من زجل⁽⁶²⁾:

ما أنا فيه منشوبُ
هبطت للعرقوبُ
اسم هذا المحبوبُ
عشق من لا يذكرُ

ذا الهوى قد ألقى
في دماغي كيّه
لس نجراً نذكر
وأمر الأشياء

استخدم شعراء الأوكسيتانية موضوع السر للتستر على العلاقات التي تربطهم بسيداتهم وعدم البوح بها مهما كلفتهم الظروف، وغالبا ما تكون المرأة هي التي تخشى فشو السر، فيؤكد لها الفارس أنه كتوم. ولا تختلف معاني السر والكتمان في الشعر الأوكسيتاني عما ورد في الشعر الأندلسي من قصائد وموشحات وأزجال، غير أن الشاعر الأندلسي غالبا ما يحدثنا عن دموعه التي تفضحه من جراء قسوة حبيبته وهجرانها، وهذا الأعمى التطيلي يقرر ألا يكتم الحب بعد أن نفذ صبره، فيقول في نهاية موشحة له⁽⁶³⁾:

لولاك لم تدري ما الهونُ

رفقا بنفسٍ أبيه

61 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 198.

62 - ابن قزمان: الديوان، زجل (107)، ص 716.

63 - الأعمى التطيلي: الديوان، ص 259.

تدعوك وهي دريّه كما دعا الله ذا النون
لا أكرم الحب بعد واحة قد ضقت ذرعاً بكتمه
لا رقّ لي من أودّ إن لم أصرح عن اسمه
قل للرقيب سأشدو برده أو برغمه

وقد أفرد ابن حزم في كتابه "طوق الحمامة" حديثاً عن هذا الموضوع سمّاه "باب طي السر"⁽⁶⁴⁾. وقد استخدمه الشعراء البروفنسيون في شعرهم بطريقة شديدة الشبه بما ورد عند الشعراء الأندلسيين.

د - الخضوع والطاعة:

ما يثير الاستغراب في الشعر الأوكسيتاني هو أن يخضع رجل القرون الوسطى للمرأة ويكنّ لها كل الطاعة ويستسلم لها من أجل الحب، بل ويخدمها كما يخدم العبد سيده في حين أن تاريخ المجتمع الأوربي، في تلك الفترة، يكشف عما يخالف ذلك، إذ كانت المرأة تعد من أحقر المخلوقات، وغالبا ما يضربها الرجل لأبسط الأسباب.

وكان التروبادور غيوم التاسع، مع أنه كونت ودوق، أول من دعا إلى الخضوع (obediencia) للسيدة وطاعتها مقابل الرضا، لأن الخضوع هو صفة من صفات الحب الفروسي. لكن هل يعقل أن يسمح رجل بروفنسي، ذو سلطان وجاه، لنفسه أن يخدم امرأة ويطيعها، خاصة في القرون الوسطى، مثلما ذهب إليه الكونت غيوم التاسع في أشعاره. فكل الدلائل بيّنت أن فكرة هذا الشاعر التروبادوري لا علاقة لها بواقع المجتمع البروفنسي.

64 - ابن حزم: طوق الحمامة، ص 36.

خضوع العاشق لسيدته، فكرة استعذبها الشعراء وجادلوا بها

الأمراء والملوك لإرغامهم على تبني هذا المذهب على حساب سلطانهم. وكان التروبادور قد عابوا على الملوك استخدام قوتهم وعظمة سلطانهم لإخضاع النساء. وأن هذا الموضوع لم يخترعه الشاعر غيوم التاسع وإنما استقاه من الشعر الأندلسي، لأن خضوع الأمراء والملوك للمحبوبة فكرة وردت في الشعر الأندلسي قبل ظهور حركة شعراء التروبادور⁽⁶⁵⁾.

إن طاعة الحبيبة والاستسلام لها، فكرة ليست أصيلة في الشعر الأوربي، ولم يرثها شعراء التروبادور من كتب أوفيدوس مثلما ذهب فريق من الدارسين الأوربيين، بل أخذوها عن العرب الذين عرفوا هذا الموضوع قبل ظهور الشعر الأوكسيتاني. لم يطرح أوفيدوس المواقف الفروسية كما أوردها شعراء أوك في قصائدهم، فكل ما جاء به هذا المفكر الروماني هو نصائح للعشاق من أجل مخادعة الآخرين والاستحواذ على مودتهم⁽⁶⁶⁾.

وهذا ليس مما قلده الشعراء التروبادور، لأنهم لم يقصدوا ما ذهب إليه أوفيدوس الروماني، بل جاءت صورهم مطابقة تماما لما جاء في الشعر الأندلسي. ومن النماذج الرائعة في هذا الموضوع الذي يجسد طاعة العاشق لحبيبتة ما جاء به ابن زيدون في هذه المقطعة إذ يقول⁽⁶⁷⁾:

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع
سر إذا ذاعت الأسرار لم يذع

65 - انظر شعرا في هذا الموضوع للحكم بن هشام، في: أخبار مجموعة، ص 134.
66 - Ovide : l'Art d'aimer, L. 2, p. 39.

67 - ابن بسام: الذخيرة، 371/1.

يا بائعاً حظّه مني ولو بذلتُ

إهداء من شبكة لي الحياة بحظي منه لم أبع

شبكة
الألوّة
www.shabka.net

يكفيك أنك إن حملت قلبي ما

لا تستطيع قلوب الناس يستطع

ته أحتمل واستطل أصبر وعزّ أهن

وولّ أقبل، وقلّ أسمع ومُرّ أطع

إن فكرة الخضوع والطاعة والاستسلام للمعشوقة التي وردت في الأمثلة لم تكن كل ما يلتزم به العاشق تجاه سيده، إذ هناك من ذهب إلى أكثر من ذلك حينما وضع نفسه في مرتبة الخادم، بل ويعترف بأنه عبد لسيدته يخدمها مثلما يخدم العبد سيده.

وقد وظّف الزجالون أيضاً هذه الفكرة في شعرهم وعبروا عنها بلغتهم الزجلية، ومنهم ابن قزمان الذي يرى ما من أحد يستحق أن يكون عبداً للحبيب إلا الشاعر والكاتب⁽⁶⁸⁾. وهذا ما ذهب إليه أيضاً شعراء الأوكسيتانية حين نراهم يفتخرون بخدمتهم لسيداتهم عند تطرقهم إلى هذا الموضوع. لكن هذه الفكرة لم تكن سوى تقليد بحث عندهم لأنها لا تعكس عادات ومقومات المجتمع البروفنسي في ذلك الوقت، بل وجدت قبل ذلك في الشعر الأندلسي، ثم اقتبسها الشعراء التروبادور⁽⁶⁹⁾.

لقد عبر الأوربيون عن هذه الفكرة بلفظة الخادم، بمعنى أن العاشق يخدم سيده مثلما يخدم الفرسان والعبيد رجال الإقطاع والأمراء في العصور الوسطى، وما ذهب التروبادور إلى هذا

68 - ابن قزمان: الديوان، زجل (2)، ص 16.

69 - René Nelli : l'Erotique des Troubadours, U.G.E., Paris 1974, T. 1, p. 104.

أما العرب فقد عبّروا عن هذه الفكرة بلفظة العبد، وهي تختلف عن لفظة الخادم عند الأوربيين، بمعنى أن العاشق يكون ملكاً للمعشوقة وعبداً لها، تماماً كما يفعل السلاطين والملوك الذين اشتهروا بجمع العبيد من غلمان وجوار، وكأن الشعراء أرادوا من خلال مذهبهم، السخرية من هؤلاء الملوك حين سمحوا للضعفاء مثل النساء أن يستعبدوهم.

هـ - الوفاء والتضحية:

في الشعر الأوكسيتاني يعاهد العاشق محبوبته على الإخلاص في حبه ويقسم لها بأنه سيظل وفياً لها مهما كان الثمن ولن يبدل بها أخرى حتى وإن تمادت في تمنعها. وفي علمنا أن فكرة العهد والوفاء للحبيبة والإخلاص لها، لم يرثها الشعر الأوكسيتاني عن الشعر الأوربي القديم بل ظهرت لأول مرة مع ظهور حركة التروبادور، وأن الذين كتبوا عن الحب من الأوربيين قبل عصر التروبادور لم يذهبوا إلى هذا الموضوع بل منهم من ذهب إلى عكس ذلك، فأوفيدوس مثلاً في كتابه "فن الحب" تجده يعلم الناس كيف يتخلصون من حبهم الأول من أجل حب جديد⁽⁷⁰⁾.

أما العرب فقد ذكروا هذا الموضوع في كتبهم وأثنوا عليه، ومنهم ابن حزم الأندلسي الذي أفرد باباً لهذا الغرض في كتابه "طوق الحمامة"، سمّاه "باب الوفاء"⁽⁷¹⁾. وقد صور لنا الشعراء

70 - Ovide : Remèdes à l'amour, pp. 26 - 27.

71 - ابن حزم: طوق الحمامة، ص 78.

القدامى ضروبا من الوفاء لم يسبق لها مثيل في أشعار الأمم، فمن

www.alukah.net

ذلك قول الشاعر أبي تمام الطائي:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى

وحنينه أبدا لأول منزل

وقال عنترة العبسي في هذا المعنى أيضا (72):

لو كان قلبي معي ما اخترت غيركم

ولا رضيت سواكم في الهوى بدلا

لكنه راغب فيمن يعذب به

فليس يقبل لوما ولا عدلا

ثم انتقل هذا الموضوع إلى الأندلس وتناقله الشعراء في قصائدهم وموشحاتهم وأزجالهم، يخلصون لحبيباتهم ويعاهدونهن بالحب الأول والأخير. فمن ذلك قول الشاعر ابن رُحيم الأندلسي من إحدى موشحاته (73):

يا شادنا أحوى رفعت أمري

إليك والشكوى عنوان صبري

لا تخشى أن أهوى سواك عمري

أنت اقتراحي من الملاح

أغنى عن التبراس ضوء الصباح

عُرف المجتمع البروفنسي، في العصور الوسطى، بكثرة

72 - انظر، علي بن سعيد: المرقصات والمطربات، بيروت 1973، ص 224.

73 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 172 وما بعدها.

الطلاق، وكان الدافع الأكثر غلبة في ذلك، يقول جوزيف أنغلاد (J. Anglade): "هو التخلص من الزواج الأول من أجل علاقة جديدة أكثر ربحاً ونفعاً"⁽⁷⁴⁾. وذهب ستانداُل إلى أن "المساواة بين المرأة والرجل عند العرب هي التي دفعتهم إلى الوفاء للعهد واحترام المرأة، في حين أن هذه المساواة منعدمة في الغرب، والمرأة المهجورة تبقى دائماً تعيسة"⁽⁷⁵⁾. وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على أن فكرة الوفاء غريبة عن المجتمع البروفنسي في ذلك الوقت، وأن العرب قد تطرقوا إلى موضوع الوفاء في شعرهم قبل غيرهم.

لكن العرب لم يقرّوا المساواة بين المرأة والرجل إلا بعد ظهور الإسلام، ومع ذلك فإن هذا الموضوع وردّ في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي. ومعنى ذلك، أن الوفاء جزء من تقاليد العرب وليس مصدره المساواة بين المرأة والرجل فقط.

ويحدث في الشعر الأوكسيتاني أن يضحّي العاشق بكل ما يملك من أجل الحفاظ على حبه تجاه سيدته بل وبإمكانه الموت شهيداً من أجلها. وكان جوفري روديل قد هام بحب أميرة طرابلس الشرق ولم يرها قط، ومع ذلك فهو يصرّح في إحدى قصائده بأنه مستعد لأي تضحية من أجل رؤيتها حتى وإن كان ذلك الأسر عند المسلمين⁽⁷⁶⁾.

أصعب ما يكون هو أن يضحّي الإنسان بحياته من أجل الحب، لكن هل يُعقل أن يحدث مثل هذه الظاهرة في مجتمع يسوده

74 - Joseph Anglade : Les Troubadours, Armand Colin, Paris 1908, p. 198.

75 - Stendhal : De l'amour, p. 291.

76 - A. Jeanroy : Les chansons de Jaufré Rudel, p. 14.

الصراع المادي من أجل التملك كالمجتمع البروفنسي في القرون الوسطى؟ لقد تحدث بعض الشعراء البروفنسيين عن الاستشهاد في سبيل الحب والحببية. لكن أوروبا في ذلك الوقت لم تكن تعرف معنى الشهادة حتى في حروبها المقدسة.

ظاهرة التضحية من أجل الحببية والاستشهاد في سبيل الحب موضوع عريق في الأدب العربي، وإن قصص العذريين الذين استشهدوا من أجل الحب لتبرز جليا هذا المضمون وأصالته العربية الإسلامية. ولم تخلُ عصور العرب الأدبية من هذا الغرض أبدا. فلقد تطرَّق الأندلسيون إلى هذه الفكرة وعبروا عنها في أشعارهم من قصائد وموشحات.

لم يكن الأوربيون قبل التروبادور يفهمون معنى الشهادة في سبيل الحب، لأن هذه الفكرة لم ترد في شعرهم القديم ولا في كتب فلاسفتهم. ولذلك، نرى أن نظرية التضحية من أجل الحب هي عربية الأصل، انتقلت عن طريق الأندلس إلى التروبادور الذين وظفوها في شعرهم. لكن هؤلاء الشعراء لم يعطوا معنى الشهادة حقه، بل استخدموه حتى في قصائد الحب الماجن.

4 - وصف الطبيعة:

جاء موضوع الطبيعة في الشعر الأوكسيتاني متصلا بغرض الحب، ولم يتميز بضم شعري قائم بذاته في عهد التروبادور، إلا عند المتأخرين في عصر النهضة الأوكسيتانية. وقد استهل أغلب الشعراء قصائدهم الغزلية بمقدمات رباعية. فكانهم لا يشعرون بالحب إلا في فصل الربيع ولا يحلو لهم الغناء إلا مع تغريد العصافير، وهذا أرنو دانيال (Arnaut Daniel) يقارن بين تغزل

العصافير وتغزل الأدميين فلا يجد فرقا إذ يقول⁽⁷⁷⁾:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

Doutz brais e critz

Lais e cantars e voutas

Aug des auzels q'en lur latin fant precz

Qecs ab sa par atressi cum nos fam

A las amigas en cui entendem

E doncas ieu q'en la gensor entendi

Dei far chansson sobre totz de bell' obra

Que no' i aia fals ni rim' estrampa

وترجمتها:

إني أسمع أصواتا وصياحا

والحانا، وأغان، وأنغاما

من العصافير، بمختلف اللهجات

كلّ يخاطب حبيبته، مثلما

ن فعل نحن مع من نحب

وأنا أيضا، لأنني أحب أفضل سيدة

لذلك، سأنظم أغنية جيدة

بقواف متجاوبة خالية من الشوائب

من خلال هذه القطعة نرى أن الشاعر لم يحد عن الشعراء الأندلسيين وبقية الشعراء العرب الذين شبهوا غزلهم بغزل الحمام عندما يتطرقون إلى هديل القمري. وفي الشعر الأوكسيتاني غالبا ما تكون أغاني العصافير من الأسباب التي تدفع الشاعر إلى نظم قصيدته، وهذا جوفري روديل لا يغني إلا على أنغام البليل

77 - J. Roubaud : Les Troubadours, p. 232.

Quant lo rius de la fontana
S'esclarzis, si cum far sol,
E par la flors aigentina,
E'l rossinholetz el ram
Volf e refranh ez aplan
Son dous chantar et afina,
Dreitz es qu' ieu lo mieu refranha

وترجمتها:

عندما تنساب المياه من النبع
صافية عذبة، مثلما يحدث عادة
ويتفتح زهر النسرين في الربيع
والبلبل فوق الغصن يغرّد ألحانا
عذبة ومنسجمة، ثم يُعيدها
ويُغيّرُها من حين إلى آخر
عليّ أن أُغيّر أنا أيضا أغنيتي

أما في الشعر الأندلسي فإن موضوع الربيع قد يقترن
بأغراض أخرى كالحب والخمر والوصف، وقد يأتي مستقلا. إلا
أن ما جاء منه مقترنا بالغزل ينتشر انتشارا واسعا في الموشحات؛
فالشاعر يستلهم محاسن حبيبته من جمال الطبيعة. وهناك أمثلة
كثيرة في الموشحات لم يختلف عنها شعر أوك في هذا
الموضوع، فمن ذلك قول ابن سهل الإشبيلي⁽⁷⁹⁾:

78 - A. Jeanroy : Les chansons de Jaufré Rudel, pp. 3 - 4.

79 - ابن سهل الأندلسي: الديوان، ص 344.

وقال أبو بكر بن قزمان من زجل في الموضوع⁽⁸⁰⁾ :

لا نزاه إلا في الواد والنشم والخضر والدل
وأنا مع المليحه تشرب والطير تؤنول

ومن خلال بعض الأمثلة في الشعر الأوربي والأندلسي، يتبين أن الشعراء قد اتفقوا على أن الحب لا يحلو إلا مع الربيع وتغريد العصافير وخاصة البلبل الذي عرفه الشعر العربي قبل ظهور شعر التروبادور. غير أن شعراء أوك لم يتمكنوا من تشخيص عناصر الطبيعة الجامدة والحية مثلما فعله الأندلسيون في أشعارهم.

ولما كانت المرأة صورة من محاسن الطبيعة، كانت المناظر الطبيعية الفاتنة تذكر العاشق بحبيبته وتبعث في نفسه حنين الوصل. وهذا مما جعل الشاعر يستهل قصائده الغزلية بمقدمات في وصف الطبيعة. وإذا كان هذا الموضوع قد اقتصر على الرجال في الشعر الأندلسي، فإنه في الشعر الأوكسيتاني قد تطرق إليه الشواعر أيضا، فمن ذلك قول بعض الشاعرات وهي تذكر أزهار الرمان⁽⁸¹⁾ :

Quan vei los praz verdesir
E pareis la flors granada
Adoncas pens e conssir
D'amors qu' aissi m'a lograda
Per un pauc non m'a tuada

80 - ابن قزمان: الديوان، زجل (28)، ص 200.

81 - J. Roubaud : Les Troubadours, p. 328.

لما أرى الحقول خضراء
وأزهار الجلتار
أفكر في نفسي
وفي الحب الذي يغمرني
لقد قتلني تماما

أما ابن قزمان فقد يذهب عكس ذلك، عندما يذكره الحبيب بالنروس (الربيع) فيقول في الخرجة من زجل له⁽⁸²⁾:

الرمح بالله يا حي	لقلبي إن نسيك
فانت هو حياتي	لس نضرح إلا بيك
وإن تريد نزاه	نزहत عيني فيك
أنا نراك أمامي	ونذكر النروس

إن بعض النماذج التي وردت في الشعر الأوكسيتاني، وخاصة عند القدامى الذين ولعوا بنظم القصائد الغرامية، تشبه في الكثير من خصائصها هذا الزجل. لقد كانت مفاتن الطبيعة عاملا من العوامل التي تحضّهم على الاستمرار في هذا الحب والتفنن فيه، وكان غيوم التاسع أول تروبادور استهل قصائده الغزلية بمقدمات ربيعية، ولم يختلف عن ابن قزمان في خصامه مع رجال الدين بسبب إفراطه في اللهو والمجون.

وإذا كان البروفنسيون قد تغنّوا بالربيع ومحاسن الطبيعة، باعتبار هذا الفصل مبعثا للحب والسرور عندهم، فإن نظرتهم إلى الحب قد تتغير في الشتاء، لأن هذا الفصل في نظر بعضهم، لا

82 - ابن قزمان: الديوان، زجل (17)، ص 124.

يشجع على الغناء وليس ملائما للحب بل يزيد من أحزانهم عندما
لا يرون أزهارا على الأشجار ولا يسمعون أغاريد الطيور. وعلى
غرار موضوع الربيع الذي افتتحوا به قصائدهم، استهلوا أشعارهم
أيضا بمقدمات خريفية أو شتوية للدلالة على التشاؤم والأحزان.
ففي هذا المعنى تقول الشاعرة أزاليس دي بوركيراغ (Azalaïs
de Porcairagues) من إحدى قصائدها⁽⁸³⁾:

Ar em al freg temps vengut,
Que' l gels e'l neus e la fanha,
E l'aucelet estan mut,
Qu' us de cantar non s'afanha ;
E son sec li ram pels plais,
Que flors ni folha no' i nais,
Ni rossinhols non i crida
Que la en mai me reissida

وترجمتها:

ها نحن الآن وصلنا إلى أيام البرد
مع الصقيع والثلج والوحل
لقد صمتت العصافير
ولم ترغب في الغناء
وجفت أغصان الأشجار
ولم تظهر عليها الأنوار
وانقطع البلبل عن التغريد
الذي كان يوقظني في شهر مايو

83 - P. Bec : Anthologie des Troubadours, p. 161.

أما التروبادور رامبو دورانج، فعلى الرغم من قساوة فصل

الشتاء البارد وما يسببه من ضيق وأحزان في نفسه، فإنه لا يستسلم ولا يتخلّى أبداً عن الحب، إذ يقول⁽⁸⁴⁾:

E quant s'embla 'l foill del fraisse
E'l ram s'entressecon pel som
Que per la rusca no' i poja
La dotz 'umors de la saba
E' ill aucel son de cisclar mut
Pel freit que par que 'ls destrenga
Mas ges per aitant no' m remut
Que 'l cor no 'm traia fait de drut

وترجمتها:

انفصلت الأوراق عن شجر الدردار
وجفت الأغصان في الأعلى
ولم تعد تطلع على جذوع الأشجار
رائحة نسغ النبات العذب
ومن شدة البرد القارس
خفاً صفير الأطيّار
لكنني أبداً لن أتغير
لأن قلبي يشدني إلى سيدتي

وقد تشاءم أبو بكر بن قزمان كذلك من فصل الشتاء، ولم يختلف عنه بعض الشعراء الأوكسيتانيين حينما قال⁽⁸⁵⁾:

84 - J. Roubaud : Les Troubadours, p. 154.

85 - ابن قزمان: الديوان، زجل (78)، ص 498.

ما أوحش ذيك المواضيع! ولكن متى

اهداء: إذ تسقط عليك الأوراق بشي من شتاء

كأنّ الشجرَ ثقلي: اهْرُبْ يا فتى

وتلوي على طريق ولس نستدير

وهكذا نجد أبا بكر بن قزمان ينضر من فصل الشتاء إلا أن هذا الموضوع لم يأتِ عنده في مستهل زجله مثلما ورد عند الشعراء البروفنسيين، بل جاء في ثنايا الزجل.

ويرى التروبادور برنار دي فنتادور أن حبه الصادق يحميه من البرد القارس⁽⁸⁶⁾. أما برنار مارتى فقد عاب على الشعراء الآخرين تفضيلهم أشهراً على أخرى، فالحب الصادق عنده لا يتغير بتغير الطقس وفصول السنة، وفي هذا المعنى يقول⁽⁸⁷⁾:

Las, non es dregz domnejaire
Qi ja nul mes met en soan,
Qar genars non val meins gaire
Q'abrils e mais q'es vertz et blan ;
Q'en totz terminis val amor,
E qan s'emprend a t'enreqir,
Deu hom esser e pros e gais

وترجمتها:

ليس عاشقا حقيقيا
من يحتقر بعض الأشهر
لأن يناير ليس أقل قيمة

86 - A. Berry : Anthologie de la poésie occitane, p. 30.

87 - E. Hœpffner : Les poésies de Bernart Marti, p. 32.

ومهما يكن الوقت، فعلى العاشق

أن يكون مقداما ومرحاً

من خلال هذه الأمثلة نرى أن موضوع الشتاء قد ورد عند كل من الشعراء الأندلسيين والأوروبيين، فاتفقوا على بعض الخصائص واختلفوا في بعضها الآخر. فإذا كان بعض الزجالين والوشاحين قد عبروا عن حُبهم في فصل الشتاء بالتشاؤم من البرد والأمطار، فإن أكثر الأندلسيين ذهبوا إلى خلاف ذلك، لأن فصل الشتاء هو مبعث خير كما أن الحب الحقيقي عندهم لا يتأثر بتغير فصول السنة، ومثلما يحتفلون بعيد "العنصرة" في فصل الصيف يحتفلون أيضاً بعيد "النَّير" في فصل الشتاء. أما الشعراء الأوروبيون فكان أكثرهم يتشاءم من فصل الشتاء.

5 - الشعر الديني:

ظهر الشعر الديني في أوروبا قبل ظهور الشعر الأوكسيتاني، لكن في شكل مدائح نظّمها رجال الكنيسة من الرهبان بأسلوب لاتيني مباشر دون مراعاة وزن ولا قافية. أما في عصر التروبادور فإن هذا اللون من الشعر أخذ اتجاهها جديداً، إذ ارتبط بالحب؛ فالشعراء الذين طرّقوه كانوا فئات. وقد اختلفت آراؤهم باختلاف الأهواء والظروف التي عاشوا فيها. فمنهم من استخدم الحب للهجوم على الكنيسة ورجالها، ومنهم من استخدم الدين لمحاربة الحب الكورتوازي الذي اعتبروه ديناً جديداً.

لقد تجرأ بعض الشعراء على شتم الرهبان والخط من قيمتهم، ومن هؤلاء الشاعر غيوم دي فيغيرا (Guilhem de)

(Figueira) الذي خصّص أغنية كاملة لهجاء البابوية⁽⁸⁸⁾. أما الكونت غيوم التاسع فقد دعا المرأة ألاّ تحب أحدا من رجال الدين، فيقول⁽⁸⁹⁾:

Domna fai gran pechat mortal
Que no ama cavalier leal ;
Mas s'ama o monge o clergal,
Non a raizo :
Per dreg la deuri' hom cremar
Ab un tezo

وترجمتها:

سترتكب خطيئة كبيرة وقاتلة
من لا تحب فارسا مخلصا
أما إذا عشقتُ راهبا
فخطؤها لن يغتفر أبدا
ويجب حرق هذه المرأة
على نار من جمر حار

نستخلص من هذا الكلام أن الحب ورجال الكنيسة في نظر غيوم التاسع، شيئان لا يلتقيان، وهذا التهكم على الإكليروس يعني أن هؤلاء الكنسيين لا يحبون بل هم أعداء الحب. ولم يكن غيوم التاسع الوحيد الذي كان في صراع مع رجال الدين، بل هناك شعراء آخرون تحدثوا عن عدائهم للإكليروس، كما كان بعض شعراء الأندلس أيضا في خصام دائم مع الفقهاء، ومنهم ابن

88 - J. Anglade : Anthologie des Troubadours, p. 149.

89 - A. Jeanroy : Les chansons de Guillaume IX, p. 9.

قزمان الذي لا تكاد أزجاله تخلو من هجو الفقيه الذي يضايقه في

مغامراته المجونية، يقول الإمام في الخرجة من زجل له⁽⁹⁰⁾ :

نمضِي إن شاء الله
من سرور لسرور
والسعاد بشاشت إذ مطور
وعدوك يذاق في شوال طلور
لعن الله من لا يقول نعم

إن ابن قزمان الذي غالبا ما ينصح في أزجاله أهل الخلاعة والعشاق بالصبر في شهر رمضان، نجده يتهجم على عدوه في هذا الشهر ويتوعده في شهر شوال، إذ ما من شيء يمكنه في هذا الشهر أن يشده عن لهوه وغرامه وشرب الخمر، ولم يكن هذا العدو في نظر ابن قزمان سوى الفقيه، بمعنى رجل الدين.

والذي يلفت الانتباه في الشعر الأندلسي، هو أن نصيحة الفقيه بالابتعاد عن الخمر، لم تسلم حتى من الأزجال الصوفية. فالششتري كان يتحدى الفقيه وينسج هذا الموضوع على الطريقة التي ورد بها في أزجال ابن قزمان⁽⁹¹⁾. إلا أن الششتري كان يقصد خلاف ما ذهب إليه ابن قزمان. لأن مליح الششتري ليس المليح ذاته الذي يتحدث عنه ابن قزمان في أزجاله.

وكثيرا ما نجد العاشق في الشعر الأوكسيتاني يدعو ربه لييسر له اللقاء بسيدته، وألا يعكر صفو حبهما أعداء الحب من الرقباء. ومن الشعراء من يدعو ربه ألا يدخل هؤلاء الوشاة الجنة.

90 - ابن قزمان: الديوان، زجل (9)، ص 76. إذ ماطور: أصلها (d'amator) عجمية بمعنى "العاشق"؛ طلور: أصلها (dolor) عجمية بمعنى "الألم".

91 - انظر زجلا في هذا الغرض لأبي الحسن الششتري: الديوان، ص 276.

Aqist d'aver amassaire,
Mal parlier, lenga trenchan
Qi' m cujavon d'amor traire !
Mas si Dieus vol far mon coman,
Ja us non er al Lavador,
Cels c'auzis a Marcabru dir
Q'en enfer sufriran gran fais

وترجمتها:

هؤلاء الوشاة الطامعون في المال
ذووا اللسان السيء
يفكرون في القضاء على حبي
لكن إذا استجاب ربي لدعوتي
لن يدخل أحد منهم الجنة
لقد قال ماركبرو إنهم سيلتقون
عذابا شديدا في جهنم

وفي الشعر العربي نماذج كثيرة من هذا القبيل نرى فيها
العاشق يدعو الله للفوز بلقاء حبيبته. لقد وردت هذه الفكرة في
الشعر الأندلسي بكل أشكاله، ومن ذلك قول ابن زُهر الحفيد في
الخرجة من موشحة له (93):

عقلي تحمل إن ألم بي الرقيب

92 - E. Hœpffner : Les poésies de Bernart Marti, p. 31.

93 - لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 199.

يا رب! يا رب!

هذا الحبيب اجمعني معو

أما الإمام أبو بكر بن قزمان فقد جسد في زجل من أزجاله النموذج الأكثر مطابقة مع النماذج الأوكسيثانية حين يدعو ربه أن يمكنه من قضاء ليلة لهو ومجون، فيقول⁽⁹⁴⁾:

يا علي ليلة يكون فيها	الدعا مستجاب
كن نقل يا إلهي، افتح لي	بالذي نرجو باب
ونصير في نوبه من تعيق	وفي تجريد ثياب
ونجرب فربما ندعو	ولعل يستجيب

إن توظيف الدين في الشعر الغرامي موضوع عربي قديم ظهر في المشرق قبل أن ينتقل إلى المغرب، وأكثر الذين اشتهروا به كانوا من العذريين؛ إذ نجد فكرة الدين لا تفترق عن قصيدة الغزل عند شعراء بني عذرة، وكأنهم اتخذوا من هذا الموضوع مناهبا لهم في الغزل.

لقد تطرق بعض الشعراء الأوربيين في أواخر حياتهم إلى نوع من الاستغفار في شعرهم يشبه المكفر⁽⁹⁵⁾ عند شعراء الأندلس، وذلك كأن ينظم الشاعر قصيدة يتقرب فيها إلى الله

94 - ابن قزمان: الديوان، زجل (75)، ص 484.

95 - ظهر هذا اللون من الشعر في القصائد أولاً، وكان ابن عبد ربه الأندلسي من الشعراء الأوائل الذين طرّفوه، فلما أدركته الشيخوخة، نظم شعرا جديدا سماه "المحصات"، يعتذر فيها عن كل قصيدة قالها في الغزل. انظر، ابن عبد ربه: الديوان، ص 8 وما بعدها (المقدمة).

وهو نادم على كل ما ارتكبه من إثم في أيام الشباب. وكان

الكونت غيوم التاسع أول الشعراء الأوكسيتانيين من نظم قصيدة في هذا الشأن بعد ما أدركته الشيخوخة، يقول منها⁽⁹⁶⁾:

Merce quier a mon compaignon
S'anc li fi tort qu' il m'o perdon ;
Et ieu prec en Jesu del tron
Et en romans et en lati...
Mout ai estat cuendes e gais,
Mas nostre Seigner no' l vol mais ;
Ar non puesc plus soffrir lo fais,
Tant soi aprochatz de la fi

وترجمتها:

أطلب ممن ارتكبتُ في حقه خطأً
أن يسامحني، وهو الدعاء نفسه
الذي أتوجه به إلى السيد المسيح
باللهجة وباللاتينية على السواء

إلى أن يقول:

كنتُ مرحاً جداً وسعيداً
لكن الله لا يريد ذلك
والآن لم أستطع تحمل الثقل
بما أنني قريب من النهاية

إن غيوم التاسع الذي ظل يسخر من اللغة اللاتينية طوال حياته لكونها لغة الكنيسة والاستعمار، نجده في هذه القصيدة

96 - A. Jeanroy : Les chansons de Guillaume IX, pp. 27 - 28.

يتراجع، فلا يفرق بينها وبين لغته الأوكسيتانية التي سماها اللهجة. فكلتاهما عنده، تصلح للدعاء وطلب المغفرة من الله. وكان بيار دوفرن أيضا قد نظم قصيدة من هذا اللون يذم فيها أيام شبابه وما ارتكبه من معاص، طالبا المغفرة من الله⁽⁹⁷⁾.

وكان ابن قزمان قد نظم زجلا، لا تختلف عنه القصائد الأوكسيتانية المذكورة في هذا الموضوع، يقول منه⁽⁹⁸⁾:

قد تاب ابن قزمان	طوبال إن دام
قد كانت أيام	أعياد فالأيام
بعد الطبل والدف	وفتل الأكمام
من صمعة الأذان	يهبط ويطلع
إمام في مسجد صار	يسجد ويركع

إن القصائد الأوربية التي نُظمت في موضوع التوبة والاستغفار، وخاصة قصيدة غيوم التاسع السالفة الذكر، تشبه إلى حد بعيد هذا الزجل الذي نظمّه الإمام ابن قزمان. أما هذا اللون من الشعر فقد ظهر في الأندلس قبل ابن قزمان بزمن طويل، ونظم فيه عدد من الشعراء الأندلسيين. وأدب الاعتراف ظهر لأول مرة على يد القديس أوغسطين الجزائري (ت 430 م) من خلال كتابه "الاعترافات" (Les confessions).

6 - الشعر السياسي:

عرفت المنطقة الممتدة من أراضي البروفنس إلى الأندلس حروبا متتالية في القرون الوسطى، وكان أمراء جنوبي فرنسا

97 - A. Jeanroy : La poésie lyrique des Troubadours, T. 2, p. 307.

98 - ابن قزمان: الديوان، زجل (147)، ص 918.

يحاربون فرنجة الشمال الذين كانوا يرون فيهم ضربا من الاستعمار، كما كانوا أيضا يتحاربون فيما بينهم للدفاع عن الملك أو للاستيلاء عليه. أما في شمال أسبانيا فكانت الحرب تندلع لأتفه الأسباب، إذ كان الأمراء والملوك يتحاربون فيما بينهم من أجل ضم أراضى الغير. كما كانوا يحاربون أمراء البروفنس للأسباب ذاتها. إلا أن هذه الحروب كانت تتخللها فترات من السلم والصلح قد يدوم أمدها أحيانا.

ورغم اقتتال هؤلاء الأوربيين فيما بينهم فإنهم لا يتفرقون إذا ما تعلّق الأمر بالهجوم على مسلمي الأندلس ومحاربتهم. فالصراع لم يكن بين مسيحيي أسبانيا ومسلميها فقط، بل شمل كل الأوربيين الغربيين الذين لم يترددوا في إعانة النصارى الأسبان على محاربة المسلمين الأندلسيين. وقد اتخذ هذا الصراع طابعا دينيا وصل في نهاية الأمر إلى إعلان وإقرار الحروب الصليبية في المشرق والمغرب وفي البروفنس نفسها.

هذه الصراعات دفعت الشعراء البروفنسيين إلى التفتن في الأسلوب واستحداث لون جديد في شعرهم هو شعر الخدمات (Sirventes) الذي يطرق أغراضا شتى من بينها موضوع الحرب والسياسة. لقد وصف الشعراء هذه الحروب في قصائدهم وأبدوا آراءهم في الأمور التي كانت تحدث في مجتمعهم أو التي كانت تعني سياسة بلادهم. وقد اختلفت آراؤهم في هذا الموضوع باختلاف ظروفهم السياسية.

فعلى الرغم من أن هؤلاء الشعراء كانوا يكتنون حقدا شديدا للكنيسة وأتباعها من الإكليروس وأحلافها من ملوك فرنسا، فإن ذلك لم يغيّر من نظرتهم تجاه مسلمي أسبانيا. لقد اتفق جل

ومن جانب آخر، فإن الشعر الأوكسيتاني قد أدى دورا لا يستهان به في تهدئة النزاعات التي ما فتئت تنشب بين أمراء الفرنجة أنفسهم أو بين أمراء الأسبان. فكان الشاعر يحاول لمّ شمل هؤلاء الأمراء وتحريضهم على محاربة المسلمين أينما وجدوا. فمن ذلك قول ماركبرو من قصيدة يحذّر فيها حكام أسبانيا المسيحية من نزاعهم الداخلي الذي قد يشجّع زحف المرابطين عليهم، وهو يحرضهم على محاربة المسلمين⁽⁹⁹⁾:

Ab la valor de Portugal
E del rei Navar atretal
Ab sol que Barcalona 's vir
Ves Toleta l'emperial,
Segur poirem cridar : "Reial !"
E paiana gen desconfir.
Si non fosson tant gran li riu
Als Almoravis for' esquiui :
E pogram lor o ben plevir,
E s'atendon lo recaliu
E de Castella 'l seignoriu
Cordoa 'il farem magrezir

وترجمتها:

بمساعدة من البرتغال

99 - R. Briffault : Les Troubadours, p. 56.

وكذلك ملك نفارا

إهداء من شبكة الألوثة على الأعداء www.al

شبكة
الألوثة
www.alukah.net

وبلوغ أسوار طليطلة

تحت صياح: "المملكة"!

إذا تحالف معنا كونت برشلونة

لو لم تفض الأنهار

لقضى المرابطون وقتنا سيئا

ولو انتظروا عودة الصيف

ووصول ملك قشتالة لينضم إلينا،

حينئذ، سيكون ممكنا جدا

إرغام القرطبيين على شد الحزام

أما غافودان (Gavaudan) فهو يخاطب حكام المنطقة
وينبئهم إلى أن المعاصي التي ارتكبوها هي التي مكنت صلاح
الدين الأيوبي من الاستيلاء على القدس وتحدي السلطان المغربي
ملوك النصارى. إنه يحرّض النصارى ويدفعهم إلى محاربة
المسلمين والدفاع عن دين المسيح فيقول⁽¹⁰⁰⁾:

Senhor per los nostres peccatz

Creys la forsa dels Sarrazis

Jherusalem pres Saladis

Et encaras non es cobratz

Perque manda' l reys de Marroc

Qu' ab totz los reys de Crestias

Se combatra ab sos trefas

Andolozitz et arabitz

100 - J. Roubaud : Les Troubadours, p. 362.

وكأنهم أمطار طوفانية

مخلفين وراءهم أرضاً جرداء

تعدّ هذه القصيدة نداءً إلى ملوك أوروبا ليتضافروا جميعاً على محاربة العرب وهم في نظر الشاعر غزاة جاءوا من وراء البحر. أما بيار كاردينال الذي اتّهم رجال الدين بالنفاق والانشغال بالمملكات، فهو يُطمئن المسلمين بالأندلس على الركون إلى الراحة وعدم الانزعاج من عدوّهم⁽¹⁰¹⁾.

ورغم تهجّمه على الفقيه ورفضه العادات الاجتماعية، كان ابن قزمان يؤيد في أزجاله حروب المسلمين ضدّ النصارى ويحمّس فرسان الإسلام على مواصلة الحرب المقدّسة⁽¹⁰²⁾، كما كان يدعو إلى الجهاد، ومن ذلك قوله من زجل له⁽¹⁰³⁾:

كن لقتل النصارى بالمرصاد
وقعوا تحت سيفٍ مثل الجراد
مرّوا أزواج ومرّوا أفراد
لا تعدّ، فإنّ لسّ ينعُدّ

وعلى ضوء ما مرّ من أمثلة يتبين أن شعراء اللغة الأوكسيتانية ممن تطرقوا إلى هذا الموضوع لم يختلفوا عن ابن قزمان في نظرتهم إلى الحرب، فكلّ منهم كان يحرض أبناء ملته على محاربة عدوّهم في سبيل الدين، ومع ذلك نجد كلا من ابن

101 - Ibid., p. 348.

102 - ابن قزمان: الديوان، زجل (38)، ص 260.

103 - المصدر نفسه، زجل (102)، ص 684.

قزمان وبعض الشعراء الأوكسيتانيين، كانوا من المناوئين

لرجال الدين في مجتمعاتهم على اختلاف معتقداتهم. www.asharq.net

ومن المواقف الأصيلة عند المسلمين والتي تعود عليها الشعراء العرب في نظّمهم وتطرّق إليها الأوكسيتانيون، موضوع الشهادة في سبيل الله. إن الأوربيين الذين سبقوا التروبادور لم يшиروا في قصائدهم إلى هذا الموضوع، في حين ورد في الشعر العربي قبل ظهور الشعر الأوكسيتاني. فمن ذلك قول أحد البروفنسيين من ديوان "أغنية الصليبية الألبيجية"⁽¹⁰⁴⁾:

Si perdetz en est segle en l'autre gazanhatz
Dic vos del cavaler qu' en l'oliu es penjatz,
Que per amor de Crist es oi martirizatz,
Que a lui e als autres que so mortz e nafratz
Lor perdona las colpas e'ls forfaitz e'ls percatz

وترجمتها:

ما نطقه على الأرض نفوز به في السماء
هكذا استشهد في سبيل المسيح
الضارس الذي شُنق إلى شجرة الزيتون
سيغفر له الله، ويقرّبه إليه
مع إخوانه الفرسان الذين ماتوا

أما الإمام أبو بكر بن قزمان، فهو يرى أن الذين قُتلوا من
النصارى سيدخلون نار جهنّم، إذ يقول من زجل له⁽¹⁰⁵⁾:

104 - Anonyme : La chanson de la Croisade albigeoise, Paris 1989, p. 272.

105 - ابن قزمان: الديوان، زجل (38)، ص 264.

وترى عالج قد طعن لا غير
وهو هابط على طياره سير
لى جهنم مضى، وبیس المصير

أما القصائد والموشحات الأندلسية التي تدعو إلى الجهاد في سبيل الله والفوز بالشهادة، فهي كثيرة يصعب حصرها، وقد سبقت في معظمها ظهور الشعر الغنائي الأوكسيتاني.

أخذ بعض الشعراء من شعر الحرب حرفة لهم، ومنهم الشاعر برطران دي بورن (Bertram de Born) الذي كرس حياته في إثارة الحرب بين البروفنسيين أنفسهم، لأنه وجد في ذلك مكسبا له. فهو يصرح في قصائده بأنه يتشوق إلى وقوع الحرب فيبتهج للدمار وسقوط القتلى كما يسره تنظيم الصفوف ونصب خيم العساكر في الحقول، فهو يستهل قصيدة الحرب بوصف الطبيعة على غرار الشعراء الغزليين، ومن ذلك قوله⁽¹⁰⁶⁾:

Bem platz lo gais temps de pascor
Que fai folhas e flors venir,
E platz mi quant aug la baudor
Dels auzels que fan retentir
Lor chan per lo boschatge,
E platz mi quan vei per los pratz
Tendas e pabalhos fermatz,
E ai grant alegratge
Quen vei per champanha renjatz
Chavaliers e chavaus armatz

106 - A. Berry : Anthologie de la poésie occitane, p. 18.

كم تعجبني أيام الفصح الجميلة
 التي تظهر فيها الأوراق والأنوار
 ويعجبني أيضا سماع ضوضاء
 العصافير التي تغرد
 الحانا عبر الأشجار
 ويعجبني أيضا أن أرى في المروج
 نصب الخيم والأجنحة
 وكم يكون سروري كبيرا
 لما أرى في الحقول تنظيم
 الخيول والفرسان مجلجلين بالسلاح

وإذا عدنا إلى الشعر الأندلسي نرى أن برطران دي بورن لم
 يكن أول من ذهب إلى هذا الموضوع، لأن هذه الصور نجدها
 بعينها في موشحة عبادة القرّاز الذي عاش في عهد المعتصم بن
 صمّادح صاحب المرية (ت 484 هـ - 1091 م)، أي قبل برطران.
 ومنها ما قاله في الخرجة⁽¹⁰⁷⁾:

إذا لاح ابن معن	في جيشه اللجب
ونادى كل قرن	باسمه في اللعب
فالهيجاء تغني	والسيف قد طرب
ما أملح العساكر	وترتيب الصفوف
والأبطال تصيح	الواثق يا مليح

وقد تأتي في الشعر الأوكسيتاني إشارات إلى الحب في

107 - ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 98.

قصيدة الحرب، كما تأتي أيضا إشارات إلى الحرب في قصيدة الحب. وهذا برطران دي بورن الذي عُرف بتحمّسه للحروب، يتخلّف عن المشاركة في الحملة الصليبية لمواجهة صلاح الدين الأيوبي، ويعتذر عن ذلك للقائد كونراد مركزيز مؤنّفاً (Conrad 1^{er}) (ت 588 هـ - 1192 م) بحجّة أن عددا من البارون والفرسان تأخروا هم أيضا عن المشاركة، وقد ذهب إلى أكثر من ذلك عندما برّر موقفه بسخرية ظريفة فيقول⁽¹⁰⁸⁾:

Puois vi midonz bell' e bloia,
Per que s' Janet mos cors afebleian,
Qu' ieu fora lai, ben a passat un an

وترجمتها:

ثم إنني رأيت مولاي، جميلة
وشقراء، ثم بدأ قلبي يضعف
وإلا، لكنت هناك منذ عام

أما ماركبرو فقد تهجّم في قصيدة رعوية على الحرب الصليبية، لأنها تسبّبت في فراق الحبيبين، فيصوّر لنا ذلك على لسان الفتاة الريفية التي تبكي فراق حبيبها الذي سيق إلى الحرب، متهجّمة على الملك لويس السابع (ت 576 هـ - 1180 م) الذي دعا إلى هذه الحرب وهي الحرب الصليبية الثانية⁽¹⁰⁹⁾.

على الرغم من بعض العلاقات التي كانت بين العرب

108 - E. Hoëpffner : Les Troubadours, dans leur vie et dans leurs œuvres, Ed. Armand Colin, Paris 1955, p. 118.

مولاي (midonz): سيدتي، هناك (lai): في المشرق.

109 - P. Bec : Anthologie des Troubadours, p. 90.

والإفرنج، وخاصة التجارية، فإن ذلك لم يمنع هؤلاء الأوربيين من الحقد الذي يكونه للمسلمين. لذلك نجد شعراء اللغة الأوكسيتانية عند إشاراتهم إلى العرب في قصائدهم، يصفونهم بألقاب لاذعة. كان هؤلاء الشعراء على اطلاع واسع بأحوال العرب المسلمين وأصولهم، وقد أشاروا في قصائدهم إلى أسماء: العرب والشرقيين والمغاربة والمرابطين والموحدين والبربر وغيرها. وردت الإشارة إلى العرب خاصة في القصائد السياسية، ويظهر جليا من خلال شعرهم أن الأوربيين كانوا يهابون المسلمين إلى أبعد الحدود، فمن ذلك قول غيرو ريكيه (Guiraut Riquier) من إحدى قصائده، منتقدا نزاع القادة المسيحيين فيما بينهم⁽¹¹⁰⁾:

Lo greu perilh devem temer
De dobla mort, qu' es prezentier,
Que' ns sentam Sarrazis sobriers,
E Dieus que' ns giet a non chaler ;
Et entre nos, qu' em azirat,
Tost serem del tot aterrat ;
E no' s cossiran la part lor,
Segon que' m par, nostre rector

وترجمتها:

نحن على مقربة
من الموت المزدوج
لقد ابتعدنا كثيرا عن الله

110 - A. Berry : Anthologie de la poésie occitane, p. 79.

ويجب أن نخشى انتصار العرب

إهداء من شهابناشقا، كما نحن الآن، www.al

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

سنتحطم في أقرب وقت
لأن ولاة أمرنا لا يهتمون
بالمسئولية الملقاة على عاتقهم

وقال الشاعر راهب مونتودون (Le Moine de Montaudon)
في هذا الموضوع من قصيدته يتحدث فيها عن ريتشارد قلب الأسد
ابن هنري الثاني ملك إنجلترا والملكة آليانور حفيذة غيوم
التاسع، وقد سُجن في ألمانيا سنة (597 هـ - 1191 م)⁽¹¹¹⁾:

Seingner, eu l'agra be vis
Si per mal de vos nos fos,
Car anc sofris sas preisos ;
Mas la naus dels Sarrazis
No' us menbra ges cosi' s baingna ;
Car se dinz Acre' s coillis,
Pro' i agr' enquer Turcs felos :
Fols es qui' us sec en mesclaigna

وترجمتها:

يا رب، لا أطلب شيئا
سوى الذهاب لرؤيته
لكن لماذا تركته ينهزم ويؤسر
وفي هذا الوقت بالذات
يندفع أسطول العرب

111 - Ibid., p. 66.

مجنون إذن من يكافح في صفوفكم!

وقد ذكر الشعراء البروفنسيون العرب في مراثيهم التي نظّموها في قادتهم الذين يموتون أو يُقتلون في المعارك، فكلما مات قائد أو قتل، رثاه شاعره مذكراً ببسالته ومحذراً من استغلال العرب لهذا الحدث. ومن ذلك قول سركامون في رثاء الكونت غيوم العاشر نجل التروبادور الأول غيوم التاسع، وقد توفي سنة 1137 للميلاد⁽¹¹²⁾:

Plagnen lo Norman e Franceis,
E deu lo be plagner lo reis
Cui el laisset la terr' e' l creis ;
Pos aitan grans honors li creis,
Mal l'estara si non pareis
Chivauchan sobre Serrazis

وترجمتها:

على النورمان والفرنسيين أن يرثوه
ويجب أن يتألم أيضا الملك
الذي ترك له أرضه وبنته
وبما أن ملكه قد اتسع كثيرا
فلن يقبل منه أي عذر

112 - A. Jeanroy : Les poésies de Cercamon, p. 21.

الملك هو لويس السابع، أما البنت فهي آينور الأكيتانية حفيدة غيوم التاسع وزوجة الملك.

غير أن حقد هؤلاء الشعراء على العرب لم يمنعهم من الإعجاب بحضارتهم والاقتراس من معالمها. فالراهب المعارض للكنيسة، الشاعر بيار كاردينال (Peire Cardinal) يتمنى لو يتكلم اللغة العربية حتى يتمكن من امتلاك براعة العرب إلى جانب إيمانه المسيحي، فيقول:

Dig volh aver de Sarrasi

E fes e lei de crestie

E subtileza de paga

وذهب روبرت بريفو (Robert Briffault) معلقاً على هذه المقطوعة بقوله: "يبدو أن بيار كاردينال قد عرف المصدر المشترك الذي استقى منه البروفنسيون طريقة نظم أغانيهم"⁽¹¹³⁾. إلا أن هذا الشاعر المسيحي لم يعرف كل شيء، لأنه ما زال يعتقد أن العرب وثنيون (paga)، وذلك لتأثره بالادعاءات التي كان يصف بها الإكليروس المسلمين ويروجها في أوساط المجتمع الأوربي في القرون الوسطى.

وفي الشعر الأوكسيتاني الذي نظمته الشعراء التروبادور في جنوب فرنسا في القرون الوسطى موضوعات وأغراض أخرى غير التي ذكرناها، تأثر فيها هؤلاء البروفنسيون بالشعر العربي. غير أن شعر التروبادور الغنائي لم يدم أكثر من قرنين، فالحرب الصليبية التي أعلنها البابا سنة 1209 م على الألبيجيين (Albigeois) ودامت إلى غاية سنة 1229 م، أدت إلى انحطاط الشعر في منطقة البروفنس.

113 - R. Briffault : Les Troubadours, p. 67.

ولم يقتصر التأثير العربي الأندلسي على شعراء جنوب فرنسا، بل تأثر أيضا شعراء شمال أسبانيا المسيحي بالموشحات والأزجال الأندلسية، وكان للأعاجم المسلمين (Aljamiados) الفضل في نقل خصائص الشعر العربي بلغتهم إلى الشمال ومنه إلى بقية أنحاء أوروبا.

فشعراء النصرى الأسيان في عهد الأندلسيين نظّموا أشعارهم على نظام المقطوعات، كما نظّموا الملاحم على منوال الأراجيز التاريخية، وأما "أغاني الحبيب" (Cantigas di amigo) التي اشتهروا بها، فقد تأثروا فيها بموضوع "شكوى الفتاة" الذي يرد في خرجات الموشحات بالعربية والعجمية والعامية، كما تأثر هؤلاء الشعراء أيضا بالمقامات وبالفرسية وبالتصوف ومواضيع أخرى في شعرهم ونثرهم.

عرفت الأندلس الشعر العربي منذ أن استقر المسلمون فيها. إلا أن هذا الشعر لم يستقل بذاته في بداية الأمر، وإنما ظل مقلدا للشعر في المشرق حتى عهد الخلافة بالأندلس. وفي هذا العصر شهدت الأندلس ازدهارا حضاريا في عهد عبد الرحمن الناصر، فكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على الأدب والفكر. فظهر عند الشعراء الأندلسيين لون جديد من الشعر اسمه فن التوشيح.

ظهر الموشح لأول مرة في الأندلس، في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، وهو لون من الشعر العربي لا يختلف عن القصيدة إلا في تعدد قوافيه وتنوع أوزانه أحيانا، وفي الخرجة التي يخرج بها الوشاح من الفصح إلى العامي أو العجمي، كما يختلف عنها أيضا في تسمية أجزائه. والموشح يُعد ثورة على الطريقة التقليدية التي تتقيد بوحدة الأوزان ورتابة القوافي، وليس خروجا عن الشعر العربي. والموشح أندلسي المنشأ وعربي الأصل لا يمتد بأدنى صلة إلى مصادر أوربية وأوزانه عربية؛ أما الأوزان الجديدة التي لجأ إليها الوشاح، فإن خرجت عن بحور الخليل فهي لم تخرج عن أوزان العرب لأنها ذات إيقاع عربي. وأما لغة الموشحات فهي عربية وما الخرجة التي كتبت بالعجمية أحيانا، إلا تظرفا واستطرادا من الوشاح.

طرقت الموشحات الأندلسية معظم الأغراض التي عرفها الشعر العربي التقليدي، وقد ابتكرت أغراضا أخرى كالأغنية، وشكوى الفتاة العاشقة، وطوّرت أغراضا أخرى استحدثها الشعر الأندلسي، كالمكفرّ والحنين إلى الوطن والحببية المجهولة أو

الحب بالوصف وغيرها من الأغراض والموضوعات الشعرية.

أما الزجل فقد ظهر هو أيضا لأول مرة في الأندلس في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وقد تفرّع عن الموشح. ولا تختلف عناصر الزجل في تركيبها عن عناصر الموشح ما عدا اللغة، وهي لا تختلف عن العربية الفصحى في شيء إلا في كونها غير معرّبة. أما أوزان الزجل فهي عربية أيضا، وإن لجأ الزجال الأندلسي في أحيان كثيرة إلى نظام النبر. لكن الأوزان التي نُظِمَتْ على منوال هذا الوزن لم تحد عن الإيقاع العربي الذي أساسه التفعيلة. وقد تطرّق الزجل إلى الأغراض ذاتها التي اشتملت عليها الموشحات إلا أنه غلب عليه مواضيع التغزل بالمدن واللهو والمديح. كما طوّر الزجالون أغراضا واستحدثوا أخرى كالمدائح الدينية والزهريات وغيرها.

ومن جهة أخرى، فإن موضوعات الشعر التي جاء بها الشعراء التروبادور البروفنسيون في القرون الوسطى قد استقوها من مصادر عربية أندلسية. وأن القوالب الشكلية التي تُبنى عليها القصيدة الأوكسيتانية لم يسبق لها أن حدثت في الشعر الأوربي قبل حركة التروبادور، بل نقلها شعراء اللغة البروفنسية من الأندلس. لقد تأثر هؤلاء الشعراء البروفنسيون في أغانيهم شكلا ومضمونا بالشعر الأندلسي وخاصة الموشحات والأزجال، تأثرا واضحا لا مجال للشك في حقيقته.

وفي الختام، أرجو أن أكون قد قدّمت للقارئ من خلال هذا البحث خدمةً في الأدب الأندلسي، والله ولي التوفيق.

أ - المصادر العربية:

* - القرآن الكريم.

- 1 - الأبشيهي: المستطرف من كل فن مستظرف، مصر 1942.
- 2 - ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت 1981.
- 3 - ابن الأبار: الحلة السیراء، القاهرة 1963.
- 4 - ابن الخطيب، لسان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، الطبعة الأولى، القاهرة 1974.
- 5 - ابن الخطيب، لسان الدين: الكتيبة الكامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت (د. ت.).
- 6 - ابن الخطيب، لسان الدين: جيش التوشیح، تحقيق هلال ناجي، مطبعة المنار، تونس 1967.
- 7 - ابن الزقاق البننسي: الديوان، تحقيق عفيفة ديراني، بيروت 1965.
- 8 - ابن الكتاني الطيب: التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت (د. ت.).
- 9 - ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1979.
- 10 - ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والألف، دار مكتبة الحياة، بيروت 1980.
- 11 - ابن حيان القرطبي: المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، طبعة الأب ملشور أنطونيا، باريس 1937.

12 - ابن خاتمة: الديوان، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دمشق

1972. إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

13 - ابن خاقان، الفتح: قلائد العقيان، مصر 1320 هـ.

14 - ابن خاقان، الفتح: مطمح الأنفس، القسطنطينية 1302 هـ.

15 - ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، طبعة كاترمير، باريس 1857.

16 - ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، دار القلم، بيروت 1955.

17 - ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، الطبعة الرابعة، بيروت 1972.

18 - ابن زيدون القرطبي: الديوان، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت، بيروت 1979.

19 - ابن سعيد، علي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة 1964.

20 - ابن سعيد، علي: المقتطف من أزهير الطرف، مستلة من كتاب "أعمال مهرجان ابن خلدون"، القاهرة 1962.

21 - ابن سهل الأندلسي: الديوان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1967.

22 - ابن عبد ربه: الديوان، تحقيق محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت 1979.

23 - ابن عربي، محي الدين: الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت 1996.

24 - ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر 1966.

25 - ابن قزمان، أبو بكر: الديوان، تحقيق ف. كورينطي، المعهد

- 26 - ابن مرابط، محمد: الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.
- 27 - ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، بيروت 1955.
- 28 - الأعمى التيطلي: الديوان، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1963.
- 29 - آل طعمه، عدنان محمد: موشحات ابن بَقِيّ التيطلي، بغداد 1979.
- 30 - الأهواني، عبد العزيز: الزجل في الأندلس، القاهرة 1967.
- 31 - بالنشيا، آنخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة 1955.
- 32 - التلمساني، أبو مدين: الديوان، طبعة 1357 هـ.
- 33 - الحريري، أبو القاسم: المقامات، موفم للنشر، الجزائر 1989.
- 34 - الحلبي، شهاب الدين: حسن التوصل إلى صناعة الترس، تحقيق أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد، بغداد 1980.
- 35 - الحلبي، صفى الدين: العاقل الحالي والمرخص الغالي، تحقيق ولهم هونرباخ، فيسبادن 1955.
- 36 - الحموي، ابن حجة: بلوغ الأمل في فن الزجل، تحقيق د. رضا محسن القريشي، دمشق 1974.
- 37 - الحميدي: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، بيروت 1983.
- 38 - الداية، محمد رضوان: أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت 1976.

39 - ديوان ألف ليلة وليلة، تحقيق عبد الصاحب العقابى، بغداد

1980. إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

40 - الششتري، أبو الحسن: الديوان، تحقيق علي سامي النشار، الإسكندرية 1960.

41 - الصفدي، صلاح الدين: الوافي بالوفيات، فيسبادن 1961.

42 - الصفدي، صلاح الدين: توشيع التوشيح، تحقيق ألبير حبيب مطلق، دار الثقافة، بيروت 1966.

43 - الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة 1967.

44 - ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، الطبعة السابعة، القاهرة 1969.

45 - عباس، إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، الطبعة الخامسة، بيروت 1978.

46 - عباس، محمد: أثر الشعر الأندلسي في شعر التروبادور منذ نشأته حتى القرن الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد 1983.

47 - عتيق، عبد العزيز: الأدب العربي في الأندلس، ط. 3، بيروت 1976.

48 - العسكري، أبو هلال: كتاب الصناعتين، القاهرة (د. ت).

49 - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مطبعة السعادة، الطبعة الثانية، القاهرة 1332 هـ.

50 - الكتبي، ابن شاعر: فوات الوفيات، بيروت 1974.

51 - كراتشكوفسكي، أغناطيوس: الشعر العربي في الأندلس، ترجمة محمد منير مرسى، عالم الكتب، القاهرة 1971.

52 - الكريم، مصطفى عوض: فن التوشيح، الطبعة الثانية، بيروت

- 54 - المراكشي، عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة 1963.
- 55 - المقرّي، شهاب الدين أحمد: أزهار الرياض في أخبار عياض، القاهرة 1939 - 1942.
- 56 - المقرّي، شهاب الدين أحمد: نضح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت 1995.
- 57 - المُلْك، ابن سَنَاء: دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق جودت الركابي، الطبعة الثانية، دمشق 1977.
- 58 - النواجي، شمس الدين: عقود اللآل في الموشحات والأزجال، تحقيق عبد اللطيف الشهابي، دار الرشيد، بغداد 1982.

- 1 - Albornoz, C.- S. : l'Espagne musulmane, O.P.U. - Publisud 1985.
- 2 - Alborg, Juan Luis : Historia de la literatura española, Ed. Credos, 2^a ed., Madrid 1981.
- 3 - Anglade, Joseph : Anthologie des Troubadours, Paris 1953.
- 4 - Anglade, Joseph : Les Troubadours, Ed. Armand Colin, Paris 1908.
- 5 - Anonyme : La chanson de la Croisade albigeoise, Coll. Le livre de poche, Paris 1989.
- 6 - Arnold, Thomas and Alfred Guillaume : The Legacy of Islam, Oxford University Press 1965.
- 7 - Bec, Pierre : Anthologie des Troubadours, Coll. 10/18, U.G.E., Paris 1979.
- 8 - Berry, André : Anthologie de la poésie occitane, Ed. Stock, Paris 1979.
- 9 - Bezzola, Réto Roberto : Les origines et la formation de la littérature courtoise en Occident, Ed. Champion, Paris 1944 - 1963.
- 10 - Briffault, Robert : Les Troubadours et le sentiment romanesque, Ed. du Chêne, Paris 1943.
- 11 - Corriente, Federico : Gramática, métrica y texto del cancionero hispanoárabe de Aban Quzmán, Instituto hispano-árabe de cultura, Madrid 1980.
- 12 - Dermenghem, Emile : Les grands thèmes de la poésie amoureuse chez les Arabes précurseurs des poètes d'Oc, in Les Cahiers du Sud, Marseille 1943.
- 13 - Diez, Frédéric : La poésie des Troubadours, Slatkine - Laffitte Reprints, Genève - Marseille 1975.
- 14 - Dozy, Reinhart : Histoire des Musulmans d'Espagne,

Ed. Brill, Leyde 1932.

15 - Fauriel, C.- C. : Histoire de la poésie provençale, Paris 1846, réimp. Slatkine Reprints, Genève 1969.

16 - Gentil, Pierre le : La strophe zadjalesque, les khardjas et le problème des origines du lyrisme roman, dans Romania, Tome 84, Ed. Champion, Paris 1963.

17 - Guiraud, Pierre : La versification, P.U.F., 3^e éd., Paris 1978.

18 - Hoepffner, Ernest : Les poésies de Bernart Marti, Ed. Champion, Paris 1929.

19 - Hoepffner, Ernest : Les Troubadours dans leur vie et dans leurs oeuvres, Ed. Armand Colin, Paris 1955.

20 - Houssat, Jacques - Lafitte : Troubadours et cours d'amour, P.U.F., 5^e éd., Paris 1979.

21 - Jeanroy, Alfred : La poésie lyrique des Troubadours, Ed. Privat - Didier, Toulouse - Paris 1934.

22 - Jeanroy, Alfred : Les chansons de Guillaume IX, Ed. Champion, 2^e éd., Paris 1972.

23 - Jeanroy, Alfred : Les chansons de Jaufré Rudel, Ed. Champion, 2^e éd., Paris 1974.

24 - Jeanroy, Alfred : Les poésies de Cercamon, Ed. Champion, Paris 1966.

25 - Mahn, C.A.F. : Die werke der Troubadours, Slatkine - Reprints, Genève 1977.

26 - Marrou, Henri - Irénée : Les Troubadours, Ed. du Seuil, Paris 1971.

27 - Nelli, René : l'Erotique des Troubadours, Coll. 10/18, U.G.E., Paris 1974.

28 - Nykl, A.- R. : Hispano - Arabic Poetry and its Relations with the Old Provençal Troubadours, Baltimore 1946.

29 - Ovide : l'Art d'aimer, Paris 1924.



- 30 - Ovide : Remèdes à l'amour, 2^e éd. Paris 1961.
- 31 - Palencia, Ángel González : Historia de la España musulmana, 3^a ed., Barcelona - Buenos Aires 1932.
- 32 - Pidal, Ramón Menéndez : Poesía árabe y poesía europea, 5^a ed., Espasa - Calpe, S.A., 1963.
- 33 - Platon : Le banquet, traduit par Emile Chambry, Ed. Flammarion, Paris 1964.
- 34 - Pollmann, Leo : Trobar clus, bibelexegese und hispano - arabische literatur, Ed. Münster, Westfalen 1965.
- 35 - Roncaglia, Aurelio : Antologia delle letterature medievali d'Oc e d'Oïl, Ed. Accademia, Milano 1973.
- 36 - Roubaud, Jacques : Les Troubadours, Ed. Seghers, Paris 1980.
- 37 - Rougemont, Denis de : l'Amour et l'Occident, Coll. 10/18, U.G.E., Paris 1979.
- 38 - Stendhal : De l'amour, Ed. Garnier Flammarion, Paris 1966.

5	مقدمة:
	نشأة الشعر الأندلسي
7	1 - الشعر في عصر الولاة:
11	2 - الشعر في عصر الإمارة:
20	3 - الشعر في عصر الخلافة:
29	4 - موضوعات الشعر الأندلسي:
30	5 - التجديد في الشعر الأندلسي:
	نشأة الشعر المتعدد القوافي
33	1 - تعدد القافية في الشعر العربي:
37	2 - الأراجيز والمسمطات:
45	3 - القصائد الحوارية:
	الموشحات الأندلسية
47	1 - الموشح لغة واصطلاحاً:
51	2 - أصل الموشح:
55	3 - مخترع الموشحات:
61	4 - بناء الموشح:
73	5 - أوزان الموشحات:
82	6 - لغة الموشحات:
85	7 - أغراض الموشحات الأندلسية:
	الأزجال الأندلسية
105	1 - الزجل لغة واصطلاحاً:
106	2 - عوامل ظهور الزجل:

114	3 - مخترع الزجل:
119	4 - بناء الزجل: من شبكة الالوحة www.alukah.net
128	5 - أوزان الزجل:
131	6 - لغة الزجل:
136	7 - أغراض الأزجال الأندلسية:
الوشاحون والزجالون	
161	1 - الوشاحون:
238	2 - الزجالون:
260	3 - مصادر الموشحات والأزجال:
تأثير الشعر الأندلسي في شعر التروبادور	
265	1 - البناء الشعري:
282	2 - الموضوعات الغزلية:
297	3 - خصائص شعر الغزل:
310	4 - وصف الطبيعة:
318	5 - الشعر الديني:
324	6 - الشعر السياسي:
339	خاتمة:
341	المصادر والمراجع:
349	فهرس الموضوعات:

La poésie strophique andalouse et son influence sur la poésie des troubadours

Dar Oum Al-Kitab
Mostaganem (Algérie)
2012

